وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جـامعة عباس لغرور خنشلة

ISSN 2830-8034
EISSN 2830-9510

المجلة الدولية للدراسات الانسانية

مجلة دولية دورية محكمة تصدر عن جامعة عباس لغرور خنشلة
متخصصة في الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية

العدد 2 | المجلد 3 | سبتمبر 2024

المجلة الدولية للدراسات الإنسانية – جامعة عباس لغرور خنشلة- الجزائر
ISSN 2830 - 8034

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Abbas Laghrour University- Khenchela

ISSN 2830-8034
EISSN 2830-9510

The International Journal of Human Studies

An International Peer-Reviewed Periodical issued by the University of Abbas Laghrour – Khenchela Specialized in Literature, Human and Social Sciences

Sep 2024 | VOL 3 | Issue 2

المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

The International Journal of Human Studies

المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

مجلة فصلية دولية محكمة

تصدر عن جامعة عباس لغرور خنشلة

مجالات النشر

تنشر المجلة الدولية للدراسات الإنسانية في مواضيع الآداب واللغات والعلوم القانونية والعلوم السياسية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاقتصادية والتخصصات ذات الصلة

ISSN: 2830-8034

EISSN: 2830-9510

مدير المجلة

أ.د/ عبدالواحد شالة

رئيس التحرير

أ.د/ عبدالمجيد لخذاري

هيئة التحرير

- د/ نعيمة شلغوم
- د/ عبد الحفيظ معوشة
- د/ وليد كفالي
- د/ ريمة عايدة حساني
- د/ طارق سعيدي

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/881

المجلد الثالث العدد الثاني

سبتمبر 2024

Information

Website : international journal of human studies

Email : revue@univ-khenchela.dz

Phone : 032.73.12.59

Facebook page: المجلة الدولية للدراسات الإنسانية

Address: BP 1252 Route de Batna Khenchela, Algeria

اللجنة العلمية للمجلة الدولية للدراسات الإنسانية

خارج الوطن

الرقم	الاسم واللقب	الجامعة	الدولة
1	رحاب يوسف	بني سويف	مصر
2	خالد اليعبودي	الشارقة	الإمارات المتحدة
3	عبدالرحمن محمد طعمة	القاهرة	مصر
4	كرستين عماد سامي داوود	عين شمس	مصر
5	علي عبدالناصر عباس الخميس	بابل	العراق
6	حسن محمد النعمي	جدة	السعودية
7	LEGROS Denis	باريس 8	فرنسا
8	مروان سالم نوري	ديالى	العراق
9	ناجية سليمان	الزاوية	ليبيا
10	خيري عبدالنبي جمانة سلامة	صبراتة	ليبيا
11	نشأت ادوارد	القاهرة	مصر
12	بلال الشوبكي	الخليل	فلسطين
13	قيس حسن عواد عبد الله البدراني	الموصل	العراق
14	ضحى محمد سعيد النعمان	البحرين	البحرين
15	مدحت خليل حمد	الجامعة العربية الأمريكية	فلسطين
16	احمد أويصال	اسطنبول	تركيا
17	نعيمة بن عشي زياني	اليكانتي	اسبانيا
18	فرحات عايدة	لورين	فرنسا
19	محمد مواق	قادش	اسبانيا
20	زهرة غربي	منوبة	تونس
21	حنان المليتي	منوبة	تونس
22	أروى الكعلي	منوبة	تونس
23	رشا عبد الكريم فالح حسن البوطه	البصرة	العراق

اللجنة العلمية داخل الوطن

الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة	الاسم واللقب	الجامعة
د/أحمد شوقي حواجلي	بسكرة	د/ابتسام بولقواس	خنشلة	د/امينة حشوف	وهران 2	أد/عبدالغني بوجوراف	خنشلة
د/اسماعيل شرقي	باتنة 1	د/رمزي جاب الله	باتنة 1	د/الخامسة رمضان	بسكرة	د/ توفيق برغوتي	الاغواط
د/امحمدفورار	بسكرة	د/عواطف مومن	خنشلة	د/طارق سعيدي	خنشلة	أد/نبيل مالكية	خنشلة
أد/جمال قوي	ورقلة	أد/سميرة سلام	خنشلة	الزهراء بلعربي	وهران 2	أد/ ياسين قوتال	خنشلة
د/جمعة مصاص	خنشلة	أد/الطاهر زو اقري	خنشلة	د/خالد منصر	خنشلة	د/عبدالقادر نويوة	خنشلة
د/ حنينة طبيش	خنشلة	د/سمية جلال	خنشلة	د/خديجة عمراوي	خنشلة	د/نصيرة صالحي	خنشلة
د/خميسة مزيتي	خنشلة	أد/اسماعيل بوقرة	خنشلة	د/عليمة حمزاوي	خنشلة	د/فاتح مزيتي	خنشلة
د/ رابح بوشعشوعة	خنشلة	أد/رفيقة قصوري	خنشلة	د/سعاد عون	خنشلة	د/شريف باديس	خنشلة
د/رامي سيدي محمد	خنشلة	أد/صالح مفقودة	بسكرة	د/بن عمران سهيلة	خنشلة	د/زينة جدعون	خنشلة
د/سليم كربوعة	بسكرة	د/ سهيلة مزياني	الجزائر	د/ساندرا صبرينة تريكي	عنابة	د/عبدالعالي بالة	خنشلة
د/سمير رحماني	باتنة1	د/السعدي ساكري	أم البواقي	مصطفى ثابت	ورقلة	د/ سعدالدين بوطبال	خميس مليانة
د/سهيلة لعور	خنشلة	د/ مجيد قري	خنشلة	د/محمود بوقطف	خنشلة	د/سورية زرقين	خنشلة
أد/صباح بلقيدوم	خنشلة	د/عبداللطيف تيقان	خنشلة	أد/مزاهدية رفيق	خنشلة	د/فالق سمية	خنشلة
أد/صورية جغبوب	خنشلة	أد/عبدالمجيد لخذاري	خنشلة	أد/عبدالغاني بوالسكك	باتنة1	د/فيصل سعودي	خنشلة
د/عبد الحليم طاهري	خنشلة	د/علاوة عمارة	قسنطينة	د/مريم وفاء مرداسي	خنشلة	أد/عادل زقاغ	باتنة 1
د/عبد الرزاق تومي	باتنة1	د/زينب بن الطيب	باتنة1	د/أحمد عماد خواني	سطيف	د/علي عشي	باتنة1
د/عبدالجليل جباري	خنشلة	د/براهيم بن مهية	قسنطينة	د/أنور مقراني	سطيف	د/شوقي قاسمي	بسكرة
د/عبدالحميد ختالة	خنشلة	د/نسيمة شمام	خنشلة	أد/عبدالرحمن تبرماسين	بسكرة	د/عبدالرشيد معمري	خنشلة
د/عبدالمالك عثامنة	خنشلة	د/ آمال بوعيشة	بسكرة	أد/محمود قرزيز	خنشلة	د/عيسى ليتيم	خنشلة
أد/عماد دمان ذبيح	خنشلة	د/ميلود مراد	باتنة 1	د/عادل الصيد	أم البواقي	أد/سليمان جارالله	باتنة 1
أد/عمرو عيلان	خنشلة	أد/سميرة ناصري	خنشلة	د/ريمة حساني	خنشلة	أد/حبيبة عبدلي	خنشلة

د/فاتح حنبلي	أم البواقي	أد/انصاف بن عمران	خنشلة	د/أمينة علاق	أم البواقي	أد/ صبرينة جبايلي	خنشلة
د/فريدة لبعل	باتنة 2	د/نزار عبدلي	الطارف	د/لطيفة موس	وهران 2	د/سامي بخوش	باتنة1
أد/قروي سميرة	خنشلة	أد/خان محمد	بسكرة	د/سيفي عزالدين	خنشلة	د/سلامي نادية	خنشلة
د/كريمة حجازي	خنشلة	أد/محمد بوكماش	خنشلة	د/فوزي نجار	خنشلة	د/ سليم أونيس	خنشلة
د/لحسن عقون	بسكرة	د/صلاح الدين عمراوي	باتنة 1	د/معاذ ميلي	قسنطينة	د/سامي شايب	ورقلة
د/مريم بوشيربي	خنشلة	د/كوسر عثامنية	خنشلة	أد/سناء بولقواس	خنشلة	أد/حنان اوشن	خنشلة
د/نعيمة شلغوم	خنشلة	أد/عطاء الله توفيق	خنشلة	د/عبدالحفيظ معوشة	خنشلة	أد/ماية بن مبارك	خنشلة
أد/النوي بن مبروك	خنشلة	أد/سمير مسعي	خنشلة	د/بدرالدين لوصيف	خنشلة	د/عمارة عبدالحليم	خنشلة
د/هاشمي قشيش	خنشلة	أد/السايح بوساحية	تبسة	د/مريم عثماني	خنشلة	أد/عمار بالة	خنشلة
د/هشام تومي	خنشلة	أد/هادية يحياوي	خنشلة	د/محمد شروف	باتنة1	د/لخميسي آدمي	خنشلة
د/هشام سوهالي	باتنة1	أد/رؤوف بوسعدية	سطيف2	أ.د/رشيد بلعيفة	خنشلة	أد/نجاة بن مكي	خنشلة
د/وليد كفالي	خنشلة	أد/سفيان عرشوش	خنشلة	د/سمير مفتاح	بوسعادة	د/سميحة مناصرية	خنشلة
د/نبيل قواس	خنشلة	د/ زكية بلهول	سطيف	د/سعاد احميدة	تبسة	أ.د / رشيد سهيلي	تبسة
أ.د / سهى حمزاوي	خنشلة	د/قويدر صيكوك	البيض	د/عبدالقادر رحمون	خنشلة	د / كليل صالح	خنشلة
د/ فوزية بن كمشي	خنشلة	د/ شهرزاد سوفي	خنشلة	د/ فيصل مامن	خنشلة	د/ حسينة عيادي	خنشلة
د/ بوبكر بن عمران	خنشلة	أد/ دلال عظيمي	خنشلة	د/ احسن العايب	خنشلة	د/ عصام سليماني	خنشلة
د/ حسين بوخيرة	خنشلة	د/ وردة خليفي	خنشلة	د/ لبنى حشوف	خنشلة	د/ و افية عو ايجية	خنشلة

كلمة السيد مدير الجامعة

أ.د/ عبدالواحد شالة

تعود المجلة الدولية للدراسات الإنسانية إلى قرائها الكرام في عامها الثاني مع اصدارها للعدد السادس، الذي يتوافق مع الدخول الاجتماعي وبداية الموسم الجامعي 2025/2024، متمنين التوفيق والنجاح لكل طالب علم وكل باحث جاد.

ونحن إذ نصدر هذا العدد من المجلة الدولية للدراسات الإنسانية، نؤكد أن العلم أمانة وأن الكلمة شرف صاحبها، فالأمر يقتضي الصدق والأمانة والإخلاص والصواب وسلامة النوايا.

يسر أسرة المجلة الدولية للدراسات الإنسانية أن تقدم لقارئيها من الباحثين وطلبة الدراسات العليا خصوصا، هذه الباقة الجديدة من المقالات في مختلف التخصصات الإنسانية لباحثين من داخل وخارج الوطن، كما تسعد المجلة للاستماع إلى آرائكم البناءة حول مسار المجلة وموضوعاتها من خلال موقعها في الجامعة أو من خلال البريد الالكتروني.

إننا نُعمل الجهد والوسع لإصدار أعداد المجلة رغم الصعوبات، وإذ نواصل السعي إلى تحسين محتوى المجلة شكلا ومضمونا، ونسعى دوما نحو العالمية من خلال تصنيفها في قواعد البيانات والمعلومات؛ وأملنا أن تكون المواضيع المختارة مفيدة وإضافة نوعية لمختلف شرائح القراء.

وفي الأخير نسأل الله السداد والتوفيق

مدير الجامعة

أ.د/ عبد الواحد شالة

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات؛

بتوفيق من الله عز وجل، وبجهود هيئة التحرير تصدر المجلة الدولية للدراسات الانسانية هذا العدد ليضاف إلى رصيد المجلة؛ هو العدد السادس وفاء للباحثين من الأساتذة وطلبة العلم والأكاديميين في داخل الوطن وخارجه، محافظة على استمراريتها وديمومتها مع الحرص على انتقاء المواضيع الجادة والهادفة في مختلف الميادين التي تنشر فيها المجلة.

تقدم المجلة في هذا العدد مجموعة من البحوث والدراسات المتميزة والمتخصصة؛ في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث استقبلت المجلة في العدد مجموعة من المواضيع لباحثين من الجزائر وخارجها، وهي تتيح لأكبر عدد من الباحثين وأساتذة الجامعات فرصة النشر والمساهمة في إثراء المعرفة العلمية.

كما نتقدم بجميل العرفان والتقدير لخبراء المجلة من داخل الوطن وخارجه، الذين ساهموا في تحكيم المقالات ، شاكرين لهم جميل صبرهم على تفحص المادة العلمية المنشورة في مجلتنا، وحرصهم على قيمة المادة العلمية وجودتها زيادة عن إصرارهم للسعي في إخراج أعداد المجلة في وقتها المحدد، وقد جاءت مقالات هذا العدد متضمنة مواضيع متنوعة، فكان المقال الأول من دولة العراق بعنوان مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الإسلامي (القرن السابع الهجري أنموذجا)، والمقال الثاني من جامعة قسنطينة متضمنا تعليم المهارات الحياتية تجارب تعليمية تحويلية لضمان تحقيق تعليم نوعي

أما الثالث من جامعة الأغواط، بلاغة المجاز والإعجاز ضِمن النظرية البلاغية العربية؛ ومن جمهورية مصر العربية جاء المقال الرابع يوضح الدور المحوري للإنابة القضائية الدولية كإحدى آليات الحد من الجريمة المنظمة(دراسة حالة جمهورية مصر العربية)؛ومن جامعة باتنة1، المقال الخامس يبين الرمزية الجنائزية للحيوانات الخرافية في العالم القديم، وتضمن المقال السادس تشكلات الصورة الرحلية في رواية (شاهد من إشبيلية) لمنى التميمي، وختام الباقة من جامعة تبسة جاء المقال السابع بعنوان الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية دراسة وصفية تحليلية لفيلم "مصطفى بن بولعيد"،

نأمل الاستمرارية والمواصلة في إصدار الأعداد القادمة باعتماد الجدية والجودة في المواضيع المنتقاة، ونسعد بمشاركة الباحثين والمهتمين بمجال النشر من داخل الوطن وخارجه.

رئيس تحرير المجلة

الأستاذ الدكتور:

لخذاري عبدالمجيد

1.المجلة الدولية للدراسات الإنسانية ذات منظور متعدد التخصصات تقبل مساهمات الأساتذة والباحثين في المجالات التالية: (الآداب واللغات الأجنبية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، الحقوق والعلوم السياسية، اللغة والأدب العربي، العلوم الإنسانية والاجتماعية علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، اللغة والثقافة الأمازيغية، الفنون)

2. تستقبل المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة باللغة العربية أو أي لغة أخرى في شتى التخصصات المرتبطة بمجالات المجلة.

3. ينبغي أن لا تقل الأعمال المقدمة للمجلة عن 10 صفحات، وأن لا تزيد عن 30 صفحة (5000 إلى 9000 كلمة) .

4.يشترط أن يكون البحث المقدم أصيلا ولم يسبق نشره وأن لا يكون مستلا، و أن لا يكون قيد التحكيم لدى مجلة أخرى.

5. تقدم البحوث على هيئة ملفات Word، على أن تكون المقالات المكتوبة باللغة العربية محررة بخط من نوع Sakkal Majalla بحجم 14، بمسافة 1,15 بين الأسطر، العنوان الرئيسي للمقال بحجم 16 عريض، العناوين الفرعية بحجم 14، وفي الهامش يكتب بخط من نوعSakkal Majalla بحجم 12 بمسافة 1 بين الأسطر

أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية فتكتب بخط Times New Romanبحجم14، العنوان الرئيسي 12عريض، والعناوين الفرعية بحجم 12، ويحدد الفاصل ما بين الأسطر بمسافة 1.5.

حقوق التأليف وأخلاقيات النشر:

1. من أجل الحفاظ على سمعة المجلة وحماية حقوق مؤلفيها يتوجب الامتثال للقواعد الأخلاقية المتعلقة بالأمانة العلمية.

2.يلتزم المؤلف بنقل حقوق التأليف والنشر والطبع. للمجلة.

3 المقالات والبحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجامعة ولا عن رأي هيئة التحرير، و إنما تعبر فقط عن رأي مؤلفيها.

الملخص وبيانات المؤلف:

1.تتضمن الصفحة الأولى العنوان الكامل للمقال بلغتين، الاسم الكامل للباحث أو مجموعة الباحثين، المخبر إن وجد، مؤسسة الانتماء، البلد، وعنوان البريد الإلكتروني المهني، وملخصين للبحث في حدود 150 كلمة بما في ذلك الكلمات المفتاحية.

2. يحرر الملخص الأول باللغة التي كتب بها المقال، فيما يحرر الملخص الثاني بلغة مغايرة، ويفضل أن تكون الملخصات الثانية باللغة الإنجليزية (إذا كانت البحوث المقدمة محررة بغير اللغة الإنجليزية) .

3- يلتزم الباحث بطريقة التوثيق المعتمدة من طرف الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA)، وينبغي عليه إثبات المراجع و الهوامش بالشكل الآلي الذي يوفره برنامج Word .

إعداد الجداول ،الأشكال،الخرائط والصور:

1. ترقم وترتب الجداول والأشكال ترتيبا تصاعديا وتوضع في مكانها المناسب في المقال، ويجب أن تقدم هذه الجداول في حدود مقاس الورقة وبالنمط العمودي (portrait) .
2. ترقم وترتب الخرائط والصور والأشكال ترقيما تصاعديا وتوضع داخل النص، ويشار إلى مصدرها كمايلي: اسم الخريطة أوالصورة أو الشكل رقم () .
3. ترسل الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع jepg ، أو png .
4. يجب أن يكون عدد الخرائط والصور محدودا، وتخص فقط تلك التي تقدم معلومات هامة لا يمكن الاستغناء عنها .

إجراءات التحكيم والنشر:

1. تخضع كل البحوث والدراسات إلى الإغفال والتقييم السري من طرف محكمين مختصين، وتعتبر تقاريرهم أساس القبول أو الرفض أو التعديل.
2. المقالات المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
3. كل مقال لا توفر فيه هذه الشروط لا ينشر.
4. ترسل البحوث والدراسات على موقع المجلة في المنصة الوطنية للمجلات:
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/881
5. وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى البريد الإلكتروني:
revue@univ-khenchela.dz

رقم	عنوان المقال	الصفحة
01	مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الإسلامي (القرن السابع الهجري انموذجا) رشا عبد الكريم فالح -مركز دراسات البصرة والخليج العربي-، جامعة البصرة -العراق	39-10
02	تعليم المهارات الحياتية: تجارب تعليمية تحويلية لضمان تحقيق تعليم نوعي بودردابن أمينة، جامعة قسنطينة2- الجزائر	67-40
03	بلاغة المجاز والإعجاز ضمن النظرية البلاغية العربية فضلي لعجال، جامعة عمار ثليجي، الأغواط – الجزائر	77-68
04	الدور المحوري للإنابة القضائية الدولية كإحدى آليات الحد من الجريمة المنظمة (دراسة حالة جمهورية مصر العربية) السيد أحمد فهمي – كلية الحقوق – جامعة عين شمس- القاهرة – مصر	97-78
05	الرمزية الجنائزية للحيوانات الخرافية في العالم القديم سليم سعيدي، جامعة باتنة 1، الجزائر	113-98
06	تشكلات الصورة الرحلية في رواية (شاهد من إشبيلية) لمنى التميمي محمد بن ظافر القحطاني - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد بأبها- المملكة العربية السعودية عبد القوي علي صالح العفيري - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد بأبها- المملكة العربية السعودية، جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية	152-114
07	الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية دراسة وصفية تحليلية لفيلم "مصطفى بن بولعيد" منير طبي، جامعة العربي التبسي، الجزائر	176-153

مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الإسلامي (القرن السابع الهجري أنموذجا)

The city of Maragheh and its role in the scientific movement in the Islamic era

رشا عبد الكريم فالح جامعة البصرة -مركز دراسات البصرة والخليج العربي-
العراق rasha.faleh@uobasrah.edu.iq

تاريخ الارسال:19-02-2024 تاريخ القبول:28-07-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

تعتبر مدينة مراغة من المدن الاسلامية ذات الاهمية الكبرى والتي كان لها دور كبير في الحياة العلمية وازدهارها في المنطقة، وخاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول، مما دفع العلماء إلى ايجاد مكان آمن، فكانت مراغة هي ذلك المكان، وبالتالي ساعدت هجرة العلماء إليها في الازدهار العلمي هناك، فهي تقع في اذربيجان وقد اشتهرت بكثرة المزارع والبساتين فيها، واستمرت بالازدهار العلمي، إذ أزهرت بكافة أنواع العلوم الدينية والفكرية والعقلية، وكانت المساجد أحد أماكن الازدهار العلمي والفكري إلى أن دخلها التتار فخربوها.

المفاتيح: بغداد، المغول، اذربيجان، الخلافة العباسية، المساجد.

Abstract

The city of Maragheh is considered one of the Islamic cities of great importance, which had a major role in scientific life and its prosperity in the region, especially after the fall of Baghdad at the hands of the Mongols, which prompted scholars to find a safe place, so Maragheh was that place, and thus the migration of scholars to it helped to flourish scientifically there, as it is located In Azerbaijan, it was famous for its many farms and orchards, and it continued its scientific prosperity, as it flourished in all types of religious, intellectual, and mental sciences. Mosques were one of the places of scientific and intellectual prosperity until the Tatars entered them and destroyed the city.

Keys: **Baghdad, Mongols, Azerbaijan, Abbasid Caliphate, mosques**

المؤلف المرسل: رشا عبد الكريم فالح

مقدمة:

أثرت حضارة العرب في الكثير من البلدان العالم الإسلامي وبلدان أخرى، لما لهم من حضارة عريقة وخاصة للكثير من البلدان التي تم فتحها، بالإضافة إلى أن العرب قاموا بإنشاء الكثير من المدن في تلك البلدان المحررة والتي حملت أسمائهم ومنها مدن وأقاليم المشرق الإسلامي ومن أهم آثارهم نشر الدين الإسلامي، وانتشار مختلف العلوم والمعارف في تلك البلدان والتي كانت فيما بعد لها الدور الكبير في المساهمة في مختلف تلك العلوم والمعارف، وخاصة أن للدين الإسلامي الأثر الكبير في انتشار تلك العلوم والمعارف، فقد حث على التزود بمختلف أنواع العلم والمعرفة.

ومن هذه المدن مدينة مراغة التي أنشأها مروان بن محمد الأموي، ثم خزيمة بن خازم والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة.

إذ أن من جملة الأمور التي ساعدت على التقدم العلمي في مدينة مراغة، وبالأخص في القرون المتقدمة بسبب التأخر في النشاط العلمي الذي شهدته مدينة بغداد بعد الغزو المغولي لها سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الآمن، مما تسبب في هجرة علمائها إلى مراغة، بالإضافة لقيام العلماء في المدن الأخرى بالهجرة لمكان آمن، فكانت مراغة هي ذلك المكان الملائم. كما أنه من أبرز الأسباب التي ساعدت على التقدم العلمي في مدينة مراغة اهتمام المغول الواضح بها، واعتبارها مقراً إدارياً وعاصمة لإقليم أذربيجان؛ فتنوعت العلوم التي انتشرت في مدينة مراغة، كالعلوم الإسلامية والعلوم العقلية المختلفة، والنقلية التي اشتهرت بها المنطقة، فضلاً عن الحركة الأدبية التي نشطت هناك.

اشكالية البحث:

يعتمد البحث العلمي على إلمام الباحث بأهم بالأسس والمفاهيم النظرية التي تستند عليها مشكلة البحث ومقدرته في تحديد البحث بشكل يمتاز بالشمولية؛ وبناء على هذا أن مشكلة البحث تم تحديدها كما يأتي:

ما هو الدور الذي لعبه العلماء العرب المسلمون في مختلف العلوم في البلدان التي انتقلوا فيها؟.

فرضية البحث:

حددت فرضية البحث بأن للعرب المسلمين دور كبير في تطور مختلف العلوم في البلدان التي دخلوها بمختلف المجالات.

أما اهم المصادر التي اعتمدت في البحث منها الكتب الجغرافية والبلدانيين مثل كتاب الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفي: 346هـ)، المسالك والممالك، وكتاب ابن حوقل، ابو القاسم (ت367هـ)، صورة الأرض، أما من أهم الكتب التاريخية كتاب تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، ت291هـ.وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، إسماعيل بن عمر، بالإضافة للعديد من كتب التراجم أهمها كتاب الذهبي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال. بالإضافة إلى كتب اللغة والمصادر الأخرى مدينة مراغة ودورها في الحركة العلمية في العصر الاسلامي

وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين كالتالي:

المبحث الأول:

1.نبذه تاريخية

2.إسم المدينة وموقعها:

المبحث الثاني:

الحياة العلمية وانتشار العلوم النقلية والعقلية

1. انتشار أماكن التعليم في مدينة مراغة
2. ازدهار الحركة الادبية في مراغة
3. انتشار مجالس الوعظ
4. ازدهارها بالعلوم النقلية
5. انتشار العلوم العقلية

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

1- نبذة تاريخية عن مدينة مراغة:

لقد كان للعرب المسلمون حضارة أصيلة امتدت إلى العديد من البلدان بحيث أثرت حضارتهم على البلدان التي افتتحوها والتي خضعت لنفوذهم، فلقد كان لهم دور في انشاء العديد من المدن داخل البلدان المحررة والتي تحمل أسماء غير عربية، فلقد نتج عن حركة الفتوحات الاسلامية لأقاليم ومدن المشرق الاسلامي آثارا مهمة، وفي مقدمة هذه الآثار نشر الإسلام في تلك المناطق وتنظيم الجوانب الحياتية لها، بما يتوافق مع مبادئ الإسلام حيث أصبحت تلك المدن بمثابة القواعد العسكرية لهم، الأمر الذي كان سببا مباشرا في بناء مثل تلك المدن في المنطقة لتكون أشبه بمقرات للجنود المعسكرة هناك ونقطة لانطلاقهم لتحرير بقية المناطق واخضاع المتمردين من السكان في حالة قيامهم بالثورات ضد الوجود العربي هناك.

كما أن الفتوحات التي قام بها العرب المسلمون لم تلحق أضراراً على المدن ولم يتم تدميرها أو حرقها أو تخريب معالمها العمرانية أو لضواحيها ومزارعها وحقولها الزراعية المنتجة أو تدمر قلاعها أو أسواقها وحصونها، بل على العكس فإن العرب المسلمين عندما دخلوا تلك المدن وأقاموا فيها معسكرات وأضافوا إلى تلك المدن ووحداتها العمرانية وحدات أخرى تتفق وتفكيرهم في تأسيس المدن وطوروا قدراتها الانتاجية والزراعية وأصبحت هذه المدن فيما بعد تلعب دورا متميزا في التاريخ العربي الاسلامي مثلما يذكر بعض المستشرقين (عبدالجبار ناجي، 2018، صفحة 392)

ومن هذه المدن مدينة مراغة التي انشأها مروان بن محمد الاموي ثم خزيمة بن خازم والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة.

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك التقدم العلمي الكبير لمدينة مراغة وخصوصا في القرون المتقدمة هو ذلك التراجع في النشاط العلمي الذي شهدته مدينة بغداد بسبب الغزو المغولي له سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الآمن، مما تسبب بهجرة علمائها إلى مراغة، فضلاً عن تغير وجهة العلماء في المدن الاخرى الباحثين عن مكان آمن تتوافر

فيه فرص النشاط العلمي ومؤهلاته، فكانت مراغة هي ذلك المكان الملائم. ومن الأسباب الأخرى للتقدم العلمي في مدينة مراغة اهتمام المغول الواضح بها، واتخاذها مقراً إدارياً وعاصمة لإقليم أذربيجان؛ لقد تنوعت العلوم التي انتشرت في مدينة مراغة، كالعلوم الإسلامية والعلوم العقلية المختلفة، فضلاً عن الحركة الأدبية التي نشطت هي الأخرى في تلك المدينة، كما تعددت مجالس الوعظ في مدينة مراغة من دلائل القبول الاجتماعي له والاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي في تلك المدينة، كذلك كانت أماكن التعليم في مدينة مراغة مختلفة ومتعددة، كالمدارس والجوامع والرباط والزوايا ومنازل العلماء الخاصة وغيرها، بالإضافة لذلك وجود المراصد ومن بينها مرصد مراغة الذي يعدمن أهم المنجزات العلمية والثقافية في القرن السابع الهجري، لأهميته الكبرى في الجانب الفلكي، فضلاً عن كونه أصبح مقصداً للعلماء الوافدين على مراغة للعمل به أو الاطلاع عليه؛ كما تعد مكتبة مراغة أحد أشهر المكتبات في العالم الإسلامي في العصور الإسلامية كافة، لكثرة الكتب القيمة بها ولدورها في نشاط الحركة العلمية.

1-1-. اسم المدينة وموقعها:

مراغة لغوياً: م ر غ، مرغة في التراب فتمرغ اي معك فتمعك والموضع متمرغ (الرازي، اسماعيل بن حماد، ، 1986، صفحة 293)، أما الصحاح في اللغة يمرغ: مرغته في التراب ومراغ ومراغه ومرت السائحة العشب تمرغه مرغاً (الجوهري، اسماعيل بن حماد، (، الجوهري، اسماع، 1956، ، صفحة 1325).وهي بلدة مشهورة وهي من اعظم بلاد اذربيجان تقع على مسافة سبعين ميلاً جنوب تبريز (ياقوت الحموي، صفحة 13)(بكسر أولها وسكون ثانية وكسر الراء وباء ساكنة من اشهر مدن أذربيجان فهي مدينة عامرة ذات خضرة واسعة واسوار محصنة اشتهر بها العديد من العلماء احتلها التتر وخربوا معالمها سنه 618هجرياً) (ياقوت الحموي، صفحة 93) ، وهي مدينة و محصنة وذات قلاع (الموصلي، 1992، الصفحات 324-325) ، كانت مراغة تدعى افراز هروذ فعسكر بالقرب منها مروان بن محمد بن الحكم عندما كان والياً على ارمينية واذربيجان عند منصرفه من احدى الغزوات (ت65هـ/ 689م) ابن أبي العاص بن اميه وهو

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

صحابي وكان من سادات قريش وفضلائها كان والياً على أرمينيا واذربيجان، عينه عبد الملك بن مروان (ياقوت الحموي، الصفحات 56-57) بعد غزوته (لموقان وجيلان) وموقان: ويسمونها (موغان) وهي ولاية فيها الكثير من القرى ومروج تستغلها التركمان للرعي في طبرستان (ياقوت الحموي) (ياقوت الحموي، صفحة 225) وأما جيلان في بلاد طبرستان، وهي قرى في مروج بين الجبال (ياقوت الحموي، صفحة 201). وكانت دوابه ودواب اصحابه تتمرغ فيها فظلوا يقولون اذوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة، فسميت بذلك (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 325) (ياقوت الحموي، صفحة 93) (احمد، 2001، صفحة 488). وكان أهلها قد الجأوها إلى مروان فابتناها وكثر الناس فيها وعمرها وبعد انتهاء حكم الدولة الأموية أصبحت تابعة للخلافة العباسية (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 337) وذكر ابن حوقل في كتابه عن مراغه (هي مدينة نزهة كثيرة البساتين والانهار والحياة والفواكه الحسنة والخيرات والغلات من جميع الجهات إلى كثرة الرساتيق والزروع....) (الموصلي، 1992، صفحة 93).

وهي مدينة من مدن إقليم اذربيجان وتقع على (أقصى الجنوب الغربي في بحر قزوين ويتصل من جهة الجنوب ببلاد الديلم ومن الغرب والشمال بأرمينيا ومدنها اردبيل ارميه، مرند، خوى، مراغة، تبريز) (اليعقوبي، 1860، صفحة 47).

فكانت مدينة تبريز هي قاعدة الإقليم ثم بعد ذلك مدينة مراغه في أواخر عهد العصر العباسي وبداية الايلخاني، أخذت مدينة مراغه لإحدى بنات الرشيد (170هـ_193هـ) (ياقوت الحموي، صفحة 93) (786م_808م)، وكان أميرها (الوالي) الوجناء بن رواد الازدي (ياقوت الحموي، صفحة 93)، أما المصادر الاخرى وما ذكرته عن هذه المدينة هي (مدينة كبيرة ونزهة ذات نعم ومياه جارية وبساتين نضرة وكان عليها سور حصين خربه ابن ابي الساج) (مجهول، 1423، صفحة 155)؛ وهذا مما يدل على أن هذه المدينة تحت سيطرة الإمارة الساجية.

بالإضافة للأهمية الاقتصادية لمدينة مراغة الاقتصادية فهي لا تقل عن اهميتها العسكرية إذ أصبحت مدينة زراعية تنتج أراضيها الخصبة مختلف أنواع الغلات الزراعية حتى وصفت بكثرة بساتينها ورساتيقها وتنوع فواكهها (الموصلي، 1992، صفحة 288) (المسالك والممالك،،

1961، صفحة 208)وتشتهر قرية (اردهر) وهي احدى قرى مراغة بزراعة نوع من البطيخ الذي كان يسمى بـ(الاردهري) وهو بطيخ مستطيل الشكل داخله احمر اللون وخرجه اخضر. ووصف بطبيب طعمه وشدة حلاوته وقيل انه كان يضاهي بطيخ خراسان (الموصلي، 1992، الصفحات 288-289) (الحميري،، 2000، صفحة 288) (أبو الفداء اسمعيل بن علي، 1963، صفحة 399)؛ أما العمري، فذكر عن هذه المدينة (هي مدينة حسنة كبيرة نزهه الاقطار كثيرة البساتين والزرع والثمار) بانها من قواعد اذربيجان وتقع غربي تبريز واعطيت إلى جنكيز خان بعد وفاة والده (مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، 2010، صفحة 38) .

1-2-فتح المدينة:

عندما فتح اقليم اذربيجان اصبحت اذربيجان من ضمن هذه الدولة العربية الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب (13_23هـ/ 631_641م)، وترجح الروايات المتعلقة بتاريخ الفتح (21_22هـ/ 639_640م) حيث توجه حذيفة بن اليمان (اليعقوبي، 1860، صفحة 48)(ت36هـ/6554م) من نهاوند إلى اذربيجان وصالح حاكمها المزربان حذيفة عن جميع اهل اذربيجان على 800 ألف درهم على ان لا يقتل احد او يسبيه (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، الصفحات 335-336) (الذهبي، 1984، الصفحات 362-363) ، وعين والياً عليها عتبة ابن فرقد السلمي (- عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن رفاعة السلمي، أسلم قبل غزوة خيبر، شهد هذه المعركة مع رسول الله (ص) وشهد معركتين معه، وفتح في عهد عمر بن الخطاب (رض) في سنة 81هـ) (العسقلاني، 2008، الصفحات 77-97) ، وكتب لأهلها الخليفة عمر أماناً وفرض عليهم جزية (فتوح البلدان، 1956، الصفحات 336-337).

أخذ الإسلام ينتشر بمدينة مراغة في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23_35هـ/641_653م) خاصة بعد أن قام الوالي الاشعث بن قيس (يلقب بالكندي ويكنى بابن محمد وكان اسمه معدي كرم على اسم جده وفد على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على رأس قبيلة كندة وأسلم كان موالياً لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) لكنه قلب عليه في أواخر حياة علي (عليه

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

السلام) حيث كان معه في صفين وتوفي بعد الامام علي (عليه السلام) وقيل في في عام 42هـ) (العسقلاني، 2008، الصفحات 181-182) (ت42هـ/662م) بتوطين عدد من العرب من أهل العطاء والديوان في أذربيجان وأخذ هؤلاء بالدعوة للدين الإسلامي بأمر منه (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، الصفحات 336-339)، استمرت ولاية الاشعث والياً لأذربيجان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، إذ أسلم الكثير من سكانهم وأصبح عدد ليس بالقليل منهم حافظ للقرآن واستوطن في هذه المنطقة عدد كبير من أهالي البصرة والشام والكوفة مع بنو رواز وهم من قبائل الازد العربية ، وأذربيجان من فتوح الكوفة فبقت تابعة لوالي الكوفة لها أدارياً (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 339) ، وفي سنة (83هـ/701م) قام عبد الملك بن مروان (65(86هـ/683_704م) بجعلها تابعة لوالي الجزيرة ادارياً (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 332)، كما أضيفت أذربيجان لولاية ارمينا بزمن الخليفة هشام بن عبد الملك (105_125هـ/723_742م) (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 93)،أما في زمن الامير مروان بن محمد عام (114هـ/732م) أصبحت ولاية أذربيجان وأرمينيا والجزيرة تحت إمارته، كما قام ببناء داراً للأمارة وجعل منها معسكراً له .

وفي رواية أوردها ابن حوقل يذكر أن أهم المجمعات والابنية قد تم بنائها في المدينة (الموصلي، 1992، صفحة 288)، بالإضافة لبناء المساكن الخاصة بسكان المدينة خاصة العرب منهم وخاصة بعد استقرار الوضع الأمني هناك (اليعقوبي، 1860، صفحة 272). وازدهرت عملية البناء في المنطقة وخاصة في عهد الدولة العباسية وخاصة بعد أن أصبحت مراغة تابعة للدولة العباسية واعطيت لبعض بنات هارون الرشيد وقد أعد الرشيد أمراً إلى والي ارمينية واذربيجان في عهده وهو أبو خزيمة خازم بن خزيمة بن عبد الله النهشلي الدارمي التميمي (90-153هـ/708-770م) من قادة الدولة العباسية المشاركين في الحرب العباسية الأموية، والذي دعاه بالقيام لتحصين المدينة من خلال بناء الأسوار بها نتيجة لظهور العديد من المخاطر منهم (الرواد الازدي وأبناؤه وصدقة بن علي مولى الازد) فقام الأمير خزيمة

مما جعله لبناء الاسوار وتحصين المدينة وإنزال الجيش بأعداد كبيرة هناك (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 225) (ياقوت الحموي، صفحة 93).

فأمر عدد من عماله بترميم سور المدينة وتحصينه في خلافة الخليفة المأمون منهم علي بن هشام و الأمير أحمد بن محمد بن الجنيد (شاكر، 1997، صفحة 253) (البلاذري يحي بن أحمد، 1956، صفحة 225) (ياقوت الحموي، صفحة 93)،مما يعني الأهمية العسكرية والإدارية لمدينة مراغة ومن اهم المدن في أذربيجان واخذت شهرتها في كل انحاء البلاد (ياقوت الحموي، صفحة 93)

كما قام المغول بالهجوم على المدينة شأنها شأن المدن الإسلامية الأخرى في المشرق الإسلامي آنذاك، إذ قتل العديد من سكان المدينة وخربت بيوتهم. ففي عام "618هـ/1221م" وبعد أن تخلص التتر من السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد(هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، كانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهور. اتسع ملكه حتى تملك من العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس، قبل ان توفي سنة (617هـ/1220م)) (ابن الاثير، 2002، صفحة 407)، توجهوا لمدينة مراغة فحاصروها ولم تكن تحت امرة أحد (رجب محمود إبراهيم بخيت، 2010، الصفحات 116-117) (الاشراف الغساني، 1975، الصفحات 383-384). وهذا ما أشار اليه ابن الاثير (ابن الاثير، 2002، صفحة 411)(ت630هـ/1233م)، فحاصروها وليس بها صاحب يمنعها، لأن صاحبها امرأة، تقيم بقلعة رويندز (قلعة رويندز: وهي قلعة من اعمال اذربيجان قرب تبريز) (ياقوت الحموي، صفحة 105) ، فقاتلهم أهلها، ونصبوا عليها المجانيق وزحفوا إليها بالمجانيق وأقاموا عليها عدة أيام ثم ملكوا المدينة عنوة في نفس السنة، إذ نهبوا المدينة بعد أن قاموا بقتل العديد من سكانها وسفك دمائهم (ابن الاثير، 2002، صفحة 411) (الاشراف الغساني، 1975، صفحة 384) (حسن كريم الجاف، 2007، صفحة 264).

وقد وصف ابن الاثير تلك الفاجعة بقوله (ابن الاثير، 2002، صفحة 412) (وبلغني ان امرأة من التتر دخلت داراً فقتلت فيه جماعة وهم يظنونها رجلاً من التتر ثم وضعت السلاح

فإذا هي امرأة، فقتلها رجل أخذته أسيراً وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتر دخل درباً فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمد أحد يده إليه بسوء).

إذ أصبحت المدينة في عهد المغول مدمرة بشكل كامل لكن السلطان جلال الدين بن خوارزمشاه (هو جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي، كان التتر قد قهروا اباه حتى شردوه في البلاد فمات ثم حاربوا جلال الدين فقاومهم بشدة حتى وصفه البعض قائلاً هو سد ما بيننا وبين التتر كما ان السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج، الا ان التتر تمكنوا من هزيمة عسكره فتفرقوا عنه ثم قتله احد الفلاحين بأرض ميافارقين سنة (628هـ/1231م)) (ابن كثير، 1988، صفحة 132) عند دخوله اليها سنة "622هـ/1225م" قام بإعادة إعمار المدينة وإزالة جميع مخلفات الدمار بها (ابن الاثير، 2002، صفحة 499) (الاشراف الغساني، 1975، صفحة 403).

احتلها التتر سنة (628هـ/1231م) وملكوها وأصبح أهلها تحت امرتهم بعد أن وعدوهم بالأمان فأشار ابن الاثير لذلك (ابن الاثير، 2002، صفحة 491): (.... فبذلوا لهم الأمان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا في البلد شحنة وعظم حينئذ شأن التتر واشتد خوف الناس منهم)، وخلال سنة (656هـ/1258م)، أصبحت مراغة مركز مهم للتجارة وعاصمة لأذربيجان خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية على إثر الغزو المغولي لبغداد (الرفيعي عبدالقادر، 2002، الصفحات 139-140).

2- الحياة العلمية في مراغة:

تعتبر مدينة مراغة من المدن الإسلامية التي ذاع صيتها في فترات لاحقة ونشاطها العالمي بشكل كبير، فتوجهت إليها انظار العديد من العلماء الذين كانوا قاصدين مكاناً آمناً وخاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول، فشد العديد من العلماء والمفكرين اليها الرحال باحثين عن مكان آمن وبذلك بدأت مرحلة جديدة لمراغة، إذ شهدت ازدهاراً علمياً وحضارياً كبير وخصوصاً تطورها بمجال العديد من العلوم النقلية والعقلية في وقت لاحق.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

كان للدور الكبير الذي لعبته مدينة مراغة في دفع حركة العلم للأمام من خلال تشجيع الحركة العلمية ان ظهر اهتمام ملحوظ من خلال وجود العديد من المدارس فيها ومن أهم تلك المدارس مدرسة (إحمدك) التي تم بنائها قبل سنة (529هـ/1134م) إذ تعد من المدارس التي كان لها شهرة واسعة في تلك الفترة (ناجي معروف، 1973، صفحة 111) ، ومن المدارس المهمة الأخرى في تلك المرحلة مدرسة القاضي التي نسبت للقاضي كمال الدين محمد بن عبد الحميد القزويني الفقيه المدرس فهي مدرسة قام بأنشائها صاحب مراغة عز الدين ابو الحارث أرسلان للشافعية قبل سنة (605هـ/1208م) (ناجي معروف، 1973، صفحة 124)، كما وجدت العديد من المدارس الأخرى في تلك الفترة التاريخية ولقد وصف ذلك ياقوت الحموي إذ قال: "وبها أثار وعمائر ومدارس وخانكاهات حسنة" (ياقوت البغدادي، 2006، صفحة 93).

إذ يعتبر سقوط الخلافة العباسية "656هـ/1258م" بعد الغزو المغولي لبغداد، من العوامل المهمة التي كان لها أثرها الواضح في التطور والازدهار العلمي الذي شهدته مدينة مراغة والمكانة العلمية المهمة نتيجة الهجرة الكبيرة للعلماء من بغداد باحثين عن الامن والاستقرار لمزاولة أعمالهم وكذلك اهتمام الايلخانيين المغول بها وجعلها عاصمة لإقليم أذربيجان كان لها أثره الكبير في هذا الازدهار والتقدم بالمنطقة آنذاك.

وهذا ظهر واضحاً من خلال الشهرة التي اشتهرت به مدينة مراغة في القرن السابع الهجري في مجال العلوم كافة اذ اخذ العلماء والمفكرين بالتوجه اليها ولقد وصف ياقوت الحموي ذلك (626هـ/1229م) (ياقوت البغدادي، 2006، صفحة 93) بوصفه للمدينة أيامه: (... ولم تزل قصبتها وبها آثار وعمائر ومدارس وخانكهات حسنة وقد كان فيها أدباء وشعراء ومحدثون وفقهاء).

ومن المذاهب التي كانت منتشرة في مدينة مراغة بين سكانها هو المذهب الحنفي، فقد شهدت في القرن السابع الهجري توجه العلماء اليها من كل المذاهب الإسلامية الذين قدموا اليها من كل مكان لنشر علومهم وافكارهم فضلاً عن قدوم الأدباء وعلماء العلوم العقلية اليها خاصة بعد تأسيس المرصد فيها خلال سنة (657هـ/1259م) (الصفدي، 1999، صفحة 147)

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

ولا ننسى ما للحوادث السياسية أثرها الكبير في المنطقة وخاصة حادثة سقوط بغداد بعد الاحتلال المغولي سنة (656هـ/1258م) إذ توجهت انظار العديد من العلماء إلى مراغة فجذبت العلماء إليها إذ ظهر ذلك جلياً من العدد الكبير من العلماء الذين توجهوا لها، وأيضا علماء المدن الإسلامية الأخرى، وهذا ما ظهر واضحاً من خلال العلماء الذين تواجدوا بها ، منهم كمال الدين أبو الفرج اسماعيل بن أبي بكر الايجي (ت698هـ/1299م) إذ يعتبر من أبرز الأدباء والحكماء الذين جاءوا لمراغة واستوطنها واشتغل على أئمتها واعجب بنشاط الحركة العلمية بها لا سيما خزائن كتبها فقال: (لولا اتصالي بمراغة لأقمت ببغداد) (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 128-129).

وهـذا يبين لنا الأهمية العلمية والشهرة الواسعة التي وصلت إليها مدينة مراغة إذ شهدت ازدهاراً ملحوظـاً بمختلف النـواحي العلمية والثقافية آنذاك، فتميزت عن بقية المدن الإسلامية بهذا التطور الكبير.

2-1-انتشار أماكن التعليم في مدينة مراغة:

إذ تعددت أماكن التعليم في مدينة مراغة حال العديد من المدن الإسلامية، فإلى جانب الجوامع والمدارس كان هناك الزوايا والمكاتب ودور العلماء الخاصة وغيرها، كان جامع مراغة من أماكن التعليم في مراغة، إذ كان تعقد به بعض حلقات التعليم فضلاً عن كونه مكاناً تلقى به الخطب والمواعظ بصورة مستمرة؛ وممن خطب بجامع مراغة عز الدين ابو الفضل يحيى بن فضل الله الساجوساني (ت384هـ/994م)، ويعتقد بأنه أول من خطب بجامع مراغة لما تمصرت في ايام نصير الدين الطوسي (اليافعي، 1998، صفحة 366)

وتعد المدارس اهم اماكن التعليم في مدينة مراغة، فهي الأكثر نظاما لتعلم مختلف العلوم. ومن تلك المدارس المدرسة الصدرية التي درس بها فخر الدين ابو مسعود منصور بن محمد الكازروني بعد قدومه إلى مراغة سنة (664هـ/1266م) (اليافعي، 1998، صفحة 212) وربما تنسب تلك المدرسة إلى مجد الدين محمد بن خليفة بن ألب ارسلان الرومي، الملقب بالصدر المعظم إذ ذكر ابن الفوطي (اليافعي، 1998، صفحة 512) في ترجمته:_ (...سكن

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

مراغة وله بها مدرسة مجاورة للجامع). فيتحمل انه قصد بالمدرسة التي له المدرسة الصدرية الآنفة الذكر، مدرسة الخليفة (ابن العديم، 2008، صفحة 4341) ،أشار إليها ابن الفوطي عند ترجمته لأحد العلماء وهو مظهر الدين ابو المعالي مطهر بن سيف البخاري (ت681هـ/1282م)، قائلاً:_ (....ورد مراغة فتولى عمل ثالثة في مدرسة الخليفة، وتكلم فأحسن وخلع عليه من ملابسه) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 314).

كذلك كانت هناك بمراغة مدرسة المحيية، انشأها محيي الدين ابو محمد الحسن بن صدر الدين محمد المراغي قاضي مراغة. وهي من المدارس الجميلة، وقد وقف عليها مؤسسها الوقوف الجليلة، وكانت وقفاً على الأشاعرة من فقهاء الشافعية (ابن الفوطي، 2006، صفحة 55) وبنفس الاسم (المدرسة المحيية) كانت هناك مدرسة اخرى بسوق مراغة تنسب لأبنه محيي الدين أبي حامد يحيى بن صدر الدين محمد بن عبد الله المراغي القاضي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 118). ولا نعرف هل هي المدرسة نفسها التي أسسها أبوه والتي ذكرناها قبل هذه المدرسة، أم هي مدرسة أخرى بالاسم نفسه.

وإلى نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (ت672هـ/1273م) تنسب أهم المدارس التي أنشأت في مدينة مراغة وذلك بعد بنائه المرصد سنة (657هـ/1259م)، فقد وصفت بأنها اول اكاديمية علمية واول جامعة حقيقية (الرفيعي عبدالقادر، 2002، صفحة 146)، إذ عمد نصير الدين الطوسي على إنشاء مدارس تدرس بها مختلف العلوم كالفلسفة والفقه والحديث والطب وغيرها، وخصص مبالغ مالية تصرف يومياً لمن يقوم بالتدريس بها، ففي دار الحكمة يصرف للفلاسفة لكل واحد في اليوم ثلاثة دراهم، وفي دار الطب للحكيم درهمان باليوم، ومدرسة للفقه لكل فقيه بها في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم (ابن كثير، 1988، صفحة 224)، إذ فسر أحد الباحثين ذلك التفاوت في المخصصات إلى رغبة الطوسي بتشجيع بعض العلوم لتعويض النقص في اختصاصاتها بعد ان كان التدريس مقتصراً على بعض العلوم الدينية دون غيرها من العلوم ذات العلاقة بتطور المجتمع (الجابري، صفحة 201).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

بالإضافة لقيام بعض العلماء في مراغة بجعل مكتبتهم الخاصة مكاناً لإلقاء المحضرات والدروس ففي ترجمة له لأحد العلماء وهو كمال الدين ابو الفرج إسماعيل بن ابي بكر بن ابي اسماعيل (ت698هـ/1299م)، قال ابن الفوطي (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 127-128): (... قدم مراغة واستوطنها، واشتغل على ائمتها، وكان له بها مكتب يعلم فيه اولاده الاكابر الأدب، وكان جميل الاخلاق ظاهر البشر كريم الصحبة).

بالإضافة إلى أن بعض العلماء جعل من بعض الحوانيت مكاناً يجتمع به العلماء ومن هؤلاء كمال الدين أبو الفضل عمر بن علي بن سالم البلخي (ت666هـ/1268م)، قال عنه ابن الفوطي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 212):(... كان شيخاً عاقلاً قد سافر بلاد العرب والعجم واستوطن مراغة إلى أن توفي بها، وكان له حانوت يجتمع عنده الأكابر والعلماء وكان حلو المحاضرة طيب المفاكهة، رأيته وكتبت عنه بمراغة سنة أربع وستين)، بالإضافة لاستخدام الزوايا مكاناً للتعلم في مراغة، فهي فضلاً عن كونها مركزاً لتعبد الصوفية (المقريزي، 2019، صفحة 292)، فإنها أيضاً كانت مكاناً للتعليم والوعظ الديني (مجهول، 1423، صفحة 254). ومن الزوايا التي كان يرتادها بعض العلماء في مراغة، زاوية تعود لكمال الدين أبي عبد الله أحمد بن عمر المراغي (ت685هـ/1286م)، وهو من أعيان الصوفية، ومن ذوي العلم والمعرفة أشار ابن الفوطي إلى تلك الزاوية بالقول: (ان زاويته كانت محط الرحال من فضلاء الزمان، يأوي إليه الحكماء ويلتجي اليه وفي زاويته اشتغل محيي الدين محمد بن يحيى بن المحيا العباسي بالجلوس في الخلوة سنة خمس وسبعين...) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 109)

كذلك كانت زاوية الشيخ صواب في مراغة من الاماكن التي أقام بها الصوفية لتلقي العلوم الدينية ومنهم علم الدين ابو يعقوب إسحاق بن محمد بن موسى العراقي الذي قدم مراغة سنة (656هـ/1267م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 506).

كما كانت هناك زاوية بمراغة أقام بها موفق الدين أحمد بن موسى المعروف بابن النقيب الحلبي الصوفي، وهذه الزاوية بنهر أباذ من نواحي مراغة وقد وصف ابن الفوطي ابن النقيب

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الحلبي بالقول: (كان عنده تحصيل وأدب ومعرفة، كتبت عنه وكان يكتب مليحاً، أنشدني بمراغة سنة احدى وسبعين وستمائة..) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 593).

ومن أماكن التعليم في مراغة ايضاً، مجلس نصير الدين الطوسي، إذ كان مركزاً لحضور العلماء والتقائهم والبحث والمناظرة والتعلم فيه مختلف العلوم (ابن الفوطي، 2006، صفحة 411)، ووجد بعض المؤسسات الثقافية في مراغة كان لها الدور الكبير في ازدهار الحركة العلمية بها ومنها: _

أ- مرصد مراغة: _ تكمن اهمية المرصد بمراقبة تحركات النجوم والكواكب وابعادها، فضلاً عن معرفة عرض البلد ودائرة الميل والتحول الاعتدالي وغير ذلك من الظواهر الفلكية (سعيد عبد الفتاح عاشور، 2018، صفحة 112)، إذ كان له من الأهمية الكبير في حياة البشر التي من خلاله يستطيع التنبؤ بالأحوال المناخية والظواهر الطبيعية؛ ويرجع اهتمام المسلمين العرب بالمراصد لزمن الخلافة العباسية في زمن الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-832م)، فقد أشارت العديد من الروايات التاريخية إلى أن من أولى المراصد رصد وضع في الاسلام كان بدمشق سنة (214هـ/828م) (ابن شاكر الكتبي، 1974، صفحة 255) (الصفدي، 1999، صفحة 905) ثم كانت مراصد اخرى وهي المرصد البتاني في الشام والرصد الحاكمي بمصر ومرصد بني الأعلم ببغداد (ابن شاكر الكتبي، 1974، صفحة 255)

وعند هجوم المغول على بغداد وسقوط الخلافة العباسية سنة (656هـ/1258م)، والخراب الذي خلفه الغزو المغولي على المدن الاسلامية، اقترح نصير الدين الطوسي على هولاكو إنشاء مرصد عظيم على تل شمالي مراغة، مستغلاً مكانته لديه، فاقتنع هولاكو بعد أن أكد له الطوسي أن القائد المنتصر يجب أن لا يقنع بالتخريب فقط (عبدالله نعمة، 2011، صفحة 542)، لذلك أمر ببناء المرصد وزوده بالآلات المهمة ونقل إلى مكتبته آلاف الكتب الفلكية، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء (الصفدي، 1999، صفحة 147) (العبري، 2007، صفحة 506) (إبراهيم السامرائي، 1961، صفحة 371)

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

فلقد بدأ العمل ببناء المرصد سنة (657هـ/1259م)، واستمر البناء خمسة عشر عاماً، إذ تم بناء المرصد في السنة نفسها التي توفي بها نصير الدين الطوسي (672هـ/1273م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 489) (الصفدي، 1999، صفحة 967) (عبدالله نعمة، 2011، صفحة 545) وأصبحت مراغة موقعا إدارياً وحضارياً مهماً وازدادت شهرتها أكثر بذلك الرصد (محمد، صفحة 247).

ولبيان كيفية إقناع نصير الدين الطوسي لهولاكو بأهمية المرصد نذكر هذه الرواية التي تشير إلى براعة وذكاء نصير الدين الطوسي، تقول الرواية: (لما أراد نصير الدين الطوسي العمل بالرصد، رأى هولاكو ما ينصرف عليه فقال له هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته أيرفع ما قدر أن يكون؟ فقال انا أضرب لمنفعته مثالاً، القان يأمر من يطلع إلى اعلى هذا المكان ويدعه يرمي من أعلاه طست نحاس كبيراً من غير ان يعلم به أحد ففعل ذلك فلما وقعت الطست كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك وكاد بعضهم أن يصعق، وأما هولاكو فإنهما ما تغير عليهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع، فقال له هذا العلم النجومي له هذه الفائدة يعلم المتحدث فيه ما يحصل للغافل الذاهل منه، فقال هولاكو لا باس بهذا، وأمر بالشروع فيه) (الصفدي، 1999، الصفحات 147-148).

بعدها استدعى نصير الطوسي العديد من العلماء من المدن الإسلامية للعمل بالمرصد ومن ضمن هؤلاء العلماء كانوا من مدينة مراغة الذين هاجروا منها فشهدت مراغة نشاطاً علمياً واضحاً، وتدفق للعلماء من كل بلد للعمل بها كل ذلك بفضل المرصد الذي بناه نصير الدين الطوسي.

ولعل من أبرز العلماء الذين اعتمد عليهم الطوسي بشكل مباشر في بناء المرصد، فخر الدين أبو الفضل عبد العزيز عبد الجبار الخلاطي، الذي كان حاذقاً بعلم الطب، قرأ على الشيخ مهذب الدين علي، وتوفي بمدينة مراغة سنة (680هـ/1281م) (ابن الفوطي، 2006، الصفحات 44-45).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

ومن العلماء الذين عملوا بالرصد، نذكر أيضاً مؤيد الدين برمك بن المبارك الدمشقي العرض الذي قيل أنه برع في الهندسة وآلات الرصد، وتوفي سنة (664هـ/1265م) (الصفدي، 1999، صفحة 967) (الخوانساري، صفحة 293)؛ كما كان نجم الدين القزويني من علماء المرصد، وهو ابو الحسن علي بن عمر بن الكاتبي، الذي وصف بأنه من فضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق والهندسة وآلات الرصد. توفي سنة (657هـ/1276م) (الصفدي، 1999، صفحة 170).

ب- مكتبة مراغة: والتي تعتبر من المؤسسات العلمية والثقافية والفكرية المهمة في مدينة مراغة اذ تضمنت أعدادا كبيرة وأنواعاً مختلفة من الكتب وبمختلف أنواع العلم والمعرفة. وتولى خزانة الكتب بها عبد الرازق بن احمد بن محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الفوطي (ت723هـ/1323م). الذي يعد من مؤرخي وعلماء بغداد، أسره المغول بعد احتلالهم بغداد سنة (656هـ/1258م)، وخلصه نصير الدين الطوسي، فأخذ عنه علوم الأوائل كما برع في الفلسفة والتاريخ وغيرها. واشتغل على غيره في اللغة والأدب، ولقد أشارت المصادر التاريخية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، 1998، صفحة 1493) (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، صفحة 347) (ابن عماد الحنبلي، 2006، صفحة 60)أنه باشر كتب خزانة الرصد بمراغة أكثر من عشرة أعوام، وذلك بإشراف مباشر من نصير الدين الطوسي (ابن كثير، 1988، صفحة 313)، وقد ضمنت المكتبة ما يزيد على أربعمائة ألف مجلد، وهي مما نهب من بغداد والشام والجزيرة (ابن شاكر الكتبي، 1974، صفحة 252)

إذ أشار العديد من الباحثين بالمجهود المميز الذي بذله ابن الفوطي لإنشاء هذه المكتبة، بعد أن قام بجولات شخصية للمدن التي تعرضت للدمار بسبب الغزو المغولي قام من خلالها بشراء الكتب التي سرقت من المكتبات بسبب حالة الفوضى وانعدام الأمن فقال: (... ومن المحتمل جداً أن نصير الدين الطوسي قام سواء بجولاته الشخصية في بعض المدن والبلدان، أم من خلال وكلائه بشراء الكثير من تلك الكتب ونقلها إلى مكتبة التي انشأها في مراغة بالإشارة إلى ما ذكره بعض المؤرخين في هذا الصدد من أنه ملأ خزانته العظيمة الواسعة من الكتب التي

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وبذلك يكون الطوسي قد أسدى خدمة عظيمة للعلم والعلماء بجمعه ذلك التراث الإسلامي من الضياع وصيرورته في مكان خاص ينتفع به أهل العلم، فضلاً عما قام به من دور كبير في حفاظه على الكثير من مكتبات بغداد من عبث الغزاة والسراق وتعيينه من تولى إدارتها والإشراف عليها ومن ثم هيأ الأرضية الملائمة لاستمرار الحركة في بغداد بعد الغزو المغولي) (الجابري، 2009، صفحة 211).

2-2- ازدهار الحركة الادبية في مراغة:

كما نشطت الحركة الادبية في مراغة وعلوم اللغة العربية بكافة فروعها كالشعر والنثر والخطابة والكتابة وغيرها في مدينة مراغة، إذ حضر الكثير من اللغويين والعلماء والأدباء لمدينة مراغة فقد قصدها العلماء من مختلف المدن الإسلامية ناقلين معهم الكثير من مؤلفاتهم، فلقد كانت اللغة العربية منتشرة بشكل كبير هناك، ويصاغ بها كثير من الأدب والثقافة (براون، 2022، صفحة 591).

ومن العلماء المشهورين والبارزين في مراغة والذي يعتبر بأنه تميز بحسن خطه وسهوله العبارة، وأنه اكتب أهل زمانه بالعربية والفارسية منهم عز الدين أبو محمد عبد الصمد بن عبد الله بن الحسين المراغي المنشأ (ت619هـ/1222م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 224)

ومن الشعراء البارزين الذين قصدوا مدينة مراغة قادمين إليها من بغداد مجد الدين أبو المظفر بهزاد بن بدل بن إسماعيل البسوي (ت666هـ/1268م)، الذي كان شاعراً فاضلاً إذ سكن بغداد ومن ثم توجه لمراغة فانتقل هناك نتاجه الأدبي، فذكر عنه بأنه كان مليح النظم بالفارسية وكثير الحفظ (ابن الفوطي، 2006، صفحة 411) (الطهراني، 1986، صفحة 961)، ومن الأدباء الآخرين الذين حضروا لمراغة من الأدباء معين الدين محمد بن علي بن عبد الله الشيرازي، وذلك سنة (670هـ/1272م)، إذ مدح نصير الدين الطوسي، وله ديوان باللغة الفارسية (الطهراني، 1986، صفحة 1078)، ومن علماء اللغة العربية في مراغة، قطب الدين أبو المظفر أحمد بن محمود البنكاتي الناسخ (كان حياً سنة 671هـ/1273م)، إذ اشتهر بجمال

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الخط وصحة الضبط كتب العديد لنفسه ولغيره من تصانيف نصير الدين الطوسي في مراغة لما قدمها سنة (671هـ/1273م)، كما اشتهر بحفظه وإنشاده الأشعار (ابن الفوطي، 2006، صفحة 418). ومن الشعراء الذين قدموا لمدينة مراغة اسماعيل بن علي بن أبي عبد الله الاقساسي الحسيني (كان حياً سنة 675هـ/1277م)، وهو أحد فقهاء الشيعة، فضلاً عن كونه ناظماً للشعر، وقد زار مراغة سنة (675هـ/1277م)، ولقيه ابن الفوطي هناك وروى عنه شعراً (السبحاني، 1993، الصفحات 47-48)

2-3-انتشار مجالس الوعظ:

كما امتازت مراغة بوجود مجالس الوعظ إذ انتشرت الكثير من مجالس الوعظ في العديد من المدن الإسلامية، ومن ضمنها مدينة مراغة، إذ حث الدين الإسلامي على الوعظ قال تعالى: {ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم} (سورة النساء، الآية 66)، كما كان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يعظ أصحابه مواعظ وصفت بأنها تخشع لها القلوب وتذرف منها العيون (الخالدي، 2015، صفحة 201).

إذ حث العلماء على عقد مجالس الوعظ لما فيها من فوائد عظيمة، قال القرطبي (القرطبي، 2003، صفحة 12) (ت671هـ/1392م): _ (على الناس ان يعالجوا قساوة قلوبهم بحضور مجالس العلم والتذكر والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينصع فيها).

إذ تعتبر مجالس الوعظ من أوجه النشاط العلمي، فهي بالإضافة عن أهميتها الدينية والاجتماعية لتقويم سلوك الانسان وتشجيعه على الالتزام الديني والأخلاقي، فهي من جانب آخر تدفع بعجلة التقدم العلمي إلى الامام، فالوعظ لابد أن تتوفر بهم معرفة بالعلوم الإسلامية، فهم يستدلون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. إذ قال ابن الجوزي (ت597هـ/1200م): (لا ينبغي أن يقص_ يعظ_ على الناس إلا العالم المتقن فنون العلوم، لأنه يسأل عن كل فن، فإن الفقيه إذا تصدر لم يكد يسأل عن الحديث، والمحدث لا يكاد يسأل عن الفقه، والواعظ يسأل عن كل علم، فينبغي أن يكون كاملاً).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

إذ أصبحت مدينة مراغة من اهم المدن الإسلامية التي تميزت بظهور واضح لنشاط مجالس الوعظ، فمن أبرز الوعاظ الذين زاروا مراغة ووعظوا بها، فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي الشافعي (ت606هـ/1209م)، الذي حضر لمدينة مراغة اذ ودرس لمدة طويلة بها فدرس علم الكلام والحكمة، فضلاً عن الوعظ. قيل عنه في ذلك:_ (وله في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والأعجمي، وكان يلحقه الوجد حال الوعظ، ويكثر البكاء) (اليافعي، 1998، صفحة 7) (السبكي، 1988، صفحة 86)

2-4-ازدهارها بالعلوم النقلية:

أما شهرتها بالعلوم النقلية ويقصد بالعلوم الإسلامية علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وعلم الكلام، ويقدم علوم القرآن الكريم على باقي العلوم الإسلامية لأهميتها ولكون القرآن الكريم المصدر الاول للتشريع الإسلامي، وعليه تعتمد بقية العلوم الإسلامية فالفقيه مثلاً يستنبط منه الأحكام الشرعية وهكذا بقية العلوم وأهم علوم القرآن علم القراءات وعلم التفسير (ابن جماعة، 2017، صفحة 38) (جلال الدين السيوطي، 1989، صفحة 2)

أما الحديث النبوي أو السنة النبوية فهو كل آثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، وعلومه متعددة منها معرفة رجال الحديث وعلم غريب الحديث وعلم علل الحديث وغيرها، كذلك يعد الفقه من العلوم الشرعية وهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية بالاستدلال، أما علم الكلام والذي يسمى أيضاً بعلم أصول الدين، فهو العلم الذي يهدف إلى إثبات العقائد الدينية والمذهبية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها. وقد اختلف علماء المسلمين حول عدة العلوم الإسلامية أم لا، كما اختلفوا حول شرعية العمل به (الذهبي، 1984، صفحة 286)

إن الازدهار الواضح في تلك العلوم قد ألقى بظلاله من خلال العديد من العلماء المسلمين الذين قصدوا مدينة مراغة في القرون اللاحقة، منهم العالم فخر الدين أبو عبدالله محمد بن

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

عمر بن الحسين التيمي البكري الذي كان شافعي المذهب، والذي عرف بفخر الدين الرازي (ت606هـ/1209م) الذي يعتبر واحدا من أحد العلماء البارزين في عصره في ذلك الوقت، إذ قام بالتصنيف في مختلف مجالات العلوم الإسلامية منها تفسير القرآن الكريم، والمطالب العالية في علم الكلام وشرح الوجيز في الفقه للغزالي وغيرها من العلوم الكثير التي كان لها أثرها الكبير (اليافعي، 1998، الصفحات 6-7) (السبكي، 1988، صفحة 87)

وهذا ما أشار اليه اليافعي (اليافعي، 1998، الصفحات 7-8) (ت768هـ/1366م) إذ قال عنه: "كان صاحب وقار وحشمة ومماليك وثروة وبزة حسنة وهيئة جميلة، إذا ركب مشى معه نحو ثلاث مائة مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك..).

إذ اتجه فخر الدين الرازي لمراغة في طلب علم الخلاف، وعقد بها م (ابن الفوطي، 2006)جالس هناك، قبل أن يغادرها متجهاً إلى خوارزم وما وراء النهر ومن ثم هراة، حيث توفي هناك سنة (606هـ/1209م) (اليافعي، 1998، صفحة 8) (براون، 2022، صفحة 615)، كما أن هناك الكثير من العلماء البارزين الذين شدوا رحالهم لمراغة في هذا القرن، منهم عبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد بهاء الدين الحنبلي (ت624هـ/1227م)، الذي اشتهر عنه الاهتمام الشديد بالكثير من بالعلوم الإسلامية، وقد ذكر هو عن نفسه فقال: (كنت أحب كتاب الحديث، فلو كتبت النهار كله لم أضجر، وربما سهرت من أول الليل فما أشعر إلا بالصباح) (الذهبي، 1984، صفحة 195).

ومن العلماء المشهورين في تلك الفترة والذين قصدوا مدينة مراغة أيضاً من العلماء المسلمين والمفكرين غياث الدين أبو الفضل محمد بن محمد الأرموي (كان حياً سنة 666هـ/1268م)، إذ يعتبر من أهم القراء والحفاظ والمحدثين من أهل أرمية، إذ كانت فترة مجيئه لمراغة سنة (666هـ/1268م). وقد قال عنه ابن الفوطي بمدحه (ابن الفوطي، 2006، صفحة 459) (723هـ/1323م):_ (كان شيخاً حسن الهيئة دائم الصمت، حسن السمت، ذكر لي أنه أقام ببغداد مدة وسمع بها الحديث سنة خمسين وستمائة).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

ومن أشهر العلماء المسلمين الذين كان أثرهم الواضح في التقدم العلمي والثقافي وازدهار الحركة العلمية في مراغة خلال القرن السابع الهجري، والذين كانت لهم بصماتهم الواضحة في الحياة العلمية منهم، نصير الدين الطوسي، وأسمه محمد بن الحسن (ت672هـ/1273م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 319) ، إذ يعتبر من العلماء البارزين ولقد قيل عنه اذ وصف بأنها من أكثر علماء عصره براعة بالعلوم العقلية والنقلية (الخوانساري، صفحة 280)، فكانت بدايته الاشتغال في علم الأوائل وصنف في علم الكلام (ابن كثير، 1988، صفحة 268)، فقد برع نصير الدين الطوسي في العديد من العلوم منها علم الحديث والفقه والكلام والفلسفة بالإضافة إلى العلوم العقلية، إذ ذكر عنه أنه منح اجازة في الحديث في مدينة مراغة للكثير من العلماء منهم كمال الدين الحسيني الآبي (ابن الفوطي، 2006، صفحة 155).

كما أن هناك المزيد من العلماء الذين قصدوا مدينة مراغة خلال تلك الفترة من القرن الهجري الذين قاموا بعقد العديد من المجالس العلمية آنذاك، منهم الأمير المبارك أبو المناقب ابن الخليفة العباسي المستعصم بالله (ت677هـ/1278م) الذي حدث عن أبيه بمراغة (الذهبي، 1984، صفحة 175). وخصوصاً بعد المكوث بها قادماً من بغداد بعد الغزو المغولي لها سنة (656هـ/1258م)، فقد كان شديد الاهتمام بعلم الحديث، وقد سمع منه ابن الفوطي بمراغة سنة (666هـ/1268م) (مجهول، 1423، صفحة 328). وكذلك حدث ولده ابو نصر محمد بن المبارك عن أبيه المبارك بمراغة سنة (679هـ/1280م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 255).

كما زار مراغة من المحدثين والفقهاء عماد الدين محمد بن الاشرف المرندي الشافعي (ت680هـ/1281م)، الذي كان مدرساً بالمستنصرية سمع صحيح البخاري على محمد بن القطيعي شيخ دار المستنصرية، ثم توجه إلى مراغة وهناك كتب بالإجازة لأبن الفوطي (علي الميلاني، 1997، الصفحات 369-370).

كما أن هناك العديد من العلماء الذين قدموا لمدينة مراغة وأقاموا العديد من المجالس العلمية بها، منهم شرف الدين ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم أبو اسحاق الزنجاني الشافعي

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

(ت683هـ/1284م)، إذ حدث بمراغة وتبريز بكتاب الأنوار واللمعة في الجمع بين الصحاح لمؤلفه تاج الدين الساوي، وسمع منه الصاحب شمس الدين محمد الجويني واولاده (البغدادي، 2002، الصفحات 7-8).

أما من العلماء والفقهاء من اهل مراغة منهم قطب الدين أبا الخير أحمد بن نجم الدين ابي المظفر فضل الله بن عماد الدين القزويني نزيل مراغة وقاضيها (ت683هـ/1284م)، اذ كان من بيت الحكم والقضاء والعدالة تولى قضاء مراغة ونواحيها سنة (648هـ/1250م)، قال عنه ابن الفوطي :_ (كان حسن السمت، جميل الأخلاق، سديد الفتوى، مشغولاً بما يعنيه وهو ما بصدده من تنفيذ الامور والنظر في قضايا الجمهور ومطالعة التفاسير والاخبار والمسائل الفقهية رايته في حضرة مولانا السعيد نصير الدين وحضر مجلسه غير مرة بمراغة..) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 360)

وأيضاَ من القراء البارزين من قراء مراغة منهم، صفي الدين خليل بن ابي بكر بن محمد بن صديق أبو الصفاء المراغي المقرئ الحنبلي (ت685هـ/1286م)، الذي قرأ على التقي بن باسويه وسمع من القاضي أبي القاسم عبد الصمد ابن الحرستاني، وتفقه على الشيخ موفق الدين المقدسي، وكان عارفاً بالقراءات، عالماً بمسائل الخلاف (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، الصفحات 316-317) (ابن عماد الحنبلي، 2006، الصفحات 390-391).

ولا ننسى أيضا أن مراغة اشتهرت بالعديد من المؤرخين البارزين بها والذين انتقلوا من مراغة لبلدان كثيرة والذين لهم العديد المؤلفات المهمة ومنهم من قصدها، منهم أبو الفرج غريغوريس بن اهرون بن توما الملطي، المعروف بابن العبري، وهو مؤرخ سرياني مستعرب الذي عمل بالطب والفلسفة والمنطق بالإضافة لكتابته التاريخ اتجه إلى مراغة وتوفي بها سنة (685هـ/1286م)، ونقلت جثته إلى الموصل.

إذ ترك لنا العديد من المؤلفات اشهرها تاريخ مختصر الدول ذكر فيه شرح للغزو المغولي لبغداد سنة (656هـ/1258م)، مستفيداً من معلومات لنصير الدين الطوسي الذي كتب عن تلك الحادثة وكان ايضاً موجوداً في مراغة كما هو معلوم (الجابري، 2009، صفحة 217).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

بالإضافة إلى أنه كتب رسالة في النفس الانسانية وخواصها، وشرح قانون الطب لابن سينا وعدد كبير؛ و قصد مراغة الكثير من المؤرخين غير ابن العبري منهم محمد بن علي بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709هـ/1309م)، فقد قصدها آواخر القرن السابع الهجري أي سنة (696هـ/1297م) وألف كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ويعتبر مصنفه من المصنفات المهمة في التاريخ الاسلامي.

كذلك من المؤرخين الذين قصدوا مدينة مراغة في تلك الفترة بقوا فيها مدة طويلة، منهم المؤرخ عبد الرازق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصابوني كمال الدين بن الفوطي البغدادي (ت723هـ/1323م)، فبالرغم من أنه توفي في القرن الثامن الهجري، لكنه كان له الأثر الكبير في الجانب العلمي لمراغة خلال القرن السابع الهجري فقد التحق بأستاذه نصير الدين الطوسي في مراغة سنة (660هـ/1262م)، إذ كانت مدة إقامته حوالي ثلاثة عشر سنة تقريباً، ولقد عمل في مكتبة خزانة الرصد (الصفدي، 1999، الصفحات 62-63). سمع ابن الفوطي عن محيي الدين الجوزي ومبارك بن المستعصم (الذهبي، 1984، صفحة 1494) ، اذ برع في العديد من العلوم منها علوم الفلسفة والنجوم واللغة والأدب والشعر فضلاً عن علم التاريخ (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، 2005، صفحة 374) (ابن عماد الحنبلي، 2006، صفحة 30) ،كما عمل خازناً في كتب مكتبة المستنصرية سنه 679هـ.

أما من أهم مصنفات ابن الفوطي (مجمع الآداب في معجم الاسماء والألقاب) وكتاب (درر الأصداف في غرر الأوصاف) وكتاب (الدرر الناصعة في شعر المائة السابعة) وكتاب (التاريخ على الحوادث إلى خراب بغداد) (الصفدي، 1999، صفحة 63). توفي ابن الفوطي سنة (723هـ/1323م) في بغداد.

2-5-انتشار العلوم العقلية:

تعتبر مدينة مراغة من المدن الإسلامية التي اشتهرت بالكثير من العلوم، ومن أهم تلك العلوم العقلية إذ شهدت مدينة مراغة نشاطاً كبيراً في العلوم العقلية، كالهندسة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

إذ ظهر الكثير من العلماء الذين برعوا في العلوم العقلية منهم، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت606هـ/1209م)، فلقد درس العلوم العقلية على يد مجد الدولة الجيلي بمدينة مراغة (اليافعي، 1998، الصفحات 6-7) (السبكي، 1988، صفحة 8)، قبل أن يصبح من العلماء البارزين هناك في مختلف العلوم، كما قام بعقد العديد من المجالس العلمية في الكثير من مدن بلاد فارس، كما وتتلمذ على يديه الكثير من العلماء منهم زين الدين الكشي وشهاب الدين النيسابوري والقطب المصري, واشتهر العالم فخر الدين الرازي بعبقريته بعلوم الفيزياء والفلك بالإضافة للطب، إذ يعتبر من أوائل العلماء الذين قالوا بنظرية الورود في الضوء من المبصرات إلى العين وفي كيفية الإبصار، أما من أهم الاثار التي خلفها لنا كتبه في المباحث الشرقية، وفي الرياضيات مصادرات اقليدس، وفي الفلك رسالة في علم الهيئة والعديد من المؤلفات الأخرى العديدة (السبكي، 1988، صفحة 87)

ومن العلماء البارزين الذين حضروا لمدينة مراغة منهم، مؤيد الدين برمك بن المبارك الدمشقي العرضي (ت664هـ/1265م)، الذي اشتهر بعلم الهندسة وآلات الرصد، وقد استعمله نصير الدين الطوسي عند بنائه الرصد في مراغة سنة (657هـ/1259م) (الخوانساري، صفحة 293).

ومن العلماء المهمين والبارزين في مدينة مراغة ومن ضمن الذين اختارهم نصر الدين الطوسي بمرصده، فخر الدين ابو الفضل عبد العزيز بن عبد الجبار بن عمر الخلاطي (ت680هـ/1281م). الذي اشتهر ببراعته في الطب ولقد توفي بمراغة سنة (680هـ/1281م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 55).

ومن العلماء البارزين الذين حضروا مدينة مراغة في علم الهندسة والحساب وبالإرصاد والأبعاد وتقويم الكواكب منهم محي الدين أبو الشكر يحيى بن محمد بن أبي الشكر التونسي المغربي (ت682هـ/1283م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 117) اذ قال ابن الفوطي: (اتصل بخدمة مولانا السعيد نصير الدين ابي جعفر وصار من حكماء الرصد، وصنف وقدم بغداد إلى خدمة الصاحب شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين ثم عاد إلى مراغة واشتغل

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

عليه الاصحاب والغرباء، ولم يزل مقيماً بمراغة وله بها الحرمة الوافرة والادرار السلطاني إلى أن مات شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة).

كما برز فخر الدين ابو الحسن علي بن تاج الدين الحسين بن علي الدامغاني (ت686هـ/1287م)، فقد سكن مدينة مراغة وبرز بعلم النجوم بالإضافة لكونه شاعراً باللغتين العربية والفارسية توفي فيها سنة (686هـ/1287م) (ابن الفوطي، 2006، صفحة 80)

خاتمة:

يتضح لنا من خلال البحث المتقدم للدور الكبير الذي لعبته مدينة مراغة في تقدم الحركة العلمية فالفتوحات التي قام بها العرب المسلمين لم تؤثر على المدن أو تدميرها أو تخريب معالمها العمرانية أو لضواحيها أو تدمر قلاعها أو أسواقها وحصونها بل على العكس فإن العرب المسلمين عندما دخلوا تلك المدن واتخذوا فيها معسكرات أضافوا إلى تلك المدن ووحداتها العمرانية وحدات أخرى تتفق وتفكيرهم في تأسيس المدن وطوروا قدراتها الانتاجية والزراعية وأصبحت هذه المدن فيما بعد تلعب دورا متميزا في التاريخ العربي الاسلامي والتي أصبح لها دور فيما بعد في الحياة الفكرية والعلمية في القرون اللاحقة.

ومما ساعد على لعب مدينة مراغة على الدور الكبير في الحياة العلمية التأخر العلمي مدينة بغداد بسبب الغزو المغولي له سنة (656هـ/1258م)، وما لحق المدينة من خراب وفقدان الآمن، مما تسبب بهجرة علمائها إلى مراغة، فضلاً عن تغير وجهة العلماء في المدن الأخرى الباحثين عن مكان آمن تتوافر فيه فرص النشاط العلمي.

يتبين لنا وجود مكتبة مراغة إحدى أشهر المكتبات في العالم الإسلامي في العصور الإسلامية كافة، لكثرة الكتب القيمة بها، ولا يخفى الدور الكبير الذي لعبته المدارس والمراصد التي أشرف عليها نصير الدين الطوسي (ت672هـ -1273م) وأثرها في إنعاش الحياة العلمية فيها، وبالتالي نشاط الحركة الأدبية وازدهار العديد من العلوم في مدينة مراغة، منها العلوم النقلية والعلوم العقلية المختلفة.

قائمة المصادروالمراجع:

حسن كريم الجاف. (2007). تاريخ ايران. السعودية: الدار العربية للموسوعات.

عبدالله نعمة. (2011). فلاسفة الشيعة. بيروت: دار الفكر اللبناني.

إبراهيم السامرائي. (1961). دراسات في اللغة. بغداد: مطبعة العاني.

ابن الاثير. (2002). الكامل في التاريخ. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن العبري. (2007). مختصر الدول. لبنان: دار المشرق.

ابن العديم. (2008). بغية الطلب في تاريخ حلب. سوريا: دار الفكر.

ابن الفوطي. (2006). تلخيص مجمع الاداب في مجمع الألقاب. دمشق: وزارة الثقافة والارشاد القومي.

ابن جماعة. (2017). تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. السعودية: دار البشائر العربية.

ابن حجر العسقلاني. (2008). الاصابة في تمييز الصحابة. القاهرة: /.

ابن حوقل البغدادي الموصلي. (1992). صورة الارض، . لبنان: دارمكتبة الحياة للطباعة والنشر.

ابن شاكر الكتبي. (1974). فوات الوفيات. بيروت: دار صادر.

ابن عماد الحنبلي. (2006). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لبنان: دار ابن كثير.

ابن كثير. (1988). البداية والنهاية. /: /.

أبو الفداء اسمعيل بن علي. (1963). تقويم البلدان. بغداد: مكتبة المثنى.

أبو عبد الله القرطبي. (2003). التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. مكتبة دار المنهاج للنشر والتزيع: السعودية.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

أبوبكر البغدادي. (2002). تاريخ مدينة السلام تاريخ بغداد وذيله والمستفاد. بيروت: دار العرب.

الاشراف الغساني. (1975). العسجد المسبوك. بغداد: دار البيان.

الاصطخري. (//). ا، المسالك والممالك، . /: /.

الاصطخري،. (1961). المسالك والممالك،. مصر: /.

البلاذري يحي بن أحمد. (1956). فتوح البلدان. القاهرة: /.

الجابري. (2009). نصرالدين الطوسي. العراق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.

الجوهري، اسماعيل بن حماد، (. (الجوهري، اسماع، 1956،). ، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار،. لبنان: دار العلم للملايين، لبنان، 1956، .

الحميري،. (2000). الروض المعطارفي خبر الأقطار. مصر: المكتبة الشاملة.

الخالدي. (2015). سنن أبي داود.

الخوانساري. (بلا تاريخ). روضات الجنات.

الذهبي. (1984). سير الأعلام. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد بن احمد. (2001). سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الارناؤوط، . لبنان: مؤسسة الرسالة .

الرازي، اسماعيل بن حماد. (، 1986). مختار الصحاح، . لبنان، : طبع دائرة المعاجم في مكتب النيل، مكتبة لبنان.

الرفيعي عبدالقادر. (2002). العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية. بيروت: مطبعة الفرات.

السبكي. (1988). طبقات الشافعية الكبرى. السعودية: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الصفدي. (1999). كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. لبنان: دار إحياء التراث العربي

.

الطهراني. (1986). الذريعة إلى تصانيف الشيعة. ايران: ا ب طهراني.

العمري، ابو الفضل الله شهاب الدين. (2010). مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي. (2019). الخطط. القاهرة: مطبعة النيل.

اليافعي. (1998). مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. بغداد: كتب تراث.

اليعقوبي، يعقوب احمد بن اليعقوبي. (1860). اليعقوبي، احمد بن يعقوب، ت291ه، تاريخ، مطبعة بريل، ليدن، 1860م، ص47. لبنان: ، مطبعة بريل، ليدن،.

براون. (2022). تاريخ الأدب في إيران. مصر: مطبعة السعادة.

بيلي برايسون، و اسامة محمد اسبر. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريبًا (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.

جعفر السبحاني. (1993). موسوعة طبقات الفقهاء. لبنان: دار الاصول.

جلال الدين السيوطي. (1989). الإتقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتب.

رجب محمود إبراهيم بخيت. (2010). تاريخ المغول وسقوط بغداد. بغداد: دار مكتبة عدنان.

سعيد عبد الفتاح عاشور. (2018). دراسات في تاريخ الحضاره الاسلاميه. مصر: دار المعرفة الجامعية.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (1998). تذكرة الحفاظ. لبنان: دار الكتب العلمية،.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب. (2005). الذيل على طبقات الحنابلة. الرياض: مكتبة العبيكان.

عبدالجبار ناجي. (2018). دراسات في تاريخ المدن الاسلامية. بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

علي الميلاني. (1997). شرح منهاج الكرامة للرد على ابن تيمية.

محمد. (بلا تاريخ). المدن العربية.

مصطفى شاكر. (1997). المدن في الاسلام. سوريا: دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة.

مؤلف مجهول. (1423). ، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية يوسف الهادي،. القاهرة: دار الثقافة والنشر.

ناجي معروف. (1973). علماء النظاميات ومدارس الشرق الاسلامي. بغداد: مطبعة الارشاد.

ياقوت البغدادي. (2006). معجم البلدان. لبنان: دار صادر.

ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). ، معجم البلدان،. لبنان: ، معجم البلدان،.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

تعليم المهارات الحياتية: تجارب تعليمية تحويلية لضمان تحقيق تعليم نوعي

Towards serious thinking in education: Teaching skills as a basis for achieving the holistic curriculum.

بودردابن آمنة، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2- الجزائر

aminabouderdaben@ gmail.com

تاريخ الارسال:14-01-2024 تاريخ القبول:26-05-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

تتجه الكثير من الجهود التربوية نحو العمل على تمكين المتعلمين مجموعة من المهارات المعرفية الرقمية، والحياتية التي أصبحت مطلبا أساسيا في هذا العصر الذي أصبحت فيه الشهادة الجامعية وحدها لا تكفي لتحقيق نجاح الفرد في حياته الشخصية والمهنية، غير أن هذا المفهوم لا يزال غامضا وأحيانا غائبا في الحقل التربوي؛ يتناول هذا المقال بالمناقشة والتحليل مفهوم المهارة كأحد المصطلحات الكثيرة التداول في الحقل التربوي، و في حقول علمية أخرى، كما يحاول أن يوضح حدوده المفاهيمية مع مصطلحات ومفاهيم متقاربة، مبرزين في ذلك أهم النظريات المفسرة له، ويهدف بذلك إبراز أهميته في السياق التربوي التعليمي، وقد توصل المقال إلى أن ضرورة تعزيز بعض المهارات لدى المتعلمين من شأنه أن يحقق تعليم نوعي جيد وشمولي لمختلف الأبعاد التعليمية.

الكلمات المفتاحية: المهارة، المتعلم، أبعاد التعلم، النهج الشمولي.

Abstract

Many educational efforts are directed towards empowering learners with a group of Cognitive, digital, and life skills. In fact, they become a basic requirement since university degree alone raising enough to achieve personal and professional success. However, this concept is still ambiguous and sometimes absent in the educational field.

This article discusses and analyze the concept of skill as one of the frequently used terms in both educational and scientific fields. It also tries to clarify its conceptual boundaries with converging terms and concepts, highlighting the most important theories and explain its importance in the educational context. The article concludes the need to improve certain skills would lead to quality holistic education in all its various dimensions.

Keywords: skill, learner, learning dimensions, holistic approach,

المؤلف المرسل: بودردابن آمنة

مقدمة:

يعد مفهوم المهارات الحياتية من المفاهيم التي أثارت اهتمام العديد من الدول منذ أن نادى العالم جوناتن كوهين (1999)، بأهمية تعليم الطلبة مهارات اجتماعية انفعالية، بالإضافة إلى التعليم الأكاديمي ، وأشار إلى أن تعليم المهارات مهم في تحسين نوعية الحياة ، وايجاد مناخ صفي مدرسي يتصف بالأمان و الرعاية؛ و برزت تبعا لذلك جهود مستمرة في تعزيز هذا المفهوم خاصة من قبل المنظمات العالمية والدولية مثل منظمة اليونسكو(UNESCO) منظمة اليونيسيف(UNICEF) ، ومنظمة العمل الدولية(ILO) ، منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي (OCDE)، ورسمت تصنيفات معينة لمجموعة من السلوكيات ،واتفقت على اعتبارها مهارات حياتية ضرورية للتمكين الشخصي في الحياة و في العمل، فمتطلبات القرن الحالي الاقتصادية والاجتماعية والانفجار المعرفي، وتطور الحياة الإنسانية أظهرت ضرورة أن يشمل التعليم في القرن الحادي والعشرين المعرفة التقليدية الخاصة بالموضوعات الدراسية الرئيسية مثل القراءة والكتابة والحساب، ولكن عليه بالمقابل أن يركز أيضا على الأفكار المعاصرة مثل الوعي العالمي والثقافة المالية والاقتصادية والصحية والبيئية.

تبعا لذلك تنامت الحاجة إلى تنمية هذه المهارات لدى الشباب في وقت أصبح فيه اتفاق على أن المؤهل الأكاديمي وحده لا يكفي، في ظل النظم الاقتصادية القائمة على الاستغلال المعرفي والمتطلبة لقوى عاملة ماهرة، والتحول في الوظائف التي استحدثها العصر الرقمي والخدماتي.

ولعل من أبرز المساعي المبذولة في هذا الاتجاه ما قدمه بيرني ترلينغ (Berni Trelling)و تشارلز فادل (Charles Fadel)من نموذج حول التعلم الذي يجب أن يكون في القرن الحادي والعشرين و هو نموذج يجمع بين التعليم التقليدي و التعليم الرقمي و تعليم المهارات الحياتية، وكذلك ما قدمته منظمة اليونيسكو في مبادرتها لتعليم المهارات الحياتية والمواطنة في شمال افريقيا والشرق الأوسط التي سعت من خلالها إلى مواجهة تحديات المجتمع العربي في تحقيق مجتمع المعرفة يفضي إلى تحسن التنمية الاقتصادية والتماسك الاجتماعي قائمة على نظرية التغيير

مستندا في إطاره المفاهيمي والبرامجي على دعائم التعلم الأربع التي قدمها ديلورز في تقريره في منظمة اليونسكو سنة 1996.

ورغم المساعي الداعمة لتمكين الأفراد بهذه المهارات، لا تزال هناك رؤية ضبابية حول هذا المصطلح، وذلك لولوجه حديثا للحقل التربوي ولتقاطعه مع مصطلحات تربوية تجعل البعض يلجأ إلى استعمالها بطريقة ترادفية، ولعل المتتبع لأدبيات التربية يتفق على أن أولى استعمالات هذا المصطلح كان في مجال التدريب سواء في التدريب الرياضي أو المهني ليستدل به عن مستوى معين من أداء متميز لدى الفرد في قيامه لنشاط ما، فهو في هذه الحقول أوضح لأن الأداء فيه حركي عضلي يسعى المدرب أو المكون للوصول به إلى أعلى مستوى من الفعالية.

يحاول هذا المقال المساهمة في تحديد الإطار المفاهيمي لهذا المصطلح، ويهدف بذلك إلى التمييز بينه وبين مصطلحات تربوية متقاربة وأحيانا متداخلة، كما يحاول أن يطرح أهم النظريات المفسرة للمهارة ويقدم صورة عما يكون عليه التعليم المبني على المهارات الحياتية وكيف يمكن أن يساهم في تحقيق تعليم نوعي جيد قائم على مقاربة تربوية شمولية للتعليم. وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

-1ما هو الموقع المفاهيمي لمصطلح المهارة ، و ما هي حدوده مع المصطلحات المتداولة في السياق التربوي ؟

-2ما هي أهم النظريات المفسرة لهذا المفهوم ؟.

-3ما هي أبعاد التعليم الداعمة لهذه المقاربة التربوية ؟.

-4كيف يساهم التعليم المبني على المهارات على ضمان تعليم نوعي جيد ؟

وسيتم الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال تحديد مفهوم المهارة وخصائصها وتمييزها عن المفاهيم المشابهة لها، ثم تبيان النظريات التي تؤسس لها وفقا لما يلي:

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

-1-نظرة في مفهوم المهارة :

-1-1 -**لغويا :** يرجع مصطلح المهارة إلى الفعل مهر وهو الحذق في الشيء، والماهر الحاذق بكل عمل ، و أكثر ما يوصف به السابح الجيد (ابن منظور ،1416هـ، ص 207 ، ج13) .يقال فلان مهر في العلم أي كان حاذقا عالما به متقنا له .كما ورد في الحديث الشريف قول الرسول _ صل الله عليه و سلم)_مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة (اللفظ للترمذي) .

1-2-**اصطلاحا :**

يعرف المعجم التربوي الصادر من المركز الوطني للوثائق التربوية التابع لوزارة التربية الوطنية المهارة على أنها " : قدرة عالية الأداء لفعل حركي معقد في مجال معين بسهولة وسرعة ودقة مع القدرة على تكييف الأداء مع الظروف المتغيرة . " كما و يترجم مصطلح المهارة إلى اللغة الفرنسية إلى كلمة.habilité

نفس المصدر يعرف مهارات التعلم : habilité a l'apprentissage على أنها " مجموعة المهارات التي تتطلبها عملية التعلم، يكتسبها المعلم و تنمو بنموه بصورة تدريجية و منظمة تشمل مهارة التفكير وحل المشكلات و المهارات الرياضية و العملية "

أما معجم المصطلحات النفسية والتربوية للأستاذ شحاتة فهو يعرف المهارة على أن " : المهارة هي أي شيء تعلمه الفرد ليؤديه بسهولة ودقة"، و تعرف المهارة الرياضية على أنها القدرة على استخدام الرياضيات الإجرائية مثل إجراء العمليات الحسابية، والاستقراء والاستدلال و التجريد، والمهارة بوجه عام هي السهولة والدقة في إجراء عمل من الأعمال، وهي تنمو نتيجة لعملية التعليم، ومن تعريفاتها القيام بعملية معينة بدرجة من السرعة والإتقان، مع اقتصاد في الجهد المبذول.

كما أورد طارق عبد الرؤوف عدة تعاريف لمفهوم المهارة منها تعريف دريفر (Driver) للمهارة على أنها السهولة و السرعة و الدقة عادة في عمل حركي ، و يبدو أن هذا التعريف قد حصر المهارة في المجال الحركي.

- و يعرف جانييه و فليشمان (Gagné et Fleishman) بأنها نتاج لاستجابات تعودها الإنسان، ويتم ترتيب هذه الاستجابات جزئيا أو كليا في ضوء التغذية الراجعة عن الاستجابات السابقة.
- ويعرفها جود (Good) بأنها الشيء الذي يتعلمه الفرد ويقوم بأدائه بسهولة ودقة سواء كان هذا الأداء جسميا أو عقليا، وتعني البراعة في التنسيق بين حركات اليد والأصابع والعين.
- ويقر كرونباخ (Cronbach) بأن المهارة سهل وصفها، صعب تعريفها، و يعرف الحركة الماهرة بأنها عملية معقدة جدا تشتمل على قرائن معينة و تصحيح مستمر للأخطاء.
- يعرف كامبل (2002Cambel)المهارة بأنها القدرة المتعلقة بأداءات مهمة سواء كانت حركية أو معرفية.
- تعرف كوثر كوجك المهارة بأنها القدرة على تنفيذ نمط معين من السلوك بطريقة تتناسب والظروف الواقعية، ولها أربعة أبعاد هي السرعة والدقة والشكل والمرونة ولا ترتبط المهارة بالعمل اليدوي فقط، بل توجد أيضا مهارات عقلية.
- أما طارق عبد الرؤوف عامر (2015) فهو يعتبر "المهارة بأنها الكفاءات التي يمتلكها الناس والتي تمكنهم من أدائها بطرق معينة فهي ببساطة أنماط من السلوك معقدة ومنظمة تنظيما عاليا" ، وبهذا فهو يرى أن المهارة يكتسبها الفرد من أجل تحسين أداءه، وهي في نظره إنمائية يتم اكتسابها عبر الزمن إلا أن عامل الممارسة أساسي في عملية الاكتساب، وهو ما يميزها عن المعرفة على اعتبارها الطريقة التي ندرك بها المعلومات و نفهمها و نتذكرها، غير أن هذا القدر من العمل بكفاءة يجعلها تتعدى كونها عادات تم تعلمها عن طريق التدريب و المران .

- والمهارة كما ترى (paula villasenor) تشير إلى الطريقة التي نختار بها المعرفة في مختلف الظروف و نستخدمها و نطبقها، مع مواجهة تحديات متنوعة و غالبا ما لا يمكن التنبؤ بها.
- وعلى ضوء هذه التعريفات تعرف الباحثة المهارة على أنها عملية تعلمية تهدف إلى التحكم في الأداء (سواء كان عقلي أو حركي) ليصبح سهلا، وعلى درجة من الجودة مع اقتصاد في الجهد والوقت .وهي لا تكتسب إلا بالممارسة .

-2-خصائص المهارة :

من التعاريف السابقة للمهارة، نجد أن كلها وغيرها تتفق على ما يلي:

- يركز مفهوم المهارة على الأداء القائم على الفهم.
- المهارة تتطلب درجة من الدقة والإتقان.
- النشاط المنظم والممارسة والمران المستمر أسس لتكوين المهارة.
- ينتج عن المهارة السرعة في الأداء والاقتصاد في الوقت والجهد.
- وترى PaulaVillasenor أن من مميزات المهارة أنها :
- **متعددة الأبعاد ومترابطة** :إذ انها تمس جميع أبعاد شخصية الفرد معرفية، عاطفية اجتماعية، أو تقنية وظيفية، وكثيرا ما تتفاعل فيما ينها فتصبح أكثر تعقيدا و تشابكا مما يصعب تحديد المؤثر منها من المتأثر بها . فهي بعيدة على أن تكون ذات تنظيم هرمي متناسق يمكننا من خلاله تصنيف مهارات معينة في فئة واحدة فقط، هذا يفسر كيف يمكن أن تكون المهارات الاجتماعية والعاطفية أساسية في العملية التعليمية التعلمية وفي تنمية القدرات المعرفية، ولكن في الوقت نفسه تنمية القدرات المعرفية يسهم في تنمية المهارات الاجتماعية العاطفية.
- **متعددة التخصصات** :يمكن استدعاء مهارة معينة وتوظيفها في عدة اختصاصات ضمن أهداف متشابهة أو متنوعة على غرار مهارة التحليل و النقد أو حل المشكلات.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- **مستعرضة:** يمكن أن تشترك مهن معينة في استدعاء نفس المهارات وهذا ما يجعل بعض المهارات لينة تحويلية يمكن توظيفها في عدة قطاعات تشغيلية فمهارة الاتصال تكون مهارة أساسية لدى المحامين والمدرسين والخطباء والسياسيين.
- **قابلة للانتقال :**يمكن لبعض المهارات أن توظف على نحو مختلف وضمن تطبيقا متنوعة من مهنة إلى أخرى مثل مهارة المثابرة، بل وقد تظهر على نحو متفاوت الأهمية على مختلف المستويات الوظيفية مثل مهارة المسؤولية.
- **تكتسب خلال فترات تنموية مختلفة :** عامل النمو و النضج الفيزيولوجي و الاستعداد النفسي يؤثر تأثيرا ايجابيا و طرديا على تنمية و اكتساب مهارة معينة، و هي بذلك تأخذ منحى تدريجي في عملية النمو ؛ هذا يفسر ما تتطلبه مهارة معينة من فترة زمنية مناسبة لبلوغ مستوى من الدقة والاتقان. هذا يوضح ضرورة احترام كل المناهج التربوية في تطبيقاتها انسجامها مع فترات النمو العقلي المعرفي للفرد المتعلم، كما يوضح كيف لبعض المهارات التشغيلية يبدأ نموها خلال المراهقة المتأخرة و البلوغ أي حينما يبدأ الفرد ينفتح نحو العالم الاجتماعي و تخطيطه لمشروعه المستقبلي.
- **في نهاية المطاف يجرى تقييمها في مكان العمل و في الحياة :**على الرغم من أنه من المفترض أن يكتسب الفرد بعض أهم المهارات في المدرسة، فبعد سنوات عديدة، في مكان العمل أو في الحياة يتمكن من تقييم ما إذا كان قد اكتسبها أم لا.(Paula Villasenor).
- وتضيف الباحثة إلى أن المهارة إنمائية متدرجة في تكوينها؛ إذ لها القدرة على التطور والتشكل بالتدريج .وبالتالي، كلما مورست المهارة في زمن متواصل ومستمر كلما ازدادت كفاءتها، واختزلت بذلك الوقت والجهد.
- كما تضيف الباحثة على أن المهارة تتفاوت من فرد إلى آخر؛ إذ ترتبط بالاستعداد الفطري للفرد في علاقته بميولاته ورغباته، وفي هذه الحالة، تكون متميزة منفردة بشخصها، وفي هذه الحالة فقط تكتسي درجة أعلى من الدقة، والإتقان، والإبداع .

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- كما ترى الباحثة أن المهارة لا يمكن أن تكون إلا مرئية ملموسة؛ أي أنه يمكن من خلال ملاحظة أداء فردا ما، سواء كان عمل يدوي حرفي، أو أداء حركات رياضية، أو أداء أنشطة معرفية ما، أن نحكم باتفاق على أن فردا ما لديه مهارة ما، أو أنه أمهر من فرد آخر.

3-المهارة و المصطلحات المشابهة لها:

المتطلع على أدبيات البحث، يجد نفسه أمام مصطلحات ومفاهيم تتداخل مع مفهوم المهارة وجب تحديدها وتمييزها.

الأداء :و يقصد به إنجاز مهام في شكل أنشطة أو سلوكات آنية و محددة و قابلة للملاحظة والقياس .استعمل تشومسكي (shomsky) هذا المفهوم في إطار نظريته اللسانية للإشارة إلى مجموعة من الآليات الموظفة في عملية الكلام .أما سيلامي (sillamy)1980 فيقدم مفهوم الأداء كنتيجة لنشاط أو عمل ما،.و يضيف De Landsheer أن المؤلفين يميزون بين الأداء كنشاط موجه نحو هدف ما ،و الأداء كإنهاء accomplissement بمعنى درجة نجاح نشاط ما .بهذا، تظهر المهارة كأداء لكنه أداء لمهمة محددة بشكل دقيق يتسم بالتناسق و النجاعة والثبات النسبي، وبالتالي فالأداء ركن أساسي في المهارة.

- **القدرة** :هي كل ما يستطيع الفرد أداءه في اللحظة الحاضرة من أعمال عقلية أو حركية سواء كان ذلك نتيجة الممارسة أو بدونها .ويفيد لفظ القدرة عدة معان منها التمكن، الاستعداد، ويتم الحديث عن القدرة في الحالة التي يكون فيها الفرد متمكنا من النجاح في أنجاز معين، ولذلك يعتبر لفظ الاستعداد قريبا من لفظ القدرة.

أما من حيث العلاقة مع المهارة، فالمهارة أكثر تخصيصا من القدرة؛ وذلك لأن المهارة تتمحور حول فعل محدد، أي أداء تسهل ملاحظته لأنها ترتبط بالممارسة والتطبيق، أما القدرة فترتبط بامتداد المعارف والمهارات .وتتميز القدرة بكونها عامة ولا ترتبط بموضوع معين كالقدرة على الحفظ التي تشمل كل ما يمكن حفظه، و لا تقتصر على حفظ الشعر و الأمثال، أو

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

القواعد و الصيغ، و يتطلب تملكها وقتا طويلا، و ترتبط القدرة بعضها ببعض لتفضي إلى قدرات أخرى (محمد بن فاطمة، ص7)

كما ينظر إلى القدرة على أنها قاعدة أساسية وضرورية لحدوث تعلمات أعقد توضيحا لذلك لا يمكن للمتعلم أن يقوم بعمل ما، ما لم تكن له قدرات أخرى كالتحليل والتركيب والنقد.

- **الكفاءة** :إن مفهوم الكفاءة معقد جدا إذ نجد أكثر من مئة تعريف له، ويرجع سبب هذا الغموض إلى السياق الذي يستعمل فيه، فالكفاءة مفهوم عام يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف الشخصية في وضعيات جديدة، داخل إطار حقله المهني، كما تحوي أيضا تنظيم العمل وتخطيطه، وكذا الابتكار و القدرة على التكيف مع النشاطات غير العادية.

في حين يعرف المعجم التربوي الكفاءة والتي ترجمها إلى اللغة الفرنسية إلى كلمة compétence على أنها " نشاط معرفي أو مهاري يمارس على وضعيات، أو هي إمكانية بالنسبة للتلميذ لتوظيف جملة من المعارف الفعلية منها والسلوكية لحل وضعية – مشكل، للتأكد من أن التلميذ اكتسب كفاءة، فإن المعلم يطلب منه أن يحل وضعية – مشكل.

وعموما، أغلب التعريفات تتفق على أن العناصر الأساسية التي تحدد الكفاءة هي:

- على الكفاءة أن تدمج عدة مهارات.
- تترجم الكفاءة بتحقيق نشاط قابل للملاحظة.
- تطبيق الكفاءة في سياقات مختلفة سواء كان السياق شخصيا أو اجتماعيا أو مهنيا

فالكفاءة مفهوم أكثر شمولية، إذا ما قارناه بمفهوم القدرة أو المهارة أو الاستعداد لأن هذه المفاهيم الأخيرة وسائل لتحقيق الكفاءة، فمفهوم الكفاءة يعني نهاية الغاية وتكون قابلة للتقويم.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- **الكفاية :** ظهر مفهوم الكفاية في التربية في الثمانينات من القرن الماضي في ظروف تحول فيه الاهتمام بالمضامين التعليمية و المحتويات المعرفية إلى الاهتمام بالذات المتعلمة وإلى طرح جملة من الإشكالات تتعلق بتنمية الإبداع لدى المتعلمين، و بتربية الناشئة على التكيف في عالم سريع التغير. و قد ظهر مفهوم الكفاية في إطار هذه التداعيات و توصل البعض إلى تعريف الكفاية في التعليم المدرسي على كونها خبرة داخلية في شكل مندمج يتكون من معارف و مهارات و اتجاهات تتفاعل فيما بينها ، وتستنفر لإنجاز مشروع ، أوحل وضعية مشكلية مركبة.(محمد بن فاطمة ،ص 8)

هناك من يستخدم الكفاية بمعنى واحد، غير أن المهارة لا تعني في مفهومها الكفاية؛ فالكفاية في شكلها الكامن تعني القدرة، أو إمكانية القيام بالعمل، أما في شكلها الظاهري فتعني الأداء الفعلي له القابل للملاحظة والقياس .أما المهارة فتتضمن كما قلنا سابقا الدقة، والسرعة، والإتقان، واختزال الوقت، والاقتصاد في الجهد أثناء تأدية العمل، وعليه فالماهر من قام بتأدية الكفاية مضاف إليها الدقة، والسرعة، والإتقان، واختزال الوقت، والاقتصاد في الجهد.

مما سبق نقول أنه إذا توافرت المهارة في أداء الفرد، فإن ذلك يدل حتما على توافر الكفاية فيه، لكن توافر الكفاية في شخص ما، لا يعني بالضرورة تحقق المهارة لديه؛ فليس كل قادر على أداء شيء يعتبر ماهرا، في حين أن كل ماهر في أداء شيء قادر على أدائه، فالكفاية أشمل من المهارة، و المهارة لا تحصل عن الكفاية.

- **الكفاءة الاجتماعية :**لم يكن مفهوم الكفاءة الاجتماعية محل اجماع المتخصصين .بل قد عج التراث البحثي بالعديد من التعاريف التي تختلف باختلاف وجهات النظر السلوكية والمعرفية والتربوية، ومن بين تلك التعاريف تعريف كومبس وسلابي(Combs & Slaby.1977)الذين يريان أنها" القدرة على التفاعل مع الآخرين في سياق اجتماعي

معين بطرق مقبولة أو مقدرة اجتماعيا و يترتب عليها في نفس الوقت فائدة شخصية أو متبادلة أو مفيدة للآخرين"

و يعرفها أوبنهايم (Oppenheim,1989) على أنها " القدرة على الاشتراك النشط الإيجابي في أنشطة العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين ،إضافة إلى فهم الآخرين و التعامل معهم بفعالية.

أما روبن و روس كرازنر (1992) فيعرفها على أنها قدرة الفرد على إحداث نوع من التوازن بين رغباته الشخصية و طبيعة السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه و يسمح بالتمييز بين الأطفال الناجحين اجتماعيا والأطفال غير الناجحين اجتماعيا .

وعليه يمكن أن نستنتج أن الكفاءة الاجتماعية هي القدرة التي يظهرها الفرد للتفاعل الاجتماعي مع الغير.

- **المهارات الاجتماعية** :أما المهارات الاجتماعية فيجب هي الأخرى تمييزها عن المهارات الحياتية من التعاريف التي قدمت لهذا المفهوم ما قدمه مايكلسون وزملاؤه في مقدمة كتاب قياس المهارات الاجتماعية على أنها مجموعة معقدة من سلوكيات العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين.

كما عرفت كذلك على أنها جملة السلوكيات اللفظية وغير اللفظية التي يترتب عليها زيادة مستوى تقبل الأقران للطفل وتحسن علاقات الصداقة وغيرها من نواتج أو مخرجات العلاقات الاجتماعية الإيجابية.

أما شيردان وآخرون عرفتها على أنها سلوكيات متعلمة موجهة لتحقيق هدف معين تمكن المرء من التفاعل والأداء السلوكي الوظيفي الفعال في مختلف السياقات الاجتماعية.

أما المهارات الحياتية فهي مجموعة من المهارات الشخصية والاجتماعية والعقلية المعرفية و الوظيفية التي يحتاجها الفرد ليصبح فاعلا ومنتجا في مجتمعه (تعريف الباحثة) .

وبهذا التعريف تظهر المهارات الاجتماعية حسب رأي الباحثة كجزء من المهارات الحياتية؛ إذ أن المهارات الحياتية أوسع منها لاشتمالها على مهارات فردية شخصية، وبيئية، ومهارات إدراكية.

- **المهارة و المؤهلات :**يقصد بالمؤهلات (Aptitude) مجموعة الصفات الداخلية التي تجعل الفرد قابلا للاستجابة بطريقة معينة و قصدية ، أي أن المؤهل هو تأهيل الفرد لأداء معين بناء على مكتسبات سابقة منها القدرة على الانجاز و المهارة في الأداء و تعتبر الأهلية دافعا للإنجاز (محمد بن فاطمة ، ص9).

يوضح دوران و فاموس(M.Durand,JPFamose ;1998) هذا الفرق بقولهما " ما يفرق المهارات عن المؤهلات هو تخصصها بنشاط معين و أنها في كثير من الأحيان منتوج تعلمي " فهي القدرة على القيام و انجاز استجابة فعالة و اقتصادية لتحقيق هدف معين . إنها عملية ذاتية، مكتسبة بالتعلم وثابتة نسبيا.

ما يمكن استنتاجه هو أن المهارات:

غائية :أي أنها منظمة لغاية معينة وهدف معين لتحقيقه.

منظمة :أي أنها لتحقيق هذا الهدف يجب أن تكون متناسقة ومنتظمة .و يشبه سنكلتن ((Singleton 1978المهارات مثل آجر البناء الذي يتموضع في مجمله لإنتاج مهارات أكثر تعقيد.

مكتسبة :أي أنها موضوع لعملية تعلميه تؤدي إلى تحول في نشاط أو أداء الفرد، فينجز أداءه بطريقة مختلفة.

4-**نظريات المهارة** :هي مجموعة من النظريات توضح كيف يكتسب الفرد ويطور اتجاهاته وسلوكه ، و هي معظمها مرتبطة بنظريات التعلم و من بين هذه النظريات:

4-1-نظرية فيشر المدرسة البنائية:

اعتبر فيشر (Fisher)التعلم هو عملية نمو لهذا لم يفصل بينهما في نظريته على عكس بياجي و آخرون ممن ميز بينهما وجعلهما عمليتين متمايزيتين مؤكدين أن عملية النمو تسبق فعل التعلم؛ فلكي يتم التعلم لابد من أن تكون آليات التعلم الفيزيولوجية على درجة من النضج الذي يسمح بتحقيق فعل التعلم ؛ و لقد وجه نقد لبياجي وجماعته في هذه النظرة على اعتبار أن التفاعل الاجتماعي و التعلم من خلال اللعب يؤثر دون شك في عملية النمو . وكان فيشر و مجموعته من المؤيدين لهذه الفكرة الأخيرة ، و جاءوا بنظرية أطلقوا عليها اسم نظرية المهارات (skill theory) ، جمعوا فيها بين النمو و التعلم . و قد بين فيشر Fisher وزميله "بيب Pipp "عن نظرتهما بقولهما " : إننا نؤكد في عرضنا لنظريتنا على أن التعلم لا يتعارض مع النمو ، كما أن عوامل المحيط لا تتعارض فيها مع العوامل المتصلة بالوحدة العضوية (الفرد) لأننا لا نضع التعلم في مقابل النمو، و لكننا نتعامل معهما على أنهما مترابطان بصورة لا انفصام فيها ."

وهما بذلك يقران أن التعلم والنمو هما وجهان لنفس العملة يكون فيها التفاعل بين الفرد والمحيط هما المسيرين لهذه العملية، وأوردا مفهومين أساسيين في تفسيرهما للنمو، وهما : المستوى الأمثل optimal level ومفهوم اكتساب المهارات.skill acquisition

و يشير مفهوم المستوى الأمثل إلى أقصى درجة لمستوى تعقد المهارات التي يمكن التحكم فيها، و لايمكن بلوغ هذا المستوى إلا بتوفر الشروط التي تؤدي إلى استثمار أقصى لطاقة الفرد و قد تكون هذه الشروط بيئية أو مادية

كما يشير مفهوم اكتساب المهارة إلى القواعد أو التقنيات التي ينبغي استخدامها لجعل مهارة معينة أكثر تعقيدا وفعالية، وقد يكون ذلك من خلال توظيف مهارة أو مجموعة من المهارات ضمن بنية ديناميكية متحولة ومتكاملة فيما بينها تحكمها مبادئ محددة.

ولقد بين فيشر وزملاءه أن ديناميكة بنية المهارات تتم ضمن مبادئ معينة هي:

- التعويض . substitution
- التركيز . focalisation
- التأليف. counpounding
- التمييز. differentiation
- التناسق المتبادل. intercoordination

ويرى فيشر وزملاؤه أن مبدأ التناسق المتبادل أهم هذه المبادئ لكونه المسئول عن نقل بنية المهارات من مستوى معين إلى مستوى أكثر تعقيدا .كما أنه هو الذي يحدد كيفية التأليف بين المهارات المكتسبة للحصول على بنية جديدة أكثر تعقيدا وفعالية، بينما تشير المبادئ المتبقية إلى المراحل الفرعية التي تمر بها بنية المهارات خلال كل مرحلة من المراحل النمائية الكبرى، وهي تقوم مقام اللامتغير الوظيفي function invariant في نظريتهم .

ومن الملاحظ ان لا تتوفر عند الأفراد الأقران نفس المهارات أو نفس مستوى التعقيد من المهارات .إ ذ أنها تأخذ اتجاه غير متشابه أثناء سيرورتهم النمائية مما يعنى أن لا يكون النمو بالضرورة ذو منحى تصاعدي في سيرورته على عكس ما كان يعتقد بياجي، و يرجعه فيشر في نظره إلى تباين مظاهر مراحل النمو الفرعية المندرجة خلال المراحل النمائية الكبرى لنفس الفئة العمرية؛ فقد لاحظ وجود فروق جوهرية في كيفية تفاعل الأفراد من نفس الفئة العمرية مع موضوع معين، و خلص إلى أن طريقة معالجة المعلومات تختلف في تفاصيلها من فرد إلى آخر في سياق كل مرحلة من المراحل النمائية الفرعية

وهذا ما يشكل في الحقيقة جوهر مظاهر الفروق الفردية التي تميز الأفراد فيما بينها ويرجع فيشر مرد ذلك إلى اختلاف الخصائص الفردية ومعطيات البيئة الاجتماعية التي تحيط بالفرد، والذي يؤدي التفاعل فيما بينهما إلى اختلاف تشعب مسالك النمو .تعكس كل مرحلة نمائية في نظره مستوى معين من التحكم في المهارات المستخدمة في معالجة المهام

المرتبطة بمختلف الحقول المعرفية .كما لاحظ أن تقاطعها مع غيرها من الحقول الأخرى لا يمنعها من احتفاظها نسبيا باستقلاليتها .هذا يفسر لنا اختلاف مستوى المهارة التي يوظفها التلميذ في معالجة مختلف القضايا المرتبطة بمادة دراسية معينة في مجالات دراسية مختلفة، فيبدو التلميذ كأنه ينتقل من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى .هذا يدل على أن وتيرة النمو تختلف باختلاف الوضعيات المعرفية ، كما يدل على أن بنية المهارات تتأثر بشكل مباشر مع طبيعة الموضوع، و أن المشكلة لا تكمن فقط في القدرة على نقل المهارة من حقل إلى آخر، ولكن العقل لا يعمل كوحدة كلية ، و إنما كأجزاء مستقلة فيما بينها و متعاونة ، بحيث يمكن لها التأليف في كل وضعية متميزة بعناصرها أو أجزاءها لتشكيل بنية جديدة أكثر تعقيدا من المهارات. يشبه فيشر و كينيدي مسالك النمو بشبكة منسوجة من الحبال، يتكون كل حبل منها من مجموعة من الخيوط المجدولة ، تمثل الخيوط فيها المهارات ، و تمثل الجديلة بنيتها ، و ترتبط كل جديلة من جدائل الشبكة بمجال معين من مجالات النشاط المعرفي. تدل كل جديلة على مجموعة من المهارات التي تنمو كل واحدة منها عبر سلسلة من المراحل ، وفي كل مرحلة جديدة من المراحل النمائية يعاد تركيب العناصر، و تدمج البنية السابقة في البنية الجديدة بطريقة متراتبة و كذلك يمكن الحصول على بنية أكثر تعقيدا من خلال الجمع بين جديلتين مما يؤدي إلى ازدياد فعالية الفرد في معالجة المهام المتصلة بحقل معين من الحقول المعرفية .

2-4-نظرية النمو المعرفي لفيكوتسكي. WIGOTZKI

أكد فيكوتسكي على أهمية تفاعل الطفل مع الآخرين في تفسيره للنمو المعرفي ، و خاصة الراشدين منهم ، و تشكل هذه الثنائية لديه حجز الزاوية في تأسيس البنية العقلية للفرد التي ستحدد كيفية اشتغالها .فهو يرى أن التفاعلات الاجتماعية هي التي تعمل بشكل تدريجي تسلسلي على بناء الوظائف العقلية العليا .مؤكدا على أن شروط النمو العقلي وآلياته توجد خارج الفرد، في محيطه الاجتماعي– الثقافي .و النمو في نظره لا يتحقق إلا من خلال تفاعل

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الفرد في بيئته الاجتماعية– الثقافية من خلال استغلاله مختلف الوسائل و الأدوات المتاحة في محيطه الثقافي .وقد جعل فيكوتسكي من النشاط الاجتماعي الوحدة الأساسية في تحليله وتفسيره لنظريته.

يلح فيكوتسكي على ضرورة تأطير الراشدين للأطفال في العملية التعليمية التعلمية أو العملية التربوية .وأن التوجيهات التي يقدمونها لهم تمكنهم من تسهيل أداء مهامهم وتنمية مهاراتهم المعرفية .ويرى أن ما يقوم به الأطفال بمساعدة الآخرين هو الذي يمكنهم من استدخال نماذج معرفية والتحكم بها، وعليه تكون المهارات التي يوظفها الطفل بطريقة مستقلة أي دون مساعدة الآخرين هي المهارات التي تشكلت بالفعل .ويرى أن هذه المهارة ليست آنية في نموها فالمهارة التي ظهر التحكم بها تكون استدخلت من قبل وقد أخذت فترة زمنية لتصبح ناضجة، إنها ثمرة النمو السابق .يسمي فيكوتسكي هذه المرحلة أو المنطقة بمستوى النمو الفعلي. Developmental level actual إلا أنه لا ينبؤنا بما يمكن أن تكون عليه المهارة في المستقبل . و أما المهارات التي لا تتحقق إلا بمساعدة الراشدين أو الزملاء المتفوقين فهي في نظره لاتزال في طور التشكل أو في طريق الانتقال من الخارج إلى الداخل، أي انه لم يتحكم بها و لم يستدخلها بعد، و لكن من المتوقع أن يستوعبها في المستقبل القريب .إنها" زهرة " النمو التي تبشر بالثمار على حد قوله. فطالما لم يحقق الطفل استقلاليته في التعلم و لايزال يعتمد على الآخر فإن المهارات لم تنضج عنده بعد. و يشير فيكوتسكي إلى هذا المستوى بمستوى النمو الممكن. Level OF potential development كما بين وجود منطقة سماها منطقة النمو القريب المدى Development zone of proximalتفصل مستوى النمو الممكن عن مستوى النمو الفعلي. و عليه ، القدرات الحقيقية أو التعلم الفعلي يمر عبر هذه المناطق :منطقة النمو الممكن ، منطقة النمو القريب المدى و أخيرا منطقة النمو الفعلي حيث يحقق الطفل استقلاليته في التعلم ، فهو بذلك ينجح في تأدية المهام أو النشاطات دون مساعدة الآخر. ويعتقد فيكوتسكي أنه من المهم مراعاة القدرات والمهارات الحالية للمتعلم بالإضافة إلى

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

قدراته و مهاراته المحتملة التي لم تنضج بعد. و ينتقد الاختبارات والتقييمات التقليدية عدم قدرتها على التنبؤ بإمكانية تحسن تعلم الطفل مستقبلا. و لهذا ، مفهوم منطقة النمو القريب المدى جد مهم طالما أهملته المناهج التربوية؛ كما توصل فيكوتسكي إلى أن كل فرد يتعلم بوتيرة وسرعة متفردة وأن الذين ينتمون إلى نفس المستوى العقلي لا يزال بإمكانهم التعلم والاستفادة من التدريس بطرق مختلفة . لأن مناطق النمو قريبة ا لمدى متباينة بينهم وهذا ما لا تستطيع الأساليب التقييمية التقليدية الكشف عنه لافتقارها للميزة التنبؤية التي تستطيع من خلالها التمييز بين مختلف أسباب الصعوبات التي يواجهها الفرد المتعلم والفروقات الفردية بينهم.

خلاصة القول أن تعلم المهارات يتطلب توفر شروط النمو اللازمة، و لكن الفرص البيئية الاجتماعية الثقافية التي يتفاعل معها الفرد تبقى داعما ضروريا لهذه العملية، لأن النمو لا يحصل بطريقة تلقائية كما يعتقد بياجي ، فكلما كان المحيط غني بالخبرات والمعارف والدعم الذي يقدمه الراشدين استطاع المتعلم استثمار قدراته لأقصى مستوى لها من الأداء . فعلاقة التأثر والتأثير تبقى دائما قائمة بين هذين العاملين فتشكل وحدة متكاملة، وهكذا تبنى المهارات ضمن هذا التحول الحادث في النمو عن طريق تفاعلهما .وتشكل بنية مهارية تِؤدي بدورها إلى تشكل بنية جديدة من المهارات أكثر تعقيدا و تطورا. .

على الرغم من خصوبة هذه النظرية، إلا أن نظرية بياجي حجبتها لمدة طويلة لأسباب أيدلوجية، خاصة وأن فيكوتسكي بنى نظريته على بعض المبادئ العامة التي استمدها من النظرية الماركسية .ولم يشرع الباحثون الغربيون في جني ثمار هذه النظرية من الناحية الأكاديمية والعملية إلا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين .وظهر له أتباع كثيرون في الغرب تحت اسم " الفيكوتسكيون الجدد "هم الذين مهدوا لإرساء علم النفس الاجتماعي المعرفي الذي أخذ يفرض نفسه بقوة في الساحة العلمية خلال السنين الأخيرة.

4-3-**نظرية باندورا (PANDORA) و التعلم الاجتماعي** :أكد باندورا في نظريته أن التعلم يحدث من خلال مشاهدة و ملاحظة نماذج سلوكية تساعد على اكتساب سلوك جديد أو تعديله . فالتفاعلات التي تحدث بين الفرد والآخرين تتولد من خلالها سلوكات مسايرة للنماذج السلوكية التي يلاحظها الطفل في بيئته الاجتماعية .وكنتيجة، فالتعلم بالنسبة لباندورا لن يتم إلا بتوفر العامل الاجتماعي أي توفر البيئة الاجتماعية التي تحدث هذا التعلم.

يرى باندورا أن الفرد يعتمد في تعلمه بالملاحظة على أربع عمليات رئيسية هي العمليات التفاعلية التبادلية، العمليات الإبدالية، العمليات المعرفية، عمليات التنظيم الذاتي،وأن عملية التعلم بالملاحظة تمر ببعض الخطوات حددها في أربع خطوات هي الانتباه، الحفظ، الانتاج و القدرة على الأداء، وأخيرا الدافعية للأداء أي هل للفرد الرغبة في القام بالفعل أو لا لكن تركيز باندورا للمظاهر الخارجية و اهماله العامل الذاتي من رغبة الفرد ومظاهر الوعي واللاوعي والفروقات الفردية بين الأفراد جعلت نظريته تفتقر للنظرة الشمولية لعملية التعلم

4-5-النظرية المعرفية لحل المشكلات:

يعتقد رواد هذه النظرية منهم كوهلر (Kohler) و ويلثمر (Weltheimer) أنه ينبغي فهم عملية التعلم، لاسيما تعلم المهارة، ضمن وضعية اشكالية يتعرض لها العقل الإنساني الدي سيحاول تحديد وفهم العلاقات التي تربط بين العناصر و الوحدات وإعادة تنظيمها. وسيستخدم العقل كل آلياته من استبصار وأدراك وتنظيم وإعادة تنظيم لإيجاد الحل المناسب للموقف المشكل الذي يتعرض له . يحدث هذا للعقل حالة من عدم التوازن في الإدراك تؤدي به إلى العمل على اعادة هذا التوازن من خلال استبصار الموقف لفهم المشكل في كليته والوصول إلى فهم وإدراك العلاقات القائمة بين أجزائه .كما يرى علماء الجشلطات أن الوصول إلى الحل يسبقه محاولات من الخطأ والصواب متفاوتة، ذلك أن إدراك المشكلة ليس بالأمر السهل .وعليه، فمن المهم النظر إلى هذه العملية العقلية كمهارة أساسية ينبغي أدرجها في المناهج التدريسية يتعلم فيها الأفراد كيف يفكرون وكيف يتعلمون .

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- كخلاصة، ينبغي النظر إلى بناء المهارات كعملية عقلية تتطلب مجموعة من الخطوات ترى الباحثة أنها تمر بما يلي :

- تعريض العقل للموقف المشكل :حيث يحس الفرد أنه يواجه مشكلة أو أنه يتعرض لموقف مشكل وأن العقل في حالة حيرة معرفية للموقف في كليته وجزئياته.
- محاولة ادراك الصور الكلية للمشكل :فهو يحاول أولا أن يدرك المشكل من خلال بناء صورة للمشكل في كليته إذ لا يستطيع ادراك أجزائه إلا بعد يكون صورة معرفية واضحة له.
- **التفكيك** :في هذه الخطوة يقوم العقل بتفكك المشكل إلى أجزاء لمحاولة ضبط عناصره وترتيبها وضبط العلاقات القائمة بينها أجزائها.
- **توليد صورة معرفية جديدة** :فبعد أن يدرك العقل المشكل ويحدد جزئياته وطبيعة العلاقات القائمة بينها يبني صورة ادراكية له أكثر فهما و أكثر انسجاما معه وقد تكون أكثر تعقيدا للصورة الحالية.
- **المحاولة والخطأ** :لا تنظر الباحثة لهذا العنصر كخطوة بل كوسيلة يتخذها العقل للانتقال من بين الخطوات إذ تشبهها بالممحاة التي نستعملها محاولة قيامها بانتاج فكري ما .و قد يختلف استخدامنا للمحاولة و الخطأ باختلاف سرعة ادراكنا أي كلما كان الإدراك سريع قل استخدامنا لهذه الخطوة.

5-5-النظرية المعرفية القصدية : اختلف ادوراد تولمان عن أصحاب النظرية السلوكية في اعتبار أن عملية التعلم ليست ارتباط بسيط بين مثير استجابة و انما هو سلوك قصدي موجه نحو هدف ، و هو خريطة معرفية متكاملة من الخبرات السابقة والمعطيات البيئية و مختلف التفاعلات المعرفية الناتجة . و دائما ما يسعى نحو هدف

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

معين من خلال اتخاذه سلوكا معينا دون غيره، و لذا فهو سيحدد الوسائل التي تساعده على الوصول إلى هدفه أي السلوك المطلوب، و لهذا اعتنى تولمان بالعمليات العقلية المعرفية من ادراكات وتمثلات وتوقعات واعتبرها مرحلة وسيطة بين المثيرات والاستجابات .و اعتبرها بمثابة متغيرات دخيلة وسيطة بين المتغيرات المستقلة (المثيرات) و المتغيرات التابعة(الاستجابات) وعلى عكس السلوكيين ، ينظر للسلوك كوحدة كاملة ناتجة عن عوامل داخلية، و أخرى خارجية . تكون موجهة لتحقيق هدف .و عليه، فالسلوك بالنسبة لتولمان سلوك مقصود، مرن ، قابل للتعديل كلما حال حائل لبلوغ الهدف. و لقد بين تولمان يتم على عدة أنواع و ليس على نوع معين و قدمت أنواع من التعلم و هي :

-**النوع الأول :تعليم عن طريق تشكيل تكثفات :(CATHEXES)** أي الربط بين الدافع والهدف.

-**النوع الثاني : العقائد المعادلة**: **(Equivalen cebeliefs)** و هي تقابل المعززات الشرطية التي جاء بها سكينر في نظريته.

النوع الثالث :التوقعات في المجال:**(Field EXpactancies)**و هي الخريطة المعرفية التي يكون فيها المتعلم ادراك للعالم تنظيم العلاقات القائمة بين عناصره.

-**النوع الرابع :أنماط الإدراك المجالي** :) **(Cognition Field Mode**أو هي الاستراتيجيات التي ستستعمل من أجل تعلم ما بطريقة بطريقة أكفأ.

النوع الخامس :تمييز الدو افع :**(Dirve Discrimination)** و هي القدرة التمييزة التي تجعل المتعلم يدير تدريبه وفقا للأهمية الدافع والهدف والوسيلة التي سيستعملها والخبرة المناسبة التي سيوظفها.

-**النوع السادس : الأنماط المحركة : (Motor Patterns)** و هي المحفز الداخلي التي تجعل الفرد يؤدي عملا ما ، إذ كلما أحسن المتعلم اختيار الطريقة التي تؤدي به إلى

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

تحقيق هدفه و اشباع حاجته ، كلما حفزه هذا على مواصلة عمله (حميدات عبد العالي ،في مجلة الإشعاع ، ص 260)

رغم الانتقادات التي وجهت لنظرية تولمان ، إلا أنها تقدم في نظرنا رؤية أكثر شمولية من النظرية السلوكية الكلاسيكية ، و في الوقت نفسه مفهوم تطبيقي لكيفية التعلم يمكن من خلاله فهم كيفية بناء المهارات ، إذ أنها تبدأ بوجود هدف معين يستهدفه المتعلم لإشباع حاجة من الحاجات المتعددة التي تثير الفرد . و هو عملية معقدة تتعدى كونها ارتباط بين مثير و استجابة، فالتمثلات الإدراكية للعملية التعلمية تشكل في نظرنا مركز عملية التعلم و هي التي تجعل من العملية التعلمية عملية متفردة مختلفة من فرد إلى آخر بحكم اختلاف مستوى ادراكهم وتمثلاتهم ، رغم كون القوانين الخارجية للتعلم واحدة.

6-5-نظرية الذكاءات المتعددة:

يدعم الكثير من التربويين هذه النظرية التي ترى أن الإنسان يمتلك أنواع متعددة من الذكاءات تميز بين الأفراد و تجعل هذا التباين في الفروقات الفردية ملاحظا، وعلى أساسها يتصرف الأفراد على نحو من القدرات المتباينة والمتمايزة إزاء المواقف المختلفة التي يتعرضون لها و حل مشاكلهم بطرق مختلفة، فالذكاء بالنسبة لجاردنر Gardne) (1993)ما هو إلا قدرة الفرد على حل مشكلاته من خلال استخدامه مجموعة من القدرات من أجل الانتاج و الابتكار.

من جهته ، يرى هاورد جاردنر في كتابه أطر العقل (1993) أن الفرد يمتلك على أكثر من نوع من أنواع الذكاء بحسب تنوع القدرات التي يمتلكها و هي تنمو على نحو مختلف بين الأفراد و من هذه الأنواع نجد:

الذكاء المنطقي الحسابي :يشمل الحساب والاهتمام بالأنماط والتصنيفات والعلاقات والمسائل الحسابية...

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الذكاء اللغوي :يشمل الكتابة والقراءة وسرد القصص... إلخ.

الذكاء الشخصي الداخلي :يشمل الدافعية الذاتية.

الذكاء التبادلي الشخصي :يشمل مهارة القيادة، الاتصال وفهم مشاعر الآخرين

الذكاء الجسمي/ الحركي :يشمل الخياطة والرياضة والرقص والنجارة.....

على ضوء هذه النظرية، يمكن فهم دور الذكاءات المتعددة في تشكيل أنواع مهارات مختلفة متباينة بين الأفراد متفاوتة في النوع بل و يمكن تطويرها خلال التدريب في انتاج أنواع متعددة الوصف والدقة في الابتكار.

على ضوء ما تقدم ذكره من النظريات السابقة، أمكن لنا استخلاص صورة عامة عن كيفية بناء المهارات حيث تعتقد الباحثة أنها عملية تعلمية تنمو في أطار تفاعلي بين الفرد وبيئته الاجتماعية الثقافية، لكنها تتطلب شروطا فيزيولوجية داخلية لضمان نضجها وتطورها ، كما أنها عملية ذات خطوات عمل محددة. لكن نموها يتطلب جهدا و وقتا كفيلان للوصول بها إلى أقصى مستوى لها من الدقة والإتقان .

وعليه، فإن تزويد الشباب بهذه المهارات على مختلف أنواعها و مجالاتها من مهارات حياتية و مهارات تقنية و مهارات عقلية و غيرها من الأهمية الأولوية التي يجب تكريسها في المناهج التربوية و في طرق التدريس الحديثة ستكون داعمة و مساعدة على النجاح في العصر الحالي المتسارع في المعرفة و الابداع التكنولوجي .

6 -محددات تنظيم تعليم داعم للمهارات الحياتية في النظام التربوي الجزائري:

تماشيا لمتغيرات القرن الحالي المتسارع، لن يكفي شحن المتعلم بالمعارف المتغيرة المتلاشية لاحقا، فمثل هذه المقاربة المثقلة بالمعارف ستكون غير مناسبة .بالمقابل، فإن إعادة تنظيم التعليم ارتكازا على دعائم تعلمية سيكون ضروريا لتقليص هذه الفجوة .اقترح ديلورز في تقريره الذي قدمه سنة 1996 بعنوان التعليم ذلك الكنز المكنون أربعة دعائم تعليمية بمثابة أركان معارفية موجبة التمكين الفردي تتمثل فيما يلي:

- التعلم للمعرفة :وهي تتطلب اكتساب أدوات الفهم لتعلم كيفية التعلم.
- التعلم للعمل :وذلك لاكتساب كفاءات لمواجهة مختلف مواقف الحياة الاجتماعية
- التعلم للعيش مع الآخرين :في ظل احترام التعددية والتفاهم و السلام.
- تعلم المرء ليكون :و ذلك باستغلال كافة طاقاته و قدراته لتحقيق طموحاته و تحمل مسؤولياته .

لقد كان هذا الاقتراح من الأهمية أن دعم مفهوم الكفاءة والمهارة في المناهج التربوية الحديثة، فكانت المقاربة بالكفاءات أكثر المقاربات التربوية المنتهجة في عدد من المنظومات التربوية، وهو الحال في منظومتنا التربوية الجزائرية؛ غير أن دلائل المهارة لا تزال غير واضحة المعالم على الأقل في منظومتنا التربوية، ما جعل مفهوم الكفاءة، على اعتبارها مجموعة من المهارات، لا يزال مشوشا في عقول الكثير من التربويين والمعلمين .مثل هذه القفزة المهملة، جعلت مجموعة كبيرة من المهارات والمهارات الحياتية غائبة في المناهج والتطبيقات التربوية، وفي أذهان المربين والمعلمين .الأمر الذي سيؤثر لا محالة في فعاليتها وضعف مخرجاتها.

إن الدعوة إلى التفكير الجدي في هذه المقاربة من شأنه أن يضمن جودة المخرجات التربوية الجزائرية بما يتماشى وآفاق العولمة العلمية والتكنولوجية والمهنية ومتطلبات المواطنة والتنمية المستدامة.

7-تجارب عالمية في مجال تعليم المهارات الحياتية:

من بين التجارب والمبادرات الرائدة في مجال تعليم المهارات، سنقتصر في هذا المقال على ذكر مبادرتين عالميتين هما :لجنة الشراكة لتعليم مهارات القرن الحادي والعشرين ومبادرة تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا .

• لجنة الشراكة لتعليم مهارات القرن الحادي و العشرين الخاصة بالمعايير و التقييم والتطوير المهني لبيرني تريلينج) (Berny Trilling ،و تشارلز فادل. (Charles Fadel)يعتبر بيرني تريلنج بمثابة المدير العالمي لمؤسسة أوراكل للتعليم و عضو في شراكة مهارات القرن

الحادي والعشرين ومديرا لمجموعة التقنية في التعليم في إقليم التعليم الغربي. أما تشارلز فادل فهو قائد للتعليم في مؤسسة سيسكو للنظم وعضو في شراكة مهارات القرن الحادي والعشرين الخاصة بالمعايير و التقويم و التطوير المهني.

اقترح هذان القائدان التربويان إطارا للتعلم في القرن الحادي والعشرين حيث حددا المهارات المطلوبة للبقاء والازدهار في عالم معقد ومترابط .فهما يعتقدان أن التعليم في هذا العصر يشتمل على المعرفة التقليدية الخاصة بالموضوعات الدراسية الرئيسية مثل القراءة والكتاب والحساب، ولكنه يركز أيضا على الأفكار المعاصرة مثل الوعي العالمي والثقافة المالية والاقتصادية والصحية والبيئية، وسيطبق الطلاب في هذه المدارس معرفتهم في فهم وحل مشكلات حقيقية عن طريق استخدام ثلاثة مجالات للمهارات هي:

-1**مهارات التعلم والإبداع** :و تتضمن الابتكار و الإبداع والتفكير الناقد و حل المشكلة والاتصال والتعاون.

-2**مهارات الثقافة الرقمية** :وتتضمن الثقافة المعلوماتية و الإعلامية و ثقافة تقنية المعلومات والاتصال.

-3**مهارات العمل و الحياة** : و تتضمن المرونة و القدرة على التكيف و المبادرة و التوجيه الذاتي والإنتاجية و المساءلة و القيادة و المسؤولية

تؤكد هذه المبادرة على ضرورة دمج المهارات الأساسية للمنهج الدراسي مع هذه المهارات اللازمة للقرن الحادي و العشرين ضمن نموذج تحويلي للتعلم، يكون فيه الطالب محور العملية التعلمية، و حيث يكون فيه أسلوب التعلم نشطا و استكشافيا عن طريق العمل واستخدام الأدوات التقنية.

- **مبادرة تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا :LSCE** تركز هذه المبادرة على تحقيق أثر ملموس على مستوى ثلاث مجالات مترابطة فيما بينها، من حيث الوصول إلى مجتمع المعرفة من خلال تحسين مخرجات التعلم، تحقيق التنمية المستدامة من

خلال تحسين التوظيف و ريادة الأعمال، و تعزيز التلاحم الاجتماعي من خلال تحسين المشاركة .تم إطلاق هذه المبادرة في اجتماع شبكة التعليم لمنطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا (MEDNET) الذي نظمته اليونيسف في 2015 ، حيث تولت قيادته مع مساهمة الكثير من الشركاء العالمين و أصحاب القرار و المنظمات الدولية.

حددت هذه المبادرة اثنتي عشرة مهارة حياتية للشرق الأوسط و شمال إفريقيا باستخدام نموذج التعلم رباعي الأبعاد : التعلم للمعرفة) البعد المعرفي (، والتعلم للعمل) البعد الأدواتي (، و التعلم لنكون) البعد الفردي (و التعلم من أجل العيش المشترك) البعد الاجتماعي (، و المهارات الرئيسية الاثنتا عشر هذه طويلة الأمد و تستند إلى الأدلة التي تؤكد أهمية اكتساب المهارات في سن مبكرة . فضلا عن ذلك، يمكن اكتساب هذه المهارات الحياتية الرئيسية الاثنتا عشر واستدامتها عبر جميع أشكال التعلم في مقاربة للنظم التي تعترف بتعدد مسارات التعلم الرسمي وغير الرسمي وغير النظامي .وتمثلت هذه المهارات في:

-**البعد المعرفي أو التعلم من أجل المعرفة** :ويضم مجموعة مهارات التعلم التي تشمل مهارة الإبداع، مهارة التفكير النقدي ومهارة حل المشكلات.

-**البعد الفعال أو التعلم من أجل العمل** :ويضم مجموعة مهارات التوظيف والذي يشمل مهارة التعاون، مهارة التفاوض، مهارة صنع القرارات.

-**البعد** الفردي **أو "تعلم المرء ليكون** :"ويضم مجموعة مهارات التمكين الذاتي وهي مهارة إدارة الذات، مهارة الصمود، مهارة التواصل.

-**البعد الاجتماعي أو التعلم للعيش مع الآخرين** :وهي مجموعة مهارات المواطنة الفعالة : وتشمل مهارة احترام التنوع، مهارة التعاطف، مهارة المشاركة

غير أن هذه الأبعاد كثيرا ما تظهر متشابكة ومترابطة ومعززة لبعضها البعض، مدعمة في ذلك مبدأ التعلم مدى الحياة الذي تم تطويره في تقرير ديلورز لعام 1996 بعنوان التعلم :ذلك الكنز المكنون من أجل تحقيق هدف التنمية المستدامة الرابع المتمثل في ضمان تعليم جيد

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

وشامل للجميع .لقد قدمت هذه المبادرة، استنادا على نظرية التغيير، رؤية تحويلية للتعليم في هذه المنطقة من أجل تحسين التعلم، و تعزيز إمكانيات الأطفال و الشباب، و إعدادهم لمواجهة مختلف المراحل الانتقالية من الطفولة إلى البلوغ، و من التعليم إلى العمل، إلى خلق روح المواطنة و المسؤولية بمعنى آخر الاستثمار الأفضل للتعلم في التنمية الاقتصادية، الاجتماعية والفردية.

خاتمة:

بالنظر إلى هاتين المبادرتين يظهر اتفاقهما على مجموعة من المهارات هي في الواقع عالمية ومعززة للتمكين الفردي تهدف كلها إلى تواصل متوافق للنوع الإنساني أينما كان في أي منطقة من مناطق العالم وتعزز مفهوم المواطنة العالمية بما يحقق التنمية المستدامة مثل مهارة المسؤولية ومهارة العمل الجماعي ومهارة التواصل .

لقد سمحت هاتين المقاربتين من تطوير مجالات واسعة من المهارات المتكاملة والمتناسقة فيما بينها في مسارات تعليمية مختلفة بما في ذلك التعليم الرسمي وغير الرسمي، أو حتى في مجال التكوين والتدريب المهنيين بهدف تحقيق تعليم نوعي وجيد .وأوجدت بذلك محاولات متعددة لتعليم المهارات في مختلف المساقات التعليمية .كما أعطت للتعليم مقاربة تعليمية أكثر شمولية موازية بين الجانبين المعرفي مقابل الانفعالي والفردي مقابل الاجتماعي وعلى هذه القطبية الإنسانية ينبغي إعادة التفكير في مناهجنا التربوية الحديثة التي عليها أن تراعي تنمية مختلف جوانب الشخصية الإنسانية تستدعي رؤية تحويلية في مناهجنا التربوية إعادة تموضع مفهوم المهارة في قلب المقاربات التربوية الحديثة لاسيما المقاربة بالكفاءات كأحد دعائم التعليم التي من شأنها تحقيق تعليم نوعي جيد شمولي لمختلف الأبعاد التربوية .

نعتقد أن إهمال هذا البعد الدلالي من جوهر هذه المقاربة على مستوى منظومتنا التربوية قد أحدث استفراخ في ابستمولوجيا هذه المقاربة من شأن هذه الرؤية التعديلية إفراز تصنيفات مهارية هامة وضرورية في مختلف المساقات التربوية .فبعيدا عن المقاربات التربوية التقليدية، توجد حاليا حاجة ملحة غلى ضرورة تمكين متعلم هذا القرن بأدوات للتعلم

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

والتفكير والإبداع و حل المشاكل و اتخاذ القرار وريادة الأعمال، والمقدرة على التوظف، على قدر حاجته إلى ما يقدمه له العالم الرقمي من خدمات معرفية واجتماعية واقتصادية وترفيهية لا يمكنه الاستغناء عنها، و إلى ما يمليه عليه الواقع الإنساني في بعده الفردي والاجتماعي و العالمي من أجل تحقيق تنمية مستدامة، و مواطنة مسؤولة مع احترام الذات والأخر و البيئة و على مستوى آخر.

وكمخرجات تعليمية ذات جودة وفعالية، يمكن توقع استغلال أمثل للفرد في قدراته ومواهبه، واستثمار أنجع في هذه الطاقات بما يتماشى مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية و البيئية، وبما يجعل البعد القيمي الإنساني في مقدمة الأولويات التربوية.

قائمة المصادروالمراجع:

- أحمد بن فاطمة .(2013) .وحدة تدريبية) تكوينية (في مجال طفايات القرن الحادي و العشرين ،البرنامج العربي لتطوير مناهج التدريس و نوظيف تقنيات المعلومات و الاتصال في التعليم و التعلم .*المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم* . الجمهورية التونسية :المركز الوطني للتكنولوجيات في التربية.
- المنظمة الدولية للطفولة ، اليونيسف .(2017) .*الدراسة التحليلية لتعليم المهارات الحياتية و المواطنة في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا* .عمان ، الأردن :مكتب اليونيسف الإقليمي للشرق الأوسط و شمال إفريقيا.
- بولا فيلاسينور .(2018 ,08 01) .*مدونة البنك الدولي* . تاريخ الاسترداد2020 ,05 27 ، من البنك الدولي
- تشارلز فادل ، بيرني تريلنغ .(2013) .*مهارات القرن الحادي و العشرين ، العتلم للحياة في زمننا*) .بدر بن عبد الله صالح، المترجمون (المملكة العربية السعودية : جامعة الملك سعود للنشر العلمي و المطابع.
- تواتي حياة .(2014) .دور التكوين في علم النفس في تنمية المهارات الحياتية عند الطالب الجامعي - دراسة على طلبة علم النفس ببعض جامعات الغرب الجزائري .تلمسان ، الجزائر.
- حسن شحاتة ،زينب النجار .(2003) .*معجم المصطلحات النفسية و التربوية* . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية.
- ديلورز .(1996) .*التعليم ذلك الكنز المكنون* . جنيف- سويسرا : اليونيسف.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- سعاد عبد الواحد السالمي) .يونيو/جوان .(2019 ,مبادرات تعليم المهارات الحياتية ة المواطنة في إقليم الشرق الأوسط و شمال إفريقياLSCEدراسة حالة : الجمهورية التونسية .*مجلة الأكسو التربوية* ، صفحة.175
- شرقي رحيمة ، بوساحة نجاة) .دون سنة نشر .(بيدلغوجية المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية . *مجلة العلوم الإنسانية : عدد خاص : ملتقى تكوين الكفيات في التربية*.
- طارق عبد الرؤوف عامر .(2015) .*المهارات الحياتية و الاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة*) الإصدار ط .(1القاهرة :دار الجوهرة للنشر و التوزيع.
- عمور عمر .(2009) .إسهامات بعض أساليب تدريس التربية البدنة و الرياضية الحديثة في تنمية بعض المهارات الحياتية لدى طلاب المرحلة الجامعية . *أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على شهادة دكتوراه العلوم في نظرية و منهجية التربية البدنية و الرياضية* . سيدي عبد الله ، معهد التربية البدنية و الراضية ، جامعة يوسف بن خدة ، سيدي عبد الله ، الجزائر.
- فريدة شنان ، محمد هجرسي .(2009) .*المعجم التربوي* . الجزائر : المركز الوطني للوثائق التربوية.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

بلاغة المجاز والإعجاز ضِمن النظرية البلاغية العربية

The rhetoric of metaphor and miracle within Arabic rhetorical theory

فضلي لعجال، جامعة عمار ثليجي، الأغواط – الجزائر

l.fadli@lagh-univ.dz .

تاريخ الارسال:11-03-2024 تاريخ القبول:24-03-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان جانبٍ من التطور الإبستيمولوجي للبلاغة العربية، من خلال الدراسات القرآنية التي كانت على يد القراء، حيث انطلقت هذه الدراسات من الدفاع عن القرآن وتبرير مجازه حتى وصلت إلى التحدي به وإبراز إعجازه، وهي مباحث قرآنية ذات منهج كلامي أثمرت تفصيلات علمية، وتدقيقات منهجية، وتنظيرات بلاغية صريحة، بلغت سَبْق بعض الإعجازيين إلى فكرة النظم، وبلوغ الدراسة الموضوعية العميقة، التي تتناول الأسلوب وتهتم باللفظ والجملة والصياغة وتقسيمات أبواب البلاغة.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، المجاز، البلاغة.

Abstract

The aim of the research is to explain the development of Arabic rhetoric. On the part of Qur'anic studies, these studies began by defending the Qur'an and justifying metaphors in it, then reached the challenge of the Qur'an and its miracles.

These studies had a philosophical approach, produced explicit laws and theories in Arabic rhetoric, and reached the study of style, words, sentences, wording, and divisions. types of rhetoric.

Keywords:**Miracle, metaphor, eloquence**

المؤلف المرسل: **فضلي لعجال**

مقدمة:

لم تكن البلاغة العربية متلونة ومتغيرة مع الوقت بسبب مراحل تطورها فقط، بل كان ذلك أيضا لكونها متعددة الروافد التي تغذيها بالمادة الخاصة، وترسم لها الاتجاه المختلف، وتختار لها الأسئلة الذي تنطلق منها وتتأسس عليها، ومن هذه الروافد نجد رافد الدراسات القرآنية مع القُرّاء الأوائل، ومباحثهم في تنزيه القرآن والتحدي به، ورافد النقود التطبيقية للشعر مع أصحاب الموازنات وغيرهم ممن اهتموا بمسائل البديع، ورافد التنظير للبيان العربي مع الجاحظ، الذي بحث في الخطابة والتواصل والفهم والإفهام وغير ذلك من الروافد.

ولقد كانت المباحث القرآنية ذات اهتمام كبير عند العلماء، ولها امتداد طويل ومساق متحول، حتى نتج عنها بلاغة ترتكز على فكرتين متعاقبتين هما المجاز والإعجاز، فما طبيعة هذه البلاغة وكيف ساهمت فكرتا المجاز والإعجاز في بناء نسق بلاغي خاص، و كيف شاركت في التنظير البلاغي العربي بأسئلة جوهرية وتفصيلات علمية وتدقيقات منهجية؟

وعلى ما سبق ستكون هذه الورقة البحثية هادفة إلى بيان جانبٍ من التطور الإبستيمولوجي في البلاغة العربية من خلال أحد روافدها الذي هو بلاغة المجاز والإعجاز.

1- الخلفيات والبواعث:

كان اللغويون من أوائل من ناقشوا المسائل البلاغية لكن نشاطهم لم يلبث أن توقف، في حين أن المتكلمين بقي لهم نشاط في هذا المجال، وظل مُؤتيًا ثماره مع كل عَلم منهم، وذلك لأنهم درسوا مباحث واسعة في إعجاز القرآن من حيث بيانه وبلاغته. وكان المتكلمون ذوي فضل كبير في توضيح الإعجاز بما لهم من دقة تفكير وتعمق قديم في هذه المباحث. (ضيف، 1995، الصفحات 102-103)

في القرن الثالث الهجري طرح المشككون في كلام الله أسئلة لا تجيب عنها المعالجة اللغوية، وازداد إحساس المدافعين عن القرآن بالحاجة إلى علم الكلام والحجج العقلية، ثم مع الوقت أدى علم الكلام إلى البحث في الخصوصية البلاغية لكلام الله "وصار الكشف عن الوجوه

القرآنية يَؤول في كثير من الأحيان إلى تفسير بياني لبعض آياته" (السيّد، دت، صفحة 40) فساهم هذا العلم في تطور السؤال البلاغي، وهو علم مؤسّس على إثبات انسجام القرآن وتفوقه على النصوص البشرية، وقد كان اشتغال هذا العلم على مستويين هما:

- تنزيه القرآن عن الخطأ في مواجهة المتشككين في الوحي.
- إثبات مزية الإعجاز في القرآن لتثبيت المؤمنين به.

وقد كان لهذين المبحثين أثر في توجيه البلاغة العربية من بعض الجوانب. (العمري، 1999، الصفحات 139-141) ثمّ اجتهد الإعجازيون في رد هذه الطعون بأمرين هما:

- بيان انسجام النص القرآني، وقد نتج عن هذا المبحث بيان كيفية تحول اجتهادات المجازيين إلى أسئلة كلامية.
- إظهار حكمةِ ما يبدو من اختلاف أو مفارقات في النص القرآني، وفي هذا الإطار تطور مبحث المجاز. (العمري، 1999، صفحة 143)

ألف ابن قتيبة كتاب "تأويل مشكل القرآن" ردا على مطاعن المشككين في القرآن، وتكلم فيه عن المجاز كإطار عام للبلاغة في عصره (مداح، 2011) ص (65)، وكانت هذه المطاعن تنقسم إلى أربعة أنواع هي:

- نوع من جهة اختلاف القراءات.
- نوع من جهة ما ادُّعيَ على القرآن من لحن.
- نوع من جهة ما ادُّعيَ على القرآن من تناقض.
- نوع من جهة ما ادُّعيَ على المتشابه من غموض وإشكال. (العمري، 1999، صفحة 144)

ويمكن تصنيف القضايا التي أثارها ابن قتيبة إلى ثلاث:

- قضايا متعلقة بضبط النص وانسجامه من حيث اختلاف القراءات والإعراب.
- قضية انسجام النص، أي ما ادُّعيَ عليه من التناقض والاختلاف.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- قضية المتشابه الذي تفرعت عنه فصول تتعلق بالتركيب والنظم بصفة عامة مثل المجاز والاستعارة والحذف والتكرار.

ومن الواضح أن القضية الأولى لغوية صرف، والقضية الثانية خطابية نصية دون نقاش بلاغي عميق. (العمري، 1999، صفحة 144)،أما القضية الثالثة فهي قضية الإشكال والغموض في العبارة بسبب تصرف دلاليّ أو نحوي، لذلك انطلق ابن قتيبة في استكشاف آليات التراكيب القرآنية وتفسيرها لغويا، وهنا تجلى جهده البلاغيّ، حيث حاول بلورة الأوجه المجازية الواردة عند اللغويين تحت مفاهيم ومقولات عامة، وهذه القضية هي التي استحوذت على أغلب الكتاب وهي ما يُعتبر مساهمة في تشييد صرح البلاغة. (العمري، 1999، صفحة 146).

يقول محمد العمري "إن هذا العرض العام للأسئلة والأجوبة التي شغلت ابن قتيبة ووجّهته، يقدم دليلا آخر جليا على انبثاق السؤال البلاغي عن هموم غير بلاغية قادتها طبيعة الموضوع (التنزيه وإثبات المزية) إلى الخوض في القضايا البلاغية". (العمري، 1999، صفحة 147) .

وقد حدد ابن قتيبة هدفه من أول الكتاب بقوله: "وقد اعترض كتابَ الله بالطّعن ملحدون ولَغَو فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بأَفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظرٍ مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، قد قضوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللغة وفساد النّظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغِمْرَ، والحدث الغِرَّ، واعترضت بالشبهة في القلوب، وقَدَحَتْ بالشكوك في الصدور ... فأحببت أن أنصح عن كتاب الله". (قتيبة، 1983، الصفحات 22-23)

وقد تخلى ابن قتيبة عن بعض القضايا النحوية في هذه المطاعن، وكان هذا التّقليص اللّغوي الصّرف إجراءً مهما لصالح الأسئلة البلاغية الجُمليّة والنّصيّة. ووصل ابن قتيبة إلى مستوى متقدم من التجريد حينما فتح أبوابا خاصة بمجموعات من الصور الأساسية وهذه

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الأبواب هي: باب القول بالمجاز - باب الاستعارة - باب المقلوب - باب الحذف والاختصار - باب تكرار الكلام والزيادة فيه - باب الكناية والتعريض - باب مخالفة ظاهر اللّفظِ معناه.

ومن المناسب هنا ملاحظة التّدرج المتصاعد للوعي المنهاجي بالظاهرة البلاغية، إذ تم الانتقال من مجرد ملاحظة الإشكال عند أبي عبيدة والفراء، إلى ملاحظة الإشكال وإعطائه اسما نَسقِيًّا (المجاز) وأسماء تفصيلية. ولحق ذلك عملية استقرائية عفوية بتوسيع النقاش حول الآية بالبيت الشعري، وهذه خطوة ثانية بعد الملاحظة في ضوء المعيار، ثم تتلو ذلك عملية المتناظرات بعضها ببعض. وهذا يستدعي مباشرة تسمية الصفة المشتركة المنتزعة من مجمع الأمثلة، أي وضع بداية العلم وأساسه. (العمري، 1999، الصفحات 149-150)

حينما ننظر بصفة إجمالية في ما أتى به ابن قتيبة من ألوان بلاغية فسنجد أن الفراء (ت208ه) وأبو عبيدة (ت201ه) والجاحظ (ت255ه) قد سبقوه في ذكرها، وأن ابن قتيبة جمع ونقل مواد كتابه من كتب سابقيه ومعاصريه، وأنه لم يضف عليها شيء سوى التنظيم والتبويب. (عبد القادر، 1998، صفحة 180) لكنّ هذا التنظيم جعله صاحب طرح منهجي له دور خطير، خاصة في القرن الثالث الهجري والخلافة العباسية في أوج ازدهارها، واختلاط العرب بالعجم وتوسّع المجال الفكري، والبلاغة مبعثرة لم تُسلك في عقد منتظم، لذلك نصب ابن قتيبة نفسه لهذا العمل التنظيمي المنهجي الجليل حينما كانت البلاغة في أمس الحاجة إلى هذا الجهد. (مداح، 2011)ص(64) ثم إن ابن قتيبة لم يسمّها بلاغة بل جعل كلامه في إطار القول الجمالي والروح النقدية العالية، ومعايير الجمال باسم المجاز (مداح، 2011، صفحة 66).

2- من المجاز التنزيهي إلى المجاز البلاغي:

بيّن ابن قتيبة أن المجازات هي طرق ممكنة في القول، وردّ بذلك على الطاعنين في القرآن، ثم فتح بابا للمجاز إلى جانب صور بلاغية أخرى، وتحدث عن المجاز بمعناه الوسطي بين الفهم الظاهري والتّأويل المُغرِق، فيقبل بعض الاجتهاد في التخريج البلاغي من جهة، مثلما كان "العرب يقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل، قال الشاعر:

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غِضابا" (قتيبة، 1983، صفحة 135)
ومن جهة أخرى يتحفّظ على المبالغة في التأويل، فلا يرى عجبا في نطق السماء، والله يُنطق الجلود والأيدي والأرجل يوم القيامة، وجاء هذا التحفُّظ خشية أن ينال المجاز من بعض الاعتقادات المعلومة، مثل عذاب القبر أو مُساءلة الملكين.

بهذا خَصّص المجازَ وحصره في النقل الدلالي الذي تؤسسه المشابهة القائمة على تداخل عالم الإنسان وعالم الحيوان والجماد، واتضح المجال الذي ستتخصص فيه البلاغة فيما بعد. وهكذا وصلت أسئلة التنزيه بعلماء الكلام إلى رصد صور التغير الدلالي وتجريد مفاهيمها وتسميتها وتعريفها وتفسير فاعيلتها (العمري، 1999، الصفحات 150-153)وهذا يتممه قول السكاكي"وإذا ظهر لك أن مرجع البيان هاتان الجهتان، علمت انصباب علم البيان على التعرض للمجاز والكناية، فإن المجاز ينتقل من الملزوم إلى اللازم، كما تقول: رعينا غيثا، والمراد لازمه وهو النبت". (السكاكي، 1987، الصفحات 330-331) .

3- بيان وجه الإعجاز:

بعد ظهور المتشككين واتجاه العلماء نحو الرد عليهم صار البحث في الإعجاز البلاغي ذا منحى قائم بنفسه، يقول الباقلاني "وقد كان يجوز ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن .. أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه، فهو أحق مما صنفوا فيه من بديع الإعراب، وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمسّ والاشتغال به أوجب، وقد قصّر بعضهم في هذه المسألة، حتى أدّى ذلك إلى تحوّل قوم منهم إلى مذهب البراهمة فيها" (الباقلاني، دت، صفحة 6) وإن دعوة الباقلاني هذه إنّما هي نتيجة التسليم بالوجه البلاغي في الإعجاز القرآني، الذي كان محل نقاش طويل في القرنين الثاني والثالث. (العمري، 1999، صفحة 160)وهذا الموقف الذي صار محل إجماع في القرن الرابع يعتبر انتقالا من النقاش الكلامي الذي مجاله الدين إلى النقاش البلاغي الذي يتناول النظم القرآني المجسد في النص. وهذه الفترة مثّلها الخطّابي والرماني والباقلاني.

بعد هذا قام الإعجازيون بإجراءين حاسمين في تطور البلاغة العربية هما:

- اختزال البديع، ومحاولة تفسير الفاعلية البلاغية.
- تفسير الوجوه البلاغية وبيان المزية النظمية.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

وقد سُبق هذان الإجراءان بأرضية ممهدة تتمثل في أمرين هما:

- عملُ اللغويين على بيان مجاز القرآن ومُشكِلِهِ وتفسير حكمته.
- تصنيف كتب نقدية بلاغية مثل البديع لابن المعتز، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والبيان للجاحظ، والصناعتين لأبي هلال العسكري.

فبمجرد أن توجه اهتمام علماء القرن الرابع إلى الإعجاز البلاغي وأخلصوا وجهتهم له توجهت أبصارهم إلى ذلك التراث للاستفادة منه فأفادوا من اللغويين والمفسرين والمتكلمين والأصوليين في مستوى تفسير الوجوه البلاغية واستفادوا من البلاغيين في تفسير الفاعلية البلاغية. (العمري، 1999، الصفحات 166-167) .

4- اختصار أبواب البلاغة:

اختار الرماني عشرة أوجه للإعجاز البلاغي وهي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان وميّز بين مستويين فيها: مستوى معجز ومستوى غير معجز. (محمد خلف الله و محمد، 1976، صفحة 76)

وفي سياق كلامه عن هذه الوجوه كان للرماني عطاء خاص للتفكير البلاغي، فقد حرص على توضيح مفهوم البلاغة، حينما جعل البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وهو أمر لم يتطرق إليه أحد بهذه الصورة تحديدا، فرغم أن الجاحظ سَبق إلى الحديث عن معنى البلاغة، غير أن منهجه تمثل في عرض آراء السابقين من ذوي النظر في الأدب دون أن يخلص إلى تصور محدد، أمّا الرماني فقصد إلى ذلك من البداية، وكان مع ذلك أنه أخرج الإفهام من البلاغة، بحجة أن الفهم يحدث للكلام البليغ وما دونه (السيّد، دت، الصفحات 41-42) .

وأيضا مما هو جديد عند الرماني هو ما يظهر في أسلوب معالجته، ومحاولة ضبط الصور البلاغية ضبطا منهجيا كبيرًا، وذلك بتعريفها، ثم بيان ما يراه من أقسام لها، وتوضيح ذلك بالشواهد القرآنية مختطا لنفسه في ذلك طريقا خاصة، فمثلا حين يقول ابن قدامة إن التشبيه "يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها" (قدامة، دت، صفحة 124) ، يذهب الرماني إلى أنه "العقد

على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل" وغير ذلك مما تفرد به. (السيّد، دت، صفحة 48) .

إلى جانب ذلك نقطة أخرى تحسب للرماني وهي أنه أفاض في التشبيه أكثر من غيره، انطلاقا من القرآن، فيقول عن التشبيه البليغ "أنه إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف" (محمد خلف الله و محمد، 1976، صفحة 81)، وذلك يجعله ميزانا يتفاضل به الشعراء .. وقسم للتشبيه أربعة وجوه بيانية يحققها" وفعل مثل ذلك في الاستعارة وغيرها من أبواب البلاغة (محمد خلف الله و محمد، 1976، صفحة 44)؛ وهكذا أفضى البحث الإعجازي عند الرماني إلى توضيح عدد من المصطلحات البلاغية وتعميق مفاهيمها .. ومن جهة أخرى فإن نفرا من الإعجازيين قد سبقوا إلى فكرة النظم المشهورة عن الجرجاني، أو بالأحرى استعملوا مصطلحها في كتب ضاعت ضمن ما ضاع من التراث. وأول هذه الكتب هو كتاب نظم القرآن للجاحظ، ثم كتاب بن أبي داوود السجستاني (ت316 ه) وغيرهما كثير.

ومن دور الإعجازيين إلماح الخطابي إلى أن فكرة النظم تقتضي أن يقوم الكلام على ثلاث عناصر: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، ومعيار البلاغة بهذه المقاييس هو أن توضع كل لفظة في موضعها الأخص بها من الكلام، بحيث إذا تبدل مكانها ترتب عنه أحد أمرين: إما تغير المعنى وفساد الكلام وإما ذهاب الرونق وسقوط البلاغة، وقد أورد الرماني لذلك تطبيقات قرآنية كثيرة. (محمد خلف الله و محمد، 1976، صفحة 44).

5- تفسير فاعلية الصور البلاغية:

برز عند الإعجازيين في القرن الرابع الاهتمام بتفسير فاعلية الصور البلاغية، وقدم الخطابي والرماني تفسيرات بلاغية ينسجم أكثرها مع التفسيرات البنوية الشعرية الحديثة، ومن ذلك تفسير فاعلية علاقة المشابهة في التشبيه والاستعارة وتفسير فاعلية الحذف. ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَت بِهِ الجبَالُ أو قُطِّعَت بِهِ الْأَرضُ أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[الرعد:31] وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر عن الوجه الذي تضمنه البيان. ثم تقوّى هذا التفسير عبر تاريخ البلاغة حتى صار من مسلمات الشعرية الحديثة تحت عنوان انفتاح النص. (العمري، 1999، الصفحات 184-185)، ثم انتقل الأمر إلى السؤال الإعجازي ومدى تعلقه بهوية

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

البلاغة، ورغم أنه ليس أكيدا ارتباط السؤال الإعجازي وحده بسؤال الهوية البلاغية، إلا أنه مؤكد أن الاعتبار الإعجازي كان أكثر ما يدفع إلى تساؤل يقول: ما الذي يجعل الكلام بليغا ويجعل بعض الكلام أبلغ من بعض؟ وهذا أثّر على توجيه مفهوم البلاغة عند الجرجاني والسكاكي لاحقا. ويمكن القول عموما أن تفسير الصورة قد كان بارزا في المرحلة الإعجازية، في حين سيكون الكشف عن هوية البلاغة من هموم المرحلة الثانية في القرن الخامس، وكلاهما يتغذيان من المرحلة الكلامية الأولى. (العمري، 1999، الصفحات 185-186).

خاتمة:

في مجمل القول فإن بلاغة الإعجازيين هي مباحث قرآنية ذات منهج كلامي وهدف إعجازي، وقد شكلت مع الوقت رافدا للبلاغة العربية يمتاز عن غيره بلون متفرد بسبب سياقه الخاص، وبدأ هذا الرافد في تشكله من مباحث قرآنية تكتفي في البداية بموقف المدافعة والرد على الشبهة وتبرير وجه المجاز، ثم تحوّلت إلى موقف المقارعة وبيان وجه الإعجاز.

وفي خضم جهود "التنزيه والإثبات" انبثق السؤال البلاغي عن هموم غير بلاغية، وخاضت هذه الهموم بالمبحث القرآني في القضايا البلاغية، وبعدها تفرعت وأثمرت تفصيلات علمية، وتدقيقات منهجية، وتنظيرات صريحة، مثلما رأينا مع الرماني في مفهوم البلاغة، وأخرى بلغت سبْق بعض الإعجازيين إلى فكرة النظم، وكانت دراستهم موضوعية عميقة تتجاوز النظرة الكلية ذات الأحكام العامة، فتتناول الأسلوب بالمعنى الواسع، وتهتم باللفظ والجملة والصياغة معا. وقد ساهم الإعجازيون في تقسيم أبواب البلاغة واستخراج أنواع جديدة منها، لهذا يُعتبرون من خَدَمة البلاغة ومؤسسيها الذين سارت جهودهم في الزمن، وكانت أصولا للجهود المتعاقبة بعدهم.

قائمة المصادروالمراجع:

ابن قتيبة. (1983). تأويل مشكل القرآن (المجلد 2). القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث.

ابن قدامة. (دت). نقد الشعر (المجلد دط). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو يعقوب السكاكي. (1987). مفتاح العلوم (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

أحمد مداح. (2011). التنظير البلاغي عند ابن قتيبة من خلال كتابه "تأويل مشكل القرآن" (المجلد دط). وهران، الجزائر: كلية الآداب والفنون.

الباقلاني. (دت). إعجاز القرآن. القاهرة، مصر: دار المعارف.

بيلي برايسون، و اسامة محمد اسبر. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريبًا (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.

حسين عبد القادر. (1998). أثر النحاة في البحث البلاغي (المجلد دط). القاهرة، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

خلف الله محمد خلف الله، و زغلول سلامة محمد. (1976). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. القاهرة، مصر: دار المعارف.

شفيع السيّد. (دت). البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

شوقي ضيف. (1995). البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة، مصر: دار المعارف.

محمد العمري. (1999). البلاغة العربية أصولها وامتداداتها (المجلد دط). بيروت، لبنان: أفريقيا الشرق.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الدور المحوري للإنابة القضائية الدولية كإحدى آليات الحد من الجريمة المنظمة

(دراسة حالة جمهورية مصر العربية)

The pivotal role of international judicial representation as one of the mechanisms for reducing organized crime

(Case study of the Arab Republic of Egypt)

السيد أحمد فهمي – كلية الحقوق – جامعة عين شمس- القاهرة –
جمهورية مصر العربية sayedfahmy222@gmail.com

تاريخ الارسال:19-04-2024 تاريخ القبول:01-07-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الإنابة القضائية الدولية لكونها من أهم أدوات وآليات المساعدة القضائية الدولية في المسائل الجنائية، والتي يتم توجيهها من خلال الدولة الطالبة إلى الدولة المطلوب إليها، لكي تباشر على إقليمها ونيابة عن الدولة الطالبة، إجراءاً قضائياً يتعلق بدعوى منظورة أمام سلطات التحقيق أو المحاكمة،

وقد توصلت هذه الدراسة إلى أهمية قيام الدول بالتعاون بينهم والتخفيف والمرونة في تطبيق مبدأ إقليمية قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجزائية، وقد أوصت الدراسة بضرورة قيام جميع دول العالم بتبني المزيد من الاتفاقيات الدولية الثنائية أو الإقليمية أو الجماعية، لتكريس التعاون بينهم في مجال تبادل الإنابة القضائية الدولية من أجل جمع الأدلة، مع قيام المشرع المصرى بوضع نظام قانونى خاص للإنابة القضائية الدولية، بدلاً من الإكتفاء فقط بما ورد بالاتفاقيات الدولية التي انضمت إليها جمهورية مصر العربية.

الكلمات المفتاحية: الإنابة القضائية، الجريمة المنظمة، التعاون، إقليمية القوانين.

Abstract

This study aims to highlight the importance of international judicial delegation as one of the most important tools and means of international space assistance in criminal matters, which is directed by the requesting state to the requested state, in order to initiate, on its territory and on behalf of the requesting state, a judicial procedure related to a lawsuit pending before the investigation or trial authorities. This study has concluded the importance of countries cooperating with each other and being flexible and lenient in applying the principle of territoriality of the Penal Code and the Code of Criminal Procedure. The study recommended the necessity for all countries of the world to adopt more international, regional or collective agreements, to devote cooperation between them in the field of exchanging international judicial delegation in order to collect evidence. With the Egyptian legislator establishing a special legal system for international judicial delegation, instead of being satisfied with only what is stated in the international agreements to which the Arab Republic of Egypt has joined.

Keywords: Judicial delegation, organized crime, cooperation, territoriality of laws

المؤلف المرسل: السيد أحمد فهمى

مقدمة:

مما لاشك فيه أن الجريمة في الوقت المعاصر ليست كما كان عليه الحال من قبل، ففي الماضي كانت الجريمة ذات طابع فردي محلي، لا تتعدى الحدود السياسية للدولة، ولكنها أصبحت في الوقت الحاضر تأخذ أشكالاً ذات طابع جماعي، أو منظم يتعدى الحدود الوطنية، ففي ظل سهولة التنقل والحركة بين الدول - وذلك لتقدم وسائل النقل والمواصلات - تزايدت خطورة الأنشطة الإجرامية العابرة للحدود الدولية تزايداً ملحوظاً، وقد تجلى ذلك في بعض أنواع الجرائم المنظمة مثل الإتجار بالمخدرات، والإتجار في النساء والأطفال، وغسيل الأموال، وغيرها من الجرائم ذات الطبيعة المتعدية للحدود الوطنية (ماجد، 2004م)

القاعدة العامة أن المحكمة المختصة بالدولة هي التى تقوم بدراسة الدعوى التى ترفع إليها، والقيام بالتحقيقات اللازمة لها، مع إتخاذ كافة الإجراءات الخاصة بها، حتى تمام إصدار الحكم فيها، إلا أنه قد تنشأ في بعض الحالات، بعض الصعوبات أو العراقيل أو العقبات، والتي قد تحول دون قيام هذه المحكمة بتلك الإجراءات كاملة سواء من حيث التحقيقات اللازمة والمتطلبة، أو من خلال إستقصاء كافة الأدلة اللازمة في تلك المنازعات، على سبيل المثال كون الشهود المطلوب الإدلاء بأقوالهم وسماع شهادتهم، أو الخصوم المراد إستجوابهم أو تحليفهم اليمين القانونية متواجدون في دولة أجنبية أخرى، وفي هذه الحالات يصبح الأمر من الصعوبة بمكان للمحكمة القيام بإرساء قواعد العدالة فى هذا الأمر، مما استدعى هذا الوضع إلى اللجوء إلى ما يسمى "بالإنابة القضائية الدولية: وذلك كتدبير ضروري وهام تقتضيه اعتبارات حسن سير العدالة الناجزة

إشكالية البحث:-

تثور إشكالية الدراسة حول مسألة هيمنة وسيطرة وغلو الطابع السيادي للدولة، وإقليمية قوانين العقوبات والإجراءت فى المسائل الجنائية، وهذا بدوره قد يؤدي إلى عرقلة وعدم تنفيذ

بعض الإنابات القضائية الدولية، مما يؤثر على سير مجرى العدالة الجنائية، وعلى ذلك تتمثل إشكالية البحث فيما يلى: -

1- ما مدى كيفية تحقيق التوازن والمرونة نحو التقليص والتخفيف من تعارض القوانين والاتفاقيات الدولية مع القوانين والتشريعات الداخلية الوطنية "وغلو وسيطرة الطابع السيادي للدولة، وإقليمية قوانين العقوبات والإجراءات في المسائل الجنائية"؟.

2- - مدى الدور المحوري والإستراتيجي للإنابة القضائية الدولية كإحدى آليات الحد من الجريمة المنظمة، وجدوى نجاح هذه الألية في تحقيق ذلك من عدمه، وموقف المشرع المصري منها؟

أهمية البحث:-

1- إبراز الدور المحوري والإستراتيجي للإنابة القضائية الدولية كإحدى آليات الحد من الجريمة المنظمة

2- أهمية التعاون الدولي باعتباره من أهم الركائز الإستراتيجية لمكافحة الجريمة، وخاصة الجريمة المنظمة عبر الوطنية بين الدول.

4- أهمية الاتفاقيات الدولية في الإنابة القضائية الدولية في تحقيق سير العدالة الجنائية.

أهداف البحث:-

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلى: -

1- بيان ماهية الجريمة المنظمة، ومؤشراتها.

2- التعرف على دوافع الإنابة القضائية الدولية.

3- إبراز أهمية الاتفاقيات الدولية التي تحث على التعاون الدولي القضائي في الإنابة القضائية الدولية.

- فرضيات وتساؤلات الدراسة-:-

أ - فرضيات الدراسة:-

تقوم هذه الدراسة على فرضيات مفادها- :-

- هنالك علاقة ذات دلالة بين فعالية التعاون الدولي بين الدول و مكافحة الجريمة المنظمة.

- هنالك علاقة ذات دلالة بين الدول في تنظيمها للإنابة القضائية الدولية في المسائل الجنائية .

1- ماهية الجريمة المنظمة، والإنابة القضائية الدولية.

2- مدى فعالية التعاون الدولي بين الدول نحو مكافحة الجريمة المنظمة بالدرجة الكافية والمتطلبة أم لا؟

3- ماهي العلاقة بين الإنابة القضائية الدولية، وتطوير آليات المساعدة القضائية بين الدول في المسائل الجنائية؟.

4- هل تبنى المشرع المصري الإنابة القضائية الدولية بتشريع خاص، أم اكتفى بالانضمام إلى إبرام العديد من الاتفاقيات الدولية سواء الثنائية، أو الإقليمية، أو الجماعية؟

منهج البحث-:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي الذي يحاول وصف طبيعة الظاهرة موضع البحث وهو الدور المحوري للإنابة القضائية الدولية وتطوير آليات المساعدة القضائية بين الدول في المسائل الجنائية.

1 - ماهية الإنابة القضائية الدولية:-

المساعدة القضائية الدولية في المسائل الجنائية لها عدة أشكال، مثل "الإنابة القضائية، تبادل صحيفة السوابق القضائية، تقديم الأشخاص المحتجزين أو غيرهم للإدلاء بالشهادة، حجز عائدات الجريمة، نقل الإجراءات، تسليم مرتكبى الجرائم الدولية وتنفيذ للأحكام الأجنبية"،

تعد الإنابة القضائية الدولية أداة من أدوات التعاون القضائي الدولي بين الدول، حيث تعمل على تقديم أكبر قدر ممكن من المساعدة المتبادلة في التحقيقات أو إجراءات المحاكمة

المتعلقة بجرائم يكون العقاب عليها وقت طلب المساعدة ضمن نطاق اختصاص السلطات القضائية في الدولة الطالبة (سرور، 2006م).

1.1- مفهوم الإنابة القضائية الدولية:

1.1.1 - الأصل اللغوي لكلمة الإنابة:

إن الجذر اللغوى لكلمة " الإنابة": هو (ناب) و(أناب) ويقال(ناب) الشئ، نوباً أي قرب، وناب إلى الشيء، أي رجع إليه واعتاده، ويقال ناب إلى الله تعالى، أي تاب ولزم طاعته.

وناب عنه نيابة: أي قام مقامه فهو نائب، ويقال(أناب) فلان إلى الشيء، أي رجع إليه مرة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع، ويقال أتانى فلان، فما أنبت إليه، أى لم أحفل به.

ويقال أناب فلاناً عنه في كذا، أي أقامه مقامه، و(ناوبه) في الشيء، والأمر يعني ساهمه فيه، وتناوله معه بالتوبة، ويقال (تناوب) الأمر: أي قام به مرة بعد مرة، وعليه تداولوه بينهم ، وتقاسموه، يقال تناوبوا الماء، وتناوبوا العمل، والهموم، تعاقبت عليه، (إستنابه) أنابه.

و(النائب) من قام مقام غيره في أمر أو عمل، يقال نائب المدير، تائب القاضي، نائب الشعب (الوجيز، 2008م).

2.1.1 الإنابة القضائية الدولية في الاصطلاح:

يقصد بالإنابة القضائية طلب الدولة المحققة في الجريمة من الدولة المطلوب منها إتخاذ إجراء قضائي محدد من إجراءات التحري والتحقيق في الدعوى العمومية، مثل إجراء المعاينة أو التفتيش أو الضبط، لضرورة ذلك بسبب تعذر القيام به من طرف الدولة الطالبة بنفسها (الصغير، 2002م)

كما يعرفها البعض بأنها: "عبارة عن إمكانية مباشرة دولة ما أي إجراء قضائي متعلق بدعوى قيد النظر في داخل الحدود الإقليمية لدولة أخرى، نيابة عنها، وبناء على طلبها، وذلك بناء على الاتفاقيات الدولية المرتبطة بها في هذا الشأن" (مبارك، 2006).

2– دو افع الإنابة القضائية الدولية:

اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، أوضحت دوافع لجوء الدول إلى طلب المساعدة القضائية، والتي تتمثل فيما يلي:-

"الحصول على أدلة أو أقوال من الأشخاص.

- تبليغ المستندات القضائية.

- تنفيذ عمليات التفتيش والضبط والتجميد.

- فحص الأشياء والمواقع.

- تقديم المعلومات والأدلة والتقييمات التي يقوم بها الخبراء..

- تقديم أصول المستندات والسجلات ذات الصلة، بما فيها السجلات الحكومية أو المصرفية أو المالية أو سجلات الشركات أو الأعمال، أو نسخ مصدقة عنها.

- التعرف على عائدات الجرائم أو الممتلكات أو الأدوات أو الأشياء الأخرى أو اقتفاء أثرها لأغراض الحصول على أدلة.

- تيسير مثول الأشخاص طواعية في الدولة الطرف الطالبة" (أحمد، 1999م)

3- تحديد مفهوم الجريمة المنظمة:

1-3 تعريف الجريمة المنظمة:

1-1-3 تعريف الأمم المتحدة للجريمة المنظمة: -

بأنها "جماعه ذات هيكل تنظيمي تتألف من ثلاثة أشخاص فأكثر، موجودة لفترة من الزمن وتعمل بصورة متظافرة بهدف ارتكاب واحدة أو أكثر من الجرائم الخطيرة أو الأفعال المجرمة وفقا لهذه الاتفاقية، من أجل الحصول بشكل مباشر أو غير مباشر على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى"

2.1.3 تعريف المؤتمر الوزاري الدولي المخصص للجريمة المنظمة:

الجريمة المنظمة هي "تجمُّع لعصابات تهدف إلى القيام بنشاطات إجرامية، وتعتمد سواء على التنظيم الهرمي في العلاقات بين أعضائه، أو على الروابط الشخصية التي تسمح لبعض الأشخاص بقيادة الجماعة الإجرامية عبر استخدام أساليب العنف والتهديد والإفساد وتبييض العوائد غير المشروعة".

3.1.3 تعريف الاتحاد الأوروبي للجريمة المنظمة: -

بأنها "جماعه مشكلة من أكثر من شخصين تمارس نشاطاً إجراميا بارتكاب جرائم جسيمة لمدة طويلة أو مدة غير محددة ويكون لكل عضو فيها مهمة محددة في إطار التنظيم الإجرامي، وتهدف للحصول على السطوة أو تحقيق الأرباح وتستخدم في ارتكابها الجريمة العنف والتهديد، والتأثير على الأوساط السياسية والإعلامية والاقتصادية والهيئات القضائية".

4.1.3 تعريف المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول) للجريمة المنظمة: -

بأنها "جماعة من الأشخاص تقوم بحكم تشكيلها بارتكاب أفعال غير مشروعة بصفة مستمرة، وتهدف بصفة أولية إلى تحقيق الربح، ولو تجاوزت أنشطتها الحدود الوطنية".

2-3 مؤشر الجريمة المنظمة العالمي:

ومما هو جدير بالذكر أنه يمكن ملاحظة أن مؤشر الجريمة المنظمة العالمى، والذي يعد الأداة الأولى من نوعها، والتي تم تصميمها خصيصاً، وذلك لقياس وتقييم مستويات الجريمة المنظمة، والقدرة على الصعود في وجه النشاط الإجرامي المنظم، ويضم جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة 193 دولة، يمكن من خلاله إستحصاء مستويات الجريمة المنظمة في كل دول العالم، حتى نستطيع تحديدها والعمل الدؤوب على منعها، وضرورة القضاء عليها من جذورها، كما يظهر بالشكل التالي: -

الشكل رقم 1 متوسط الإجرام حسب القارة

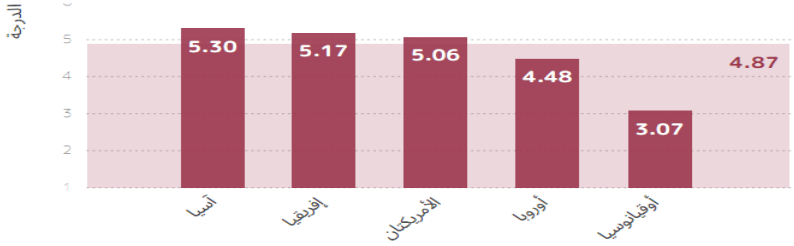

المصدر: مؤشر الجريمة المنظمة العالمى 2021 م – ص : 14

تجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أنه من خلال تحليل مؤشر الجريمة المنظمة العالمي، وقياس متوسط الإجرام حسب القارة، يتبين أن قارة أسيا تمتلك النسبة المرتفعة والعالية في مستويات ودرجات الإجرام بصفة عامة، حيث سجلت 5.30 على مقياس الإجرام، تليها قارة أفريقيا 5.17 ، والأمريكيتان 5.06 ، وهذا ليس بالشئ المستغرب، بل قد يكون منطقياً إلى حد ما، حيث أن قارة أسيا تعتبر هى القارة ذات القدرة العددية العالية من السكان ، بالإضافة إلى كونها من القارات الغنية بالموارد الطبيعية، كما تعد وبحق الموطن لبعض أكبر الإمبراطوريات الاقتصادية القوية والمسيطرة في العالم.، على السوق العالمي المفتوح ، في عالم أصبح يشبه " بالقرية الكونية الصغيرة".

الشكل رقم 2 :متوسط الأسواق الإجرامية العالمية

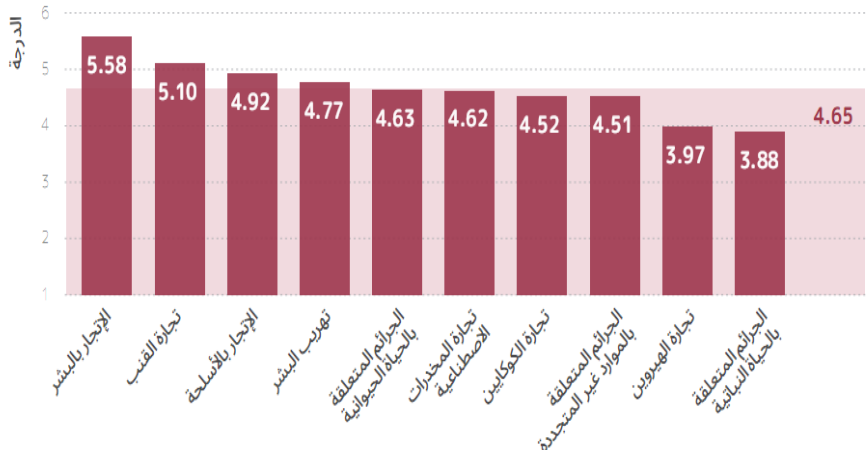

المصدر : مؤشر الجريمة المنظمة العالمي 2021 م – ص : 15.

يتضح من الشكل السابق أنه عبر الأسواق الإجرامية العشر التي يقيمها المؤشر، يعتبر الإتجار بالبشر من أكثر السلوكيات الإجرامية ذات الإنتشار الأوسع على مستوى دول العالم أجمع، يليه تجارة الحشيش، ثم عمليات تهريب الأسلحة وتهريب البشر وجرائم الحياة البرية، ولقد تأججت سوق الإتجار بالبشر بسبب النزوح الجماعي، الذي غالبا ما يتداخل مع تهريب البشر، وبسببه من بين عوامل أخرى، الصراع والظروف الإجتماعية والإقتصادية البائسة.

3.3 أثر إستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والعولمة على الجريمة:

عرف الأستاذ هورسمان ومارشال العولمة على أنها "تشير إلى اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وإنتقال الأموال، والقوى العاملة والثقافات، ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعاً لذلك، مما سيؤدي إلى اختراق الحدود القومية، وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدول (مصطفى، 2019م)

ظاهرة العولمة تؤثر بصورة جلية واضحة في مجال الجريمة المنظمة والجماعية، مما جعلها تتسم بخطورة إجرامية خاصة، بالنظر إلى الأسلوب الذي تعتمد عليه، وهو أسلوب

يتصف بالتنظيم وتسخير التقنيات الحديثة، وهي أساليب يصعب السيطرة عليها، أو الكشف عنها بسهولة، وذلك مثل جرائم غسيل الأموال غير المشروعة، وجرائم الحاسوب من القرصنة، وإختراق غير مشروع، لأنظمة الغير، وبرامجهم وتدميرها (يحيى، 2007م)

لذا فيرى البعض الأخر أن التحديات المعاصرة التى تفرضها عولمة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، قد فرضت على الدول المتضررة منها، الإعتماد على الآليات القضائية للتعاون الدولي لمكافحتها، وعدم التمسك المفرط والشديد، بمبدأ سيادتها الوطنية، والتمسك التام بإقليمية القانون الجنائي، وبالتالي السماح عبر مختلف الاتفاقيات الدولية سواء الثنائية أو متعددة الأطراف المبرمة بينهم، بتبني مختلف أنظمة المساعدة القضائية، وكذلك تسليم المجرمين (زغودى، 2020م).

4- التمييز بين الإنابة القضائية الدولية وغيرها من المصطلحات المتشابهة:

يوجد بعض المصطلحات التي قد تختلط بمصطلح الإنابة القضائية الدولية، أو تتداخل معه، ومن هذه المصطلحات، مصطلح الإنابة القضائية الداخلية، وكذلك قيام البعثة الدبلوماسية أو القنصلية ببعض إجراءات التحقيق، ويمكن إبراز ذلك على النحو التالي:

4-1 التمييز بين الإنابة القضائية الدولية، وقيام البعثة الدبلوماسية أو القنصلية ببعض إجراءات التحقيق:

قد يخلط البعض بين الإنابة القضائية الدولية الصادرة بواسطة السلطات القضائية للدولة، مع تلك التي تتم عن طريق أعضاء السلك الدبلوماسي أو القنصلي من أجل سماع شهادة أحد رعاياها في واقعة محددة، فقد يحدث أن ترتكب جريمة في دولة ما، ويكون من بين الشهود على هذه الجريمة شخص من رعاياها، ولكنه يقيم بصفة دائمة أو مؤقتة على إقليم دولة أخرى، ويتعذر حضور هذا الشاهد إلى دولته للإدلاء بشهادته، وفي مثل هذه الحالات قد تفضل السلطة القضائية في هذه الدولة اللجوء إلى البعثة الدبلوماسية أو القنصلية الموجودة

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

في الخارج لسماع شهادة هذا الشخص، وتدوينها، وإحالتها بعد ذلك إلى السلطة القضائية التي انتدبتها لذلك، حيث يعتبر البعض أن هذا الإجراء الذى تم بمعرفة أعضاء السلك الدبلوماسي أو القنصلي هو من قبيل الإنابة القضائية الدولية، في حين يرى البعض الآخر أن هذا الإجراء الذي تم بمعرفة أعضاء السلك الدبلوماسي أو القنصلي لا يخضع للأحكام الخاصة بالإنابة القضائية الدولية، ما لم ينص عليه صراحة في بعض الاتفاقيات الدولية (الحارونى، 1988م)

يتبين من ذلك أنه إذا نصت بعض الاتفاقيات الدولية على هذا الإجراء، فإنه يعتبر بمثابة إنابة قضائية دولية، أما إذا لم تنص عليه صراحة من خلال الإتفاقات الدولية فإنه لا يعدو كذلك، على سبيل المثال: اتفاقية التعاون القضائي بين مصر والإمارات العربية المتحدة، والتى اعتبرت هذه الإجراءات من قبيل الإنابة القضائية، حيث نصت على هذه الإجراءات ".. ويجوز لكل من الطرفين المتعاقدين سماع أقوال مواطنيه برضاهم، وذلك عن طريق الممثلين الدبلوماسيين أو القنصليين، وعند الاختلاف في تحديد جنسية الشخص المراد سماع أقواله تحدد جنسيته وفقاً لقانون الدولة المطلوب منها الإنابة".

2-4 التمييز بين الإنابة القضائية " الدولية" ،و"الداخلية":

الإنابة القضائية الداخلية هي بمثابة " طلب تنتدب فيه المحكمة المرفوعة أمامها الدعوى محكمة محل وجود الشاهد أو الأوراق أو الشي، أو تنبها لعمل الإجراء اللازم، وتحرير محضر بذلك، وإرساله لها بعد تمامه (شاكر، 2011م)

يتبين من ذلك أنه يوجد عدة فروق جوهرية بين الإنابة القضائية الدولية، والإنابة القضائية الداخلية من عدة أوجه، على النحو التالي:-

1- أن الإنابة القضائية الداخلية دائما ما تكون متواجدة في النطاق الداخلي للدولة، بينما تكون الإنابة القضائية الدولية بين دولتين أو أكثر بموجب إتفاقية، سواء أكانت هذه الإتفاقية ثنائية أم متعددة الأطراف "جماعية".

2- فضلاً عن ذلك فإن الإنابة القضائية الداخلية قد تصدر من محكمة وطنية إلى محكمة وطنية أخرى داخل نفس الدولة، وينص عليها القانون الوطني، وذلك في الحالة التي يجيز فيها هذا القانون للمحكمة أن تنتدب أحد قضاتها، أو قاضي أخر، أو قاضي المحل الذي يقيم الشهود أو الخصوم فيه، لسماع أقوالهم نيابة عن المحكمة المختصة، أما الإنابة القضائية الدولية لا تصدر إلا من سلطة قضائية إلى سلطة قضائية مناظرة لها في دولة أخرى.

3- بالإضافة إلى ذلك فإن الإنابة القضائية الدولية لا تكون في الغالب بناء على طلب من المتهم، بينما الإنابة القضائية الداخلية، قد تصدر من جهة تحقيق، قد لا يعتبرها القانون الوطني لبعض الدول من السلطة القضائية، كما قد تكون الإنابة القضائية الداخلية بناء على طلب من المتهم.

4- كما أن الإنابة القضائية الداخلية قد تكون للقيام بإجراء أو أكثر من إجراءات التحقيق، وأيضاً قد تكون في قضية بأكملها، بينما الإنابة القضائية الدولية، فلا تكون في قضية متكاملة.

5- كما أن الإنابة القضائية الداخلية قد تكون من سلطة عليا إلى سلطة أدنى منها، مثل إنتداب مأمورى الضبط القضائي من قبل النيابة العامة للقيام ببعض أعمال التحقيق، كذلك عند إنتداب رئيس محكمة لأحد قضاة التحقيق للقيام بأعمال التحقيق، وهذه الحالة غير متصورة ولا يمكن تحقيقها في مسألة الإنابة القضائية الدولية، حيث أن كل سلطة أو جهة قضائية في كل دولة، لا تخضع لغيرها من الدول الأخرى (العبودى، 2006م)

6- ومما يلاحظ في الإنابة القضائية الداخلية أنه يكون للمحكمة سلطة الرقابة والإشراف على المحكمة المطلوب منها إتخاذ الإجراء، بينما لا يمكن في الإنابة القضائية الدولية أن تكون للمحكمة الطالبة سلطة الرقابة والإشراف، على المحكمة المطلوب منها، كما يراعى في الإنابة القضائية الداخلية ترتيب المحاكم، ودرجاتها، فضلاً عن إلزامها للقاضى المطلوب منه تنفيذها ما دامت تدخل في اختصاصه (شوقى، 2008م).

5- الدور المحوري للإنابة القضائية الدولية في تطوير آليات المساعدة القضائية بين الدول في المسائل الجنائية:

لقد أكد الفقيه بكاريا (Beccaria) "أنه من أنجح الوسائل لمنع الجريمة، الإيقان بعدم وجود مكان يمكن أن يفلت إليه المجرم من العقاب" (هيف، 1990م)

1-5 التعاون القضائي الدولي في الإنابة القضائية الدولية، وتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل:

1.1.5 التعاون القضائي الدولي في الإنابة القضائية الدولية:

هو "تعاون السلطات القضائية في الدول المختلفة لمكافحة الإجرام المنظم، وهذا التعاون يهدف إلى التقريب من الإجراءات الجنائية، من حيث إجراءات التحقيق والمحاكمة إلى حين صدور الحكم على المحكوم عليه، وعدم إفلاته من العقاب نتيجة لارتكاب جريمته في عدة دول" (قشقوش، 2006م)

لقد أدى تصاعد وتيرة التحديات الأمنية العالمية في الآونة الأخيرة بصفة عامة، والصراعات المحلية والإقليمية والدولية بصفة خاصة، وإنتشار أسلحة الدمار الشامل، والجريمة المنظمة، وظاهرة الإرهاب إلى زعزعة الاستقرار العالمي، وتهديد السلم والأمن الدوليين، كل هذا شجع على أهمية وضرورة التعاون الدولي لمكافحة الجريمة الدولية (السند، 2001م)

مما لا شك فيه أن التعاون الدولي هو عبارة عن مجموعة من المساعدة القضائية المتبادلة بين الدول، ويكون من خلال إجراء قضائي تفوضه دولة للدولة الأخرى للقيام به، من شأنه تسهيل مهمة المحكمة، أو نقل وتسليم أشخاص من دولة إلى أخرى، وتتعدد آليات التعاون القضائي في المجال الجنائي بإختلاف المساعدة القضائية المتبادلة (برقوق، 2021م)

كما لم تعد الجهود الداخلية في مكافحة الجريمة، وملاحقة مرتكبيها، قادرة بالدرجة المتطلبة والمناسبة والكافية والفعالة للقضاء على الجرائم، أو محاولة التقليص من حجمها، وحاصة بعد إزدياد الجرائم نظراً للتطور التكنولوجي في جميع أنحاء يلدان العالم، ولهذا أضحى لكل دولة بحاجة إلى الدخول في علاقات تعاون وتبادل مع غيرها من الدول الأخرى، مما أضحى

لزوماً معه، وضع أنظمة للتعاون بين الدول للعمل على مكافحة الجرائم الدولية بكافة أشكاله، وتعدد أنماطها، للقيض على مقترفيها، وكل من سولت له نفسه المريضة إرتكاب مثل هذا السلوك المعاقب عليه، والمنافي للقيم والمثل والمبادئ والقوانين، وهذا أدى بدوره إلى تبنى العديد من الدول إلى صياغة اتفاقيات دولية مختلفة وعديدة لمواجهة مثل هذه الجرائم المنظمة، والمتعدية والعابرة للحدود بين الدول.

تبنت إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية مواقف واضحة لنقاط كانت تشكل جدلاً فقهياً، إنتهى بإعتماد القرار 55/25 من قبل الجمعية العامة بتاريخ 15 نوفمبر 2000م، والمتضمن إتفاقية الأم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، والذى تعرف إختصاراً بإتفاقية باليرمو، كما تم إعتماد ثلاث بروتوكولات مكملة لها، تناولت على التوالي مكافحة الإتجار بالبشر بخاصة النساء والأطفال، وتهريب المهاجرين جواً وبراً، وبحراً، ومكافحة صناعة الأسلحة النارية، وأجزائها ، ومكوناتها، والذخيرة، والإتجار بها بصورة غير مشروعة (ذنايب، l2022)

ويتمحور مبدأ التعاون القضائي الدولي في المادة الجنائية حول التزامين تقبل بهما الدول: الالتزام إمَّا بمقاضاة المجرمين أنفسهم أو بتسليم المتهمين للدولة المعنية بالجريمة المرتكبة أو إلى الدولة التي لها مصلحة في ملاحقة المتهم.

2.1.5 مبدأ المعاملة بالمثل:

يعد من المبادىء التي تبنى عليها العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين الدول، ويقوم على أساس الموائمة والموازنة التوازن بين الدول، في مختلف مجالات العلاقات الدولية سواء الحقوق أو الالتزامات في أية علاقة قانونية، فضلاً عن ذلك، فإنه لا يرتب أي مسؤولية على الدولة التي لا تقوم بتطبيقه، لكونه التزام معنوي فقط، أم يصل إلى مستوى الإلزام حتى الآن.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنه إذا كانت القاعدة العامة أن يتم تنفيذ الإنابة القضائية الدولية وفقاً للأحكام الإجرائية المنصوص عليها في قوانين الدولة المنابة، وذلك وفقاً

لمبدأ الإقليمية، فإنه يجوز تنفيذ الإنابة القضائية الدولية وفقاً للأحكام الإجرائية المنصوص عليها في قوانين الدولة المنيبة، وذلك تيسيراً وتسهيلاً لإستنباط الأدلة، والحصول عليها أمام محاكم الدولة المنيبة (علواش، 2016م)

غير أن إعمال هذا الشرط ليس واجباً أن يكون مكتوباً في معاهدة دولتين أو تتشريع وطني، وإنما قد يمثل مجرد تصرف تأخذ به الدولتان في مجال التسليم ما يجعله صوره خاصة من صور العرف الثنائي الذي يتكون ويتكرر بين دولتين مع اعتقادهما بلزومة المتبادل بينهما (المنعم، 2007م)

في حالة النص على شرط المعاملة بالمثل، فقد يكتفي بإشارة إليه بصفة عامة، واعتباره مجرد سلوك متبادل

له بصفة تلقائية، وهذا ما نصت عليه المادة 2 فقرة 7 من الإتفاقية الأوربية للتسليم الصادرة في 13 ديسمبر 1957م، بباريس عن مجلس أوربا (شبيلى، 2013م)

5-2آثار تنفيذ الإنابة القضائية الدولية الدولية:

مما لا شك فيه عدم إنكار أهمية إتفاقيات الإنابة القضائية الدولية في مجال التعاون القضائي الدولي بين الدول، وكذلك أثار تنفيذ طلب الإنابة القضائية بالنسبة للدولة الطالبة، والدولة المطالبة على النحو التالي:-

1.2.5 أهمية اتفاقيات الإنابة القضائية الدولية في مجال الإنابة القضائية الدولية:

تبدو أهمية إتفاقيات الإنابة القضائية الدولية في مجال الإنابة القضائية الدولية فيما يلى:-

1- التوفيق بين التشريعات الوطنية، والنظم القانونية المتعددة، من خلال تضمين قواعدها وأحكامها قواعد عامة للتجريم، والعقاب تلتزم بها الدول الأطراف في تلك الاتفاقيات.

2- وضع تعريفات متفق عليها بين الدول للجرائم التي تشملها الإنفاقية.

3- تفرض إلتزاماً على الدول بضرورة تجريم تلك الجرائم في تشريعاتها الداخلية.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

4- تحدد صور منع، ومكافحة تلك الجرائم.

5- تضع أحكاماً محددة لوسائل التعاون القانوني والقضائي والأمني بين الدول.

6- تطبيق الدول لنصوص الاتفاقيات السابقة يعمل على منع صور الجرائم المختلفة، ومتابعة المجرمين (برقوق، 2011/2010م).

2.2.5 أثار تنفيذ طلب الإنابة القضائية الدولية بالنسبة للدولة الطالبة:

متى قبلت الدولة المطالبة طلب إتخاذ الإجراءات القضائية ضد الشخص المتهم بارتكاب جريمة، ففي هذه الحالة، يجب على الدولة الطالبة، وقف إتخاذ إجراءات الملاحقة القضائية بصفة مؤقتة، باستثناء التحقيقات الضرورية، بما فيها تقديم المساعدات القضائية إلى الدولة المطالبة، إلى أن تقوم الدولة المطالبة، بإخطار الدولة الطالبة، بأن هذه القضية تم التصرف فيها بصفة نهائية، ومنذ تلك اللحظة يمتنع على الدولة الطالبة المضي مرة أخرى في الملاحقة القضائية بشأن الفعل المرتكب ذاته.

3-3-5 آثار تنفيذ طلب الإنابة القضائية الدولية بالنسبة للدولة المطالبة:

يترتب على موافقة الدولة المطالبة اتخاذ الإجراءات القضائية الآتية:

1- خضوع الإجراءات المنقولة لقانون الدولة المطالبة، وعلى هذه الأخيرة عند توجيهها الاتهام بموجب قانونها إلى الشخص المتهم أن تجري التعديل اللازم فيما يتعلق بعناصر معينة من التوصيف القانوني للفعل المرتكب.

2- إذا كانت الإنابة تتعلق بنقل إجراءات المحاكمة، فإن العقوبة التي يحكم بها يجب ألا تكون أشد من العقوبة المنصوص عليها في قانون الدولة الطالبة.

- يكون لأى إجراء قد أتخذ في الدولة الطالبة وفقاً لقوانينها بصدد الإجراءات أو المتطلبات الإجرائية نفس الشرعية في الدولة المطالبة، كما لو كان هذا الإجراء قد أتخذ في هذه الدولة، أو من قبل سلطاتها، طالما كان متفقاً مع أحكام قانونها.

- على الدولة المطالبة إبلاغ الدولة الطالبة، بالقرار الذي إتخذته نتيجة للإجراءات، ولهذا الغرض تحال إلى الدولة الطالبة نسخة من أي قرار نهائي تتخذه عندما تطلب منها ذلك (علواش، 2016م).

خاتمة:

مما لا شك فيه أن الجريمة المنظمة عبر الوطنية تعد من أشد الجرائم، كما أن استخدام ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات منحتها إطاراً دولياً، وأخرجتها من النطاق الداخلي، إلى النطاق العابر للحدود، بالإضافة إلى الدرجة العالية من التنظيم، ولكن الإنابة القضائية الدولية ساعدت الدول في التصدي ومكافحة تلك الجرائم المنظمة، والوقوف في وجهها بالمرصاد.

النتائج:

نستنتج من هذه الدراسة ما يلى:-

- الإنابة القضائية هى أداة قوية وفعالة وتعد استثناء وخروجاً محموداً على الغلو والمبالغة غير المبررة بالشكل القاطع في العلاقات الدولية، في تطبيق مبدأ الإقليمية للقوانين الجنائية، فهي آلية تتسم بالمرونة والاتساع بما ساهم في تحقيق وإنجاز حسن سير ومتطلبات العدالة في المسائل الجنائية.

- الإنابة القضائية الدولية ساهمت وبحق في تطوير آليات المساعدة القضائية بين الدول في المسائل الجنائية.

- ساعدت الإنابة القضائية الدولية في اعتماد القاضي الوطني للدولة الطالبة لها، على نتائجها لدى الدولة المطالبة منها .

- المشرع المصري لم يتضمن ضمن تشريعاته وقوانينه، "وضع نظام قانوني خاص يتضمن إطار متكامل عن الإنابة القضائية الدولية"، وإنما قد تم الاكتفاء فقط بنصوص الاتفاقيات الدولية، التي انضمت لها جمهورية مصر العربية في هذا الصدد.

التوصيات: -

- يجب على جميع التشريعات الجنائية تبني أحكام اتفاقية باليرمو، من خلال إتباع منهج علمي شامل وموحد،

يستند ويدعم أسس التعاون، وتقديم المساعدات القضائية المتبادلة، عن طريق الإنابة القضائية الدولية، وتسليم المجرمين، وتعقب عائدات الجرائم ومصادرتها.

- يجب على المشرع المصري وضع نظام قانوني خاص يتضمن إطار متكامل عن الإنابة القضائية الدولية، أو تعديل القوانين السارية، بما يتلاءم ويناسب ويواكب الاتفاقيات والالتزامات الدولية المعاصرة.

- تبني المزيد من استخدام التكنولوحيا الحديثة والتقنيات الفنية المتطورة في استخدام أدوات الإنابة القضائية الدولية، وآلياتها، وذلك لتحقيق حسن سير العدالة، وضمانات المحاكمة العادلة، وبالتالي عدم إفلات أي مجرم من العقاب..

- حرص المجتمع الدولي على التعاون في المجال القضائي، من خلال إبرام الاتفاقيات الثنائية، ومتعددة الأطراف في المسائل الجنائية، وذلك لدعم أواصر التعاون فيما بين الدول، وبعضها البعض لمواجهة الجريمة المنظمة عبر الدول.

- عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل الدولية وإعداد التقارير والدراسات الدورية الدؤوبة والمستمرة بالشكل المناسب، والتي من خلالها تساهم وتدعم وتساعد في تطوير آليات الإنابة القضائية الدولية بين الدول على الوجه الأكمل والمطلوب والمستهدف والمرجو منه، في عالم متغير بسرعة رهيبة، بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي سهلت مختلف مناحي الحياة المعاصرة، سواء على النحو الإيجابي أو السلبي.

- قائمة المصادر والمراجع:

أحمد ,م .ع1999) .(Ed.) .م" مقال بعنوان :الآثار الاقتصادية والاجتماعية للجريمة المنظمة ومحاولات مواجهتها إقليميا ودولياً، أبحاث حلقة علمية حول الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، المنظمة من طرف معهد التدريب بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، بالتعاون مع وزارة الداخلية لدولة الإمارات العربية المتحدة".

الحارونى ,د .ح1988) .م ,يونيو /نوفمبر ."(الإنابة القضائية الدولية"2)31 .، .22 ,(3

السند ,م .ع2001) .م" (لتعاون الدولي في تنفيذ الأحكام الجنائية وأثره في تجقيق العدالة، مذكرة ماجستير في العدالة الجنائية .المملكة العربية السعودية :جامعة نايف للعلوم الأمني".

الصغير ,د .ج2002) .م"الجوانب الإجرائية لجرائم الإنترنت ".القاهرة ,جمهورية مصر العربية :دار النهضة العربية.

االعبودى ,د .م2006) .م ."تدب مأمور الضبط القضائى لأعمال التحقيق" .القاهرة -جمهورية مصر العربية: -]ار النهضة العربية .

المنعم ,س .ع2007) .م "الجوانب الإشكالية في النظام القانونى لتسليم المجرمين"، دراسة مقارنة .جمهورية مصر العربية :دار الجامعة الجديدة .

االوجيز ,ا2008) .م" .مجمع اللغة العربية" -القاهرة ,جمعورية مصر العربية :الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

برقوق ,ي2010/2011) .م" .التعاون القضائى في الدول في المجال الجنائى"، مذكرة من أجل الخصول على شهادة الماجستير في الحقوق، فرع القانون الدولي، والعلاقات الدولية، .الجزائر :جامعة الجزائر1، كلية الحقوق بن عكنون.

برقوق ,ي2021) .م ,مارس .96 ,(1)1 .(5

بيلي برايسون، و اسامة محمد اسبر. (2017). "موجز تاريخ كل شيء تقريبًا" (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.

ذنايب ,آ .ا2022) ."قراءة تحليلية في إتفاقية باليرمو والبروتوكولات المكملة لها".62 ,(1)2 .

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

زغودى ,ع2020) .م ,مايو"الأليات القضائية للتعاون الدولي في مجال مكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية" . 3(2), 112.

سرور ,د .ط2006) .م" الإحتصاص الجنائى العالمى ".القاهرة -جمهورية مصر العربية :دار النعضة العربية.

شاكر ,أ .ع2011) .م" المعاهدات الدولية أمام القضاء الجنائى ".المحلة الكبرى ,جمهورية مصر العربية :جار الكتب القانونية.

شبيلى ,م2013) .م" الجهاز العالمى لمكافحة الجريمة المنظمة".الجزائر :دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.

شوقى ,ب .ا2008) .م ,يوليو.28 ,19 .

علواش ,د .ف2016) .م ,ديسمبر 18" .مكافحة جريمة تبييض الأموال عن طريق المساعدة القضائية والإنابة القضائية".59 ,(2)1 .

قشقوش ,ج .ه2006) .م ."الجريمة المنظمة القواعد الموضوعية والإجرائية والتعلون الدولي" .الإسكندرية , جمهورية مصر العربية :متشأة المعارف.

ماجد ,د .ع2004) .م ,يوليو" التعاون الدولي في المسائل الجمائية في دولة الإمارات العربية المتحدة -تطبيقات عماية .مجلة الأمن والقانون" .198 ,(2)12 ,

مبارك ,ه .ع .(2006) ."تسليم المجرمين بين الواقع والقانون " الطبعة الأولى .(القاهرة -جمهورية مصر العربية : دار النهضة العربية، القاهرة.

مصطفي ,د .س2019) .م ,جوان.6 ,(1)2 .

هيف ,ع .ص1990) .م .الإسكندرية ,جمهورية مصر العربية :منشأة المعارف.

يحيى ,ج .ع2007) .م" .وسائل التعاون الدولي في تنفيذ الأحكام الجنائية الأجنبية) .ا .الأولى (القاهرة -جمهورية مصر العربية العربية :دار النهضة

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الرمزية الجنائزية للحيوانات الخرافية في العالم القديم

The Funerary Symbolism of Mythical Animals in the Ancient World

سليم سعيدي، جامعة الحاج لخضر باتنة1-الجزائر salimsaidi215@gmail.com

مخبر: دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع

تاريخ الارسال:16-04-2024 تاريخ القبول:15-09-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

بما أن الموت حتمية لا مفر منها لكل الكائنات الحية، فقد حاول الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، تفسير حقيقة هذه النهاية وفهم مصير الروح بعد ذلك، فطرح عدة تفسيرات ليريح نفسه من عناء ذلك السؤال، وهو ينتظر مماته في يوم ما، ومن أهم هذه التفسيرات أن الروح ستنتقل إلى العالم الآخر بعد عبور المياه العلوية، وبالتالي يحتاج إلى وسائل ينتقل على متنها ليدرك الخلود، ومنها امتطاء بعض الحيوانات المشهورة بسرعتها كالحصان والصقر، أو المعروفة بقوتها كالأسد، بل وتخيل كائنات أخرى أكثر سرعة وقوة لإدراك الخلود منها: أبو الهول والعنقاء والحصان المجنح.

الكلمات المفتاحية: الرمزية، الجنائزية، سقولا، العنقاء، الحصان المجنح.

Abstract

Since death is an inevitable reality for all living beings, humans have sought to interpret the truth of this end and understand the fate of the soul after it. Among the most significant of these interpretations is the belief that the soul will transition to the afterlife after crossing the celestial waters, thus needing means to embark upon to achieve immortality. These means include riding some animals famous for their speed, like horses and falcons, or those known for their strength, like lions, and even imagining other creatures' swifter and mightier to attain immortality, such as the Sphinx, the Phoenix, and the winged horse.

Keywords: Symbolism, Funerary, Scylla, Phoenix, Sphinx.

المؤلف المرسل: سليم سعيدي

مقدمة:

من المؤكد أن الموت حقيقة آمنت بهم جميع الشعوب والأمم مهما عاش الإنسان، وأن هذه الحتمية ما هي في الحقيقة إلا حاجزا بين عالمين متصلين، هما عالم الحياة وعالم الآخرة، ومن هنا حاولوا الخروج من دائرة الارتباك والقلق والخوف من هذا المصير المحتوم، محاولا تفهمه بمجموعة من الأفكار والطقوس الجنائزية، ومن أهم هذه الأفكار الاعتقاد في خلود الروح ووجود ثواب وعقاب بعد ذلك، لهذا عكفوا على دفن موتاهم في قبور خاصة وأحاطوهم باحترام كبير، ووفق شعائر واحتفالات معينة، اختلفت من مجتمع إلى آخر، وهذا من أجل أن تنعم روح المتوفى بحياة جديدة وتحقق الخلود .

وقد تخيّلت بعض الشعوب القديمة أنّ الموتى يحتاجون في حياتهم الأخرى للأكل والشرب ولهذا تزوّدوا ببعض المُرفقات الغذائية وكذلك بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم، وببعض الحلي ليتزيّنوا بها وبالمغرة لضمان سيران الدّم في الجسم، ولكي يصلوا إلى دار الخلود يجب عليهم عبور المحيط الأعلى أو المياه العلوية، ولهذا فهم يحتاجون لبعض الحيوانات الواقعية أو الخرافية للتنقل عبرها.

وسنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

كيف نظر القدامى لعالم ما بعد الموت؟

وتتفرع عن الإشكالية التساؤلات التالية:

ما هي أهم الحيوانات الخرافية المعروفة في العالم القديم؟ وما هي الأبعاد الدينية والجنائزية للحيوانات الخرافية؟ وما هي أصولها؟ .

ومن أهداف هذه الدراسة التعرف على أهم الحيوانات الخرافية المعروفة لدى الشعوب القديمة، وكذا على أصولها، والتعرف على أهم البقايا الأثرية التي برزت عليها، وعلى دلالاتها الجنائزية والأخروية، مستخدما المنهج التحليلي والوصفي.

لم يكتف الإنسان بالاستعانة بالحيوانات الموجودة في محيطه للاستفادة منها أو

للتعبير بها عن مخاوفه ومشاعره فحسب، بل تجاوز ذلك بأن تخيّل كائنات وحيوانات خرافية جمعت صورتها ما بين حيوانين مختلفين أو بنصف إنسان ونصف حيوان ليمنحها خياله الخصب بعض الصفات الخارقة كالقوة والشجاعة والسرعة؛ ولهذا عبّر من خلالها القدامى عن حماية قبورهم وللتنقل على متنها لبلوغ عالم الخلود، ومن أهمّ هذه الحيوانات نذكر مثل أبو الهول (سفنكس)، والعنقاء، وسقولا، والحصان المجنح وغيرها، وهذا ما سنتناوله في هذه الدراسة.

1- **سقولا (Scylla)**:

1.1-التعريف بالوحش سقولا:

هو وحش بحري خرافي مرعب يبدو في طلّة امرأة، لها ست رقاب وست رؤوس مخيفة كل واحد من أفواهها مسلّح بثلاثة صفوف أسنان ضخمة، وتقوم هذه المخلوقات الخرافية بافتراس كلّ من يمرّ بالقرب منها، وله دلالات مُرتبطة برحلة الروح نحو العالم الآخر لدى العديد من الشعوب القديمة كالإغريق والأتروسكيين والرومان والفينيقيين والبونيين، وقد اقتبسها هؤلاء من الميثولوجيا الإغريقية، وكان له حضورا لافتا للانتباه في الفن الجنائزي البوني. (Bouchenaki, S.D, p19)

2.1- الرمزية الجنائزية للوحش سقولا:

يُعتبر الوحش سقولا من المخلوقات البحرية الخرافية التي كانت لها دلالات مُرتبطة برحلة الروح نحو العالم الآخر لدى العديد من الشعوب القديمة كالإغريق والأتروسكيين والرومان والفينيقيين والبونيين، وقد اقتبسها هؤلاء من الميثولوجيا الإغريقية، وكان له حضورا لافتا للانتباه في الفن الجنائزي البوني، فقد جسّدوه مرسوما أو منقوشا على جدران الأضرحة والتوابيت كضريح العمروني في أقصى الجنوب التونسي، وعلى بعض اللّقى الأخرى كشفرات الحلاقة والقلادات والجعارين(Fantar, 1970, p61)، والتي عُثر على الكثير منها ضمن الأثاث الجنائزي داخل القبور، نذكر منها شفرة حلاقة وُجدت داخل أحد قبور أوتيكا، ويظهر

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

فيها ذلك الوحش منقوشا بصورة جانبية ويده اليمنى ممدّدة نحو الأمام، وهو يسبح نحو اليسار وذيله متموّج وشعره مجّعد ويرتدي دثارا مربوطا على معطف، وهو يتطاير بفعل الريح ويعود للعصر العتيق (انظر الشكل1)، كما صُوّر على توابيت سانت مونيك بقرطاج المصنوعة من المرمر، لكن بعضها تلفت صُوّره بفعل أشعة الشمس، فنرى على أحدها الوحش سقولا بصورة مقابلة ورأسه ملتفتا نحو اليسار، وذراعاه ممدّدان وساقاه مشكلين من ثعبانين ملتفّين ومتعرجين وينتهيان برؤوس حيوانات بآذان طويلة على ظهر أحد الكلاب ويتميز برأس بشري، ويبدو أنّه يؤرخ بما قبل القرن الثالث قبل الميلاد.(Picard, 1979, p104)

كما نُقشت صور الوحش سقولا على واجهات بعض التوابيت واللوحات البرونزية وعلى القوالب الطينية، منها قالب عُثر عليه في مدينة كركوان نُقشت عليه صورة هذا الوحش وهو يُمسك بيده اليسرى شيئا، يبدو أنّه حجر ويستعدّ لإلقائه على كائن آخر غير مُصوّر من المُمكن أن يكون سفينة تقترب من مضيق مسينا الذي يحرسه هذا الوحش ويمنع مرور البشر قربه أمّا يده اليمنى ممدودة وتقبض على أخطبوط، ويخرج من خصره رأسا كلبين متناظرين ويتفرّع من جسمها تنينين متناظرين وبأسنان ضخمة تعبيرا عن العنف والفظاظة وهما صفتان يتميّز بهما. **(انظر الشكل2)** (فنطر، 1999، صفحة187-190)

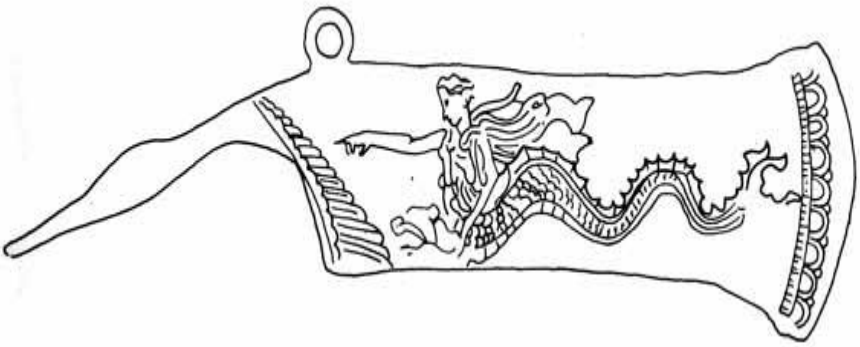

الشكل (1): الوحش سقولا على شفرة أوتيكا

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

(Picard, 1979, p104)

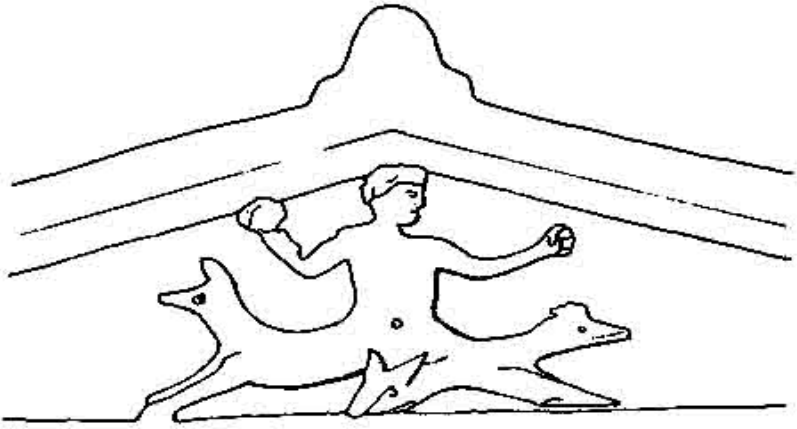

الشكل (2): الوحش سقولا على تابوت بوني

(Fantar, 1970,p69)

ويُعدّ الوحش سكولا كنوع من الجن الجنائزي (Génie funéraire)، وكانت له دلالة أخروية ورمزية الانتصار على أخطار البحر والمُتمثّلة أساسا في القراصنة وغرق السفن (Fantar, 1970, p61)، ونشير هنا أنّ تصويره رفقة حوريات البحر يفترض أنّ الأمر يتعلّق بالجنّة الأخروية المميّزة للقبر، أي أنّها مكان الخلود للروح الذي تؤول إليه بعد رحلة عبور البحر(Picard, 1979, p113). كما أنّ حضور الدلفين إلى جانب الوحش سقولا ربما يكون رمزا للسلام النهائي الذي ينشده كلّ ميّت على الرغم من الأخطار المُحدقة التي يواجهها خلال هذه الرحلة العسيرة (Zeghal, 2006, p435-437).

2-العنقاء (Griffon) :

1.2-التعريف بالعنقاء:

تُعتبر العنقاء من أهم الحيوانات الخرافية ذات الدلالات الجنائزية، وتُصوّر في

الغالب بجسم أسد وبرأس وجناحي نسر وأحيانا يكون لها قرنان(Delplace, 1967, p57) ، البعض لا يفرق ما بين العنقاء وطائر الفينيق الخرافي، فهذا الأخير ذكر أول مرة من طرف هيرودوت في سياق وصفه لمصر والذي قال عنه أنه مثل النسر في شكله، ولكن ريشه أحمر وذهبي يعيش حوالي 500 سنة، وتتركّز قصته حول موته ثم ميلاده من جديد، فعندما احترق حتى الموت على مذبح الشمس ظهر من جديد من رماد النسر الأول، وأصبح رمزا مهما للموت والبعث من جديد،(جيني،2018 ، صفحة171) .

2.2- الرمزية الجنائزية للعنقاء:

ظهرت أسطورتها أول مرة في العراق القديم ومصر الفرعونية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد(Prieur, 1988,p108). وكانت تُجسّد الإله حورس والفرعون المحارب والمنتصر على أعداء مصر والمطالب بثأر أبيه، ولهذا كانت في نظر المصريين القدامى أقوى الحيوانات شكيمة وأكثرهم إثارة للرعب والهلع (تيبو، صفحة239)، أمّا في العراق فقد كانت إحدى صفات الإله نرجال والربة عشتارت الآلهة الجهنّمية بامتياز(Zeghal, 2006, p450).

وبعد ذلك، انتشرت العنقاء في سوريا القديمة ومنطقة الأناضول وقبرص بداية من الألف الثانية قبل الميلاد، ومن هذه الأخيرة تسرّبت في الفن الكريتي والميسيني وكانت في اعتقادهم أفضل حارس للعرش الملكي، لهذا نجدها مصورة عند مداخل أبواب القصور والمعابد وتُزيّن صورتها الجدران والتوابيت معتقدين أنّها أفضل دليل للموتى في رحلتهم نحو العالم الآخر(Delplace, 1967, pp57-61) ، وعُرفت لدى الإغريق منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وارتبطت صورة العنقاء عندهم بالرحلات البحرية في مضيق البوسفور، وكانت جزيرة ديلوس مركزا هاما لها، وأُعتبرت رمزا لأبولون وحارسة لكنوزه من الأمازونات (Amazones) ، والأمازونات هن قبيلة تتكون من نسوة أنجبهن أريس إله الحرب عند الإغريق من نومفة تُدعى هرمونيا، وكان لهن مملكة تُوجد على منحدرات جبل القفقاس، ومن مميزاتهن أن لهن نهدا واحدا وقد كنّ تتخلصن من أحد النهدين منذ صغر السن حتى تستطعن استخدام القوس بيسر، وقد

كان الأمازونات شغوفات بالحرب مما جعلهن يخضن معارك عديدة وصفتها الأساطير، (فنطر، 1999، صفحة321).

وأصبحت العنقاء منذ القرن الرابع قبل الميلاد مُرتبطة بالإله ديونيسوس وصارت ناقلة له وحامية لباطيته المملوءة خمرا، كما كانت تُزيّن صورتها الأواني الفخارية والتوابيت لدى الأتروسكيين والإيطاليين، وعرف هذا الحيوان الخرافي انتشارا واسعا في العالم الروماني وقد اتّخذ الإمبراطور الروماني أوكتافيوس (27 ق.م-14م) من العنقاء شعارا له في حربه على خصمه أنطوان خلال معركة أكتيوم سنة 31 ق.م في مصر، وأصبحت صورتها واحدة من الصفات الأساسية للإله أبولون، كما كانت تُنقش صورتها على المعالم الرئيسية في المدن الرومانية(Prieur, 1988,p108-109) .

أمّا في العالم البوني فقد دخلت من فينيقيا منذ القرن السابع إلى غاية القرن الثالث قبل الميلاد خصوصا في قرطاج وكركوان حيث عُثر على عدّة لقى جنائزية داخل قبور بونية من لوحات معدنية، وأمشاط وشفرات حلاقة وجعارين تحمل صورة العنقاء واعتبروها كحارس جنائزي للعالم الجهنمي وللقبور فتحمي الميّت من القوى الشريرة، وكانت العنقاء المُصوّرة على الجعارين بمثابة طلسم يرمز للحياة والتجدّد على غرار الجعارين المصرية (Zeghal, 2006, p450-452)، ومن أهم تلك اللقى نشير إلى مشط مصنوع من العاج يؤرخ بأواخر القرن السابع أو بداية القرن السادس قبل الميلاد عُثر عليه بأحد قبور قرطاج يُصوّر عنقاوين متناظرين ومنقارهما مفتوحان، كأنّهما يستعدّان للانقضاض على فريسة، وتفصل بينهما سعيفة نخيل رمز الحياة والتجدّد والخلود فنطر، 1999، صفحة211).

وبما أنّ العنقاء كانت بمثابة حارس يحمي الموتى من كل القوى المُعتدية وتعمل على انبعاث الأرواح، فمن الممكن أن تكون إحدى صفات الآلهة الجهنمية عشتارت أو تانيت سيدة الوحوش وحامية الموتى، كما ترمز العنقاء للإله الكنعاني رشف إله الخصوبة والموتى والذي كان له معبدا في قرطاج، كما نُقشت صورتها على التوابيت البونية حتّى تساعد أرواح الموتى

المدفونين فيها للوصول إلى العالم الآخر بسلام وتحميهم من هجمات الأرواح الشريرة، وختاما نخلص إلى أنّ العنقوات كنّ في خيال البونيين على غرار الشعوب القديمة صفات الآلهة الكبرى وكسيّدة للحيوانات ومسؤولة عن الإخصاب وحماية الموتى، وبالتّالي حافظ هذا الحيوان الخرافي على دوره الأساسي كحارس وحامي للموتى من أذى القوى الشريرة ولهذا كانت له دلالة تعويذية ووقائية (Schmidt, 2001, pp451-456).

كما تسربت المعتقدات المتعلقة بالعنقاء للمجتمع الإفريقي، وبرز على بعض اللقى المادية، منها عملات تعود للملك الموريطاني بوغود (49-38 ق.م)، فعلى إحدى القطع نرى صور عنقاء وهو متجه نحو اليمين ويعلوه قرص مجنح وهذا يرمز للعبادة الشمسية، وفي عملة أخرى تبرز عنقاء وهي متجهة نحو اليسار وهي تهاجم أيلا (انظر الشكل رقم3) (Alexandropoulos, 2007, p409).

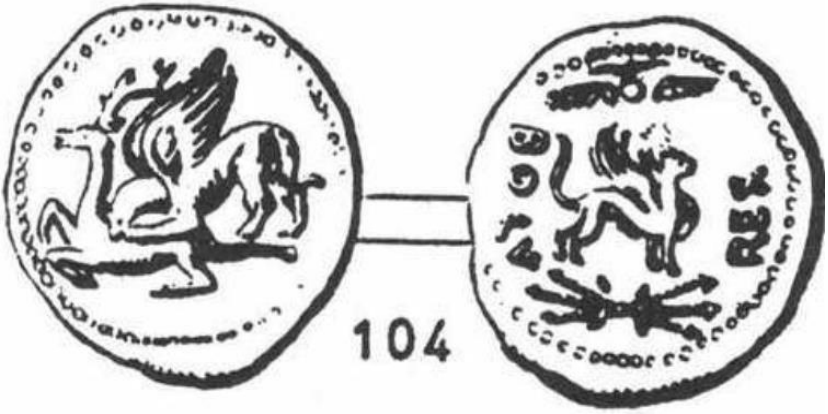

الشكل (3): عنقاء تهاجم أيلا (عملة الملك بوغود)

(Camps, 1991, 1558)

3- أبو الهول(سفنكس):

1.3-التعريف بأبي الهول(سفنكس):

يعتبر السفنكس (أبو الهول) من أهم الحيوانية الخرافية ذات الأصول الشرقية، إذ غالبا ما يُصوّر بجسم أسد، ونادرا ما يكون بجسم ثور أو حصان ورأس بشري، وقد يكون مُزوّدا بذيل تنين وأجنحة طائر، تعود بداياته إلى عصور ما قبل الأسرات في مصر، ويُمثّل الإله حورس الأفق إله الشمس عندما يظهر في الشرق (جيني، 2018، صفحة17) ، كما ورد ذكره كثيرا خلال عصر الدولة القديمة في متون الأهرام وكان خلالها مرتبطا بالإله أتوم، وتواصل بروزه في مصر حتى خلال العصر الروماني، وكنت أشهر تماثيله سفنكس الجيزة الذي يُؤرّخ بحوالي 2600 ق.م، وكان في الغالب يمثل السفنكس في مصر برأس رجل على عكس المناطق الأخرى، غير أنّه خلال عصر الدولة الحديثة وهذا بعد تفتح مصر على الشعوب المجاورة، صار يُصوّر أحيانا برأس نسائي وبذيل ثعبان (Prieur, 1988, p111-114).

كما عُرف هذا الحيوان الخرافي في العراق القديم خاصة لدى الأشوريين حيث نُقشت صورته على الأختام الأسطوانية بجسد أسد ورأس رجالي ملتحي، وأحيانا يضع على رأسه قلنسوة من ريش وهو يمشي(Prieur, 1988, p111-114).)، ونظرا للاختلاف الواضح في شكله في مصر والعراق يرى ديسان (Dessene) أنّه لا يمكن القول بتأثّر إحدى المنطقتين بالأخرى. (Gallet, 1957, p438-443)

كما انتشر في بلاد الشام لدى الفينيقيين وتبدو عليه صفات مصرية وأخرى أشورية، وعرف لدى العبرانيين باسم "لكروب" حيث صُوّر مكسوا بالجواهر النفيسة واعتبر من الكائنات الخالدة في جنة عدن(العزيفي،2004، صفحة9) ، وبعد ذلك انتشر في العالم الإغريقي بدءا بالحضارة الميسينية وكان يُصوّر غالبا بجسم أسد ورأس نسائي وبأجنحة طويلة، وارتبط بقصة بطولية في مدينة طيبة الإغريقية، وصور على الأواني الفخارية في رودس وكورنيثة، وبرز في سياقات تذكارية وأخرى جنائزية (ديفانبيه،2014، صفحة 17-18). وكان

يرمز في المعتقدات الإغريقية للقوة الشيطانية التي لا تُقهر ولا يمكن دفعها (سليم، 1999، ص126)، لكن شيئا فشيئا فقد معناه الديني والجنائزي ولم تبق له إلا قيمة زخرفية بحتة.(Gallet, 1957, p440)

2.3-الرمزية الجنائزية لأبي الهول:

لقد انتشرت رمزية أبو الهول في المستوطنات البونية في غربي المتوسط بفعل العلاقات المتينة بين البونيين وأسلافهم الفينيقيين، وتنوّعت أشكال السفنكسات فيها بين الرأس الرجالي والرأس الأنثوي، وكان أغلبها مُجنّحا، وأحيانا يكون واقفا على قوائمه الأربعة وأحيانا يكون جاثما، كما برز برأس صقر في حالات نادرة، وقد برز على مختلف اللقى المادية الصغيرة كفصوص الأختام والتمائم(العزيفي،2004، صفحة 12-13) ، والأمشاط والجعارين مرفوقا بالقرص الشمسي أو علامة الحياة عنخ وبعض الصور التي تُؤكّد التأثّر بالمعتقدات المصرية كما برز في شكل تماثيل مصنوعة من العاج أو الغرانيت أو الرخام، وكذلك وعلى بعض الأنصاب والمباني والأضرحة البونية والليبية كضريح دوقة وضريح شمتو ويُؤرّخ بعضها منذ تأسيس مدينة قرطاج(Chérif, 1988, p172-178).

وفي بعض الأحيان صُور سفنكسان اثنان يحفّان العروش الإلهية على ميمنة وميسرة الإله مثلما نرى ذلك على تابوت احيرام ملك جبيل، وعلى عرش ملكي منحوت على قطعة من المرمر كمسند للإله في مدينة ليكسوس(العزيفي،2004، صفحة 12-13)، وأحيانا يصور السفنكس منفردا، وأحيانا أخرى يكون محاطا برموز أخرى كالأسود مثلا (Leglay, 1964, p217) فنرى في معبد ثينيسوت قرب بورقبة براس الصالح (Cap bon) الاله بعل حمون جالسا على عرشه ويحفه سفنكسان مجنحان، كما يزين بعض الأنصاب والأعمدة **(انظر الشكل4)** (Lancel, 1999, p275)

الشكل (4): سفنكس منقوش على نصب بوني

(Lancel, 1999, p425)

وقد ارتبط ببعض الآلهة البونية كالإله بعل حمون وبعل شامين والإلهة عشتارت والإلهة تانيت(Chérif, 1988, p172-181) ، ويرمز في كل الحالات لقوة الأسد وللسلطة الملكية وعقل

الإنسان، كما يعتبر حارسا للمعابد وللقبور، ويستخدم في شكل قلائد وتمائم لتبعد الحظ السيئ وكفزاعة للأرواح الشريرة التي تقترب من الموتى(سيرنج، 1992، ص235). كما يرمز كذلك للحياة والخلود.(Leglay, 1964, p217)

4- الحصان المجنح (Pégase):

1.4- التعريف بالحصان المجنح (Pégase):

فضلا عن صور الخيول والعربات ظهرت صور حيوان خرافي تُمثّل في حصان بجناحي طائر عُرف باسم الحصان المجنح (Pégase) ، وهو من الكائنات الخرافية التي لها علاقة بالحصان في الميثولوجيا الإغريقية (Zeghal, 2006, p425) ، ويعود أصل هذا المصطلح من الكلمة الإغريقية (pegos) التي تعني الأبيض والقوي والمتين، هو ابن الإله بوزيدون ولد من دم ميدوز (méduse) عندما قتل من طرف برسي (persée)، يتميز بالسرعة التي تسبق الريح، ويرمز للسرعة والخفة والارتقاء نحو المقدس، عاش باحثا عن المنابع المائية، ويعتبر الكائن الوحيد إلى وصل إلى مساكن الإلهية في السماء التي وضعته ضمن كوكبة النجوم، وله رمزية معقدة لدى الكتاب القدامى تختلف من كاتب إلى آخر، فمن جهة هو خاضع للإنسان واتخذ كمطية لهم ومن جهة أخرى يمتلك سلطة المعرفة لأنه ولد من دم ميدوز مركز الذكاء (Schmidt, 2001 ,p150).

2.4- الرمزية الجنائزية للحصان المجنح:

يرمز الحصان المجنح للعالم الجهنمي كما يرمز لطيران الروح في الجو، وإذا صُوّر بلا عربة فإنه يرمز للخلود وهذا الشكل يدلّ على انتمائه للعالم الإلهي، فصورة الحصان المُجنّح تحمل مفهوم السرعة والحركة، لأنّه يجمع ما بين الحصان والطائر فهما حيوانان مترابطان بفضل خفّتهما ورشاقتهما بفكرة الرحلة وحتى الارتفاع نحو السماء(Zeghal, 2006, p425) ، ولهذا اعتقد اليونانيون أنّه مطية للإله أبولون وأخته أرتميس وكذلك مطية للأبطال والشعراء(بن محمد، 2013، صفحة 118-121)، وكثيرا ما صُوّر على فن النحت وعلى الأواني الفخارية، كما

نُسبت له خصائص سحرية تحمي من الشر، وكان مصدر إيحاء للشعر الرمزي بسبب كونه يطير في السماء(ديفانبيه،2014، صفحة292). كما برز على العملات النقدية الإغريقية، حيث برز على وجه بعض القطع، وبرز على ظهر نفس القطعة الإله هرمز (انظر الشكل5) (Shpresa, 2015, p229).

وقد صُوّر على بعض اللقى البونية منها جعران بجناحين مفتوحين، وكذلك على ختم أُكتشف بأوتيكا يعود للقرن الخامس قبل الميلاد، فكانت صُور الخيول المُجنّحة ترمز لرحلة الروح نحو السماء، وكان بمثابة وسيلة سحرية تقود الميت في رحلته نحو السماء، ويجدر الذكر هنا أنّه يُوجد كذلك في الايكونوغرافيا الشرقية (الأشوريين، الفرس، الفينيقيين...) تقليد يُصوّر عدّة حيوانات مُجنّحة مثل: الحصان، الأسد، الثور...(Zeghal, 2006, p425-426)

أمّا فيما يتعلق بمنطقة المغرب القديم، فقد برزت صورة الحصان المجنّح على أنصاب عديدة تعود للعصر الروماني للدلالة لنقل أرواح الموتى الجديرة بأن تكون في مملكة السماء، وهناك عدّة أمثلة تشير بأنّ الحصان المجنّح كان دليلا للأرواح التي تؤول إلى السماء، ولهذا يُمثّل الحصان المجنح منفردا ويرمز للخلود وترمز العربة التي تجرّها أربعة خيول لعربة الأموات(Troussel, 1954, p140)

فالإيكونوغرافيا الجنائزية البونية ثريّة ببعض المواضيع: الطيور والخيول والأسماك التي تُشير إلى عقيدة رحلة الروح ما بعد الموت المكونة من المرحلة الأرضية والجوية والبحرية، ويبدو أنّ لها أصول هلينية أو شرقية (مصرية أو عراقية أو فينيقية) فتبنّوها لأنّها تُعبّر عن معتقداتهم الخاصّة وتُلبّي طموحاتهم الأخروية، فلم يعتبر البونيون الموت نهاية، بل العبور نحو حياة أخرى، فعدّة مواضيع أيكونوغرافية جنائزية بونية تشير أن ذلك من أجل حماية الموتى والخلود في العالم الآخر.

الشكل (5): الحصان المجنح على قطعة نقدية إغريقية

(Shpresa. 2015, p229)

خاتمة:

نستخلص في الأخير ما يلي:

شكلت عقائد الموت والحياة في العالم الآخر المكانة البارزة في المعتقدات الدينية لأي مجتمع كان، حيث ابتكر مجموعة من الأفكار لتهدئة نفسه من ذلك العالم المجهول والمخيف، وهي لا شك ثمرة خياله الخصب، ونتيجة لتفاعله الطويل مع بيئته، وعبر تواصله مع المجتمعات المجاورة بعد ذلك.

- أن الحيوانات والكائنات الخرافية المذكورة كانت من أهم الأفكار الخيالية التي أبدعتها شعوب العالم القديم، وإذا كان أغلبها قد ظهرت في بلاد الرافدين أو في مصر الفرعونية أو في بلاد الإغريق، إلا أنها سرعان ما انتشرت لدى مختلف الشعوب القديمة الأخرى وتبنوها عن طرق الهجرات والتجارة أو الحروب للتعبير عن مشاعرهم ومخاوفهم.

- تعتبر هذه الحيوانات الخرافية بمثابة حارس جنائزي للعالم الجهنمي وللقبور، فتحمي الميت من القوى الشريرة، فكانت العنقاء بمثابة طلسم للحياة والتجدد، لهذه برزت على بعض اللقى

الأثرية، ووضعت ضمن الأثاث الجنائزي داخل القبور رفقة الموتى، أما الوحش سكولا فيعتبر كنوع من الجن الجنائزي (Génie funéraire)، وكانت له دلالة أخروية ورمزية الانتصار على أخطار البحر والمُتمثّلة أساسا في القراصنة وغرق السفن.

- أما الحصان المجنح فيرمز للعالم الجهنمي ولطيران الروح في الجو، كما يرمز للخلود، لهذا اعتبره الإغريق مطية للآلهة في تنقلاتها كالإله أبولون والربة أرتميس، كما نسبت له خصائص سحرية تحمي من الشر، ويرمز لرحلة روح الموتى نحو السماء.

قائمة المصادروالمراجع:

أ-المراجع العربية:

- جيني مارك، (2018)، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، ج2، ط1، ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

- العزيفي محمد رضوان، (2004)، سفنكس ليكسوس والعروض الإلهية الفينيقية، مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية، عدد13، المعهد الوطني للتراث، تونس.

- بن محمد عبد الله، (2013)، الخيول في تاريخ وأساطير الشعوب، مجلة تراث، العدد 164، أبو ظبي، جوان، ص ص118-121.

- سيرنج فيليب، (1992)، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة:عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق.

ديفانبيه بيير وآخرون، (2014)، معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج2، ط1، ترجمة: وتقديم أحمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

- فنطر محمد حسين، (1999)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، تونس.

- حسن سليم، أبو الهول، (1999)، ترجمة: سالم جمال الدين، هيئة الكتاب، القاهرة.

ب- المراجع الاجنبية:

- Picard (C.). (1979), Les représentations du cycle dionysiaque à Carthage dans l'art punique. In: AN.AFR, 14,.

- Bouchenaki (M.), (S.D), Mosaïques des eaux en Algérie, Régie sud Méditerranée, Alger.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- Camps (G), (1991), « Bogud », E.B ,10, Aix-en-provence, Edisud.
- Lancel (S.), (1999), Carthage, édition cérès, Tunis.

- Prieur (J.), (1988), les animaux sacrés dans l'antiquité, Ouest France, Paris.

- Gjongecaj (S), (2015), Un nouveau type monétaire en argent de Dyrrachion. In: Revue numismatique, 6e série - Tome 172, pp. 229-233

- Leglay (M.), (1964), Le symbolisme de l'échelle sur les stèles africaines dédiées à Saturne, Latomus, T. 23, Fasc. 2, pp. 213-246.

- Chérif (Z.), (1988), l'image du Sphinx sur les monuments carthaginois, REPPAL, IV , pp172-178 .
- Delplace (Ch.), (1967), Le griffon créto-mycénien. In: L'antiquité classique, Tome 36, fasc. 1, pp57-61.
- Fantar (M-H.), (1970), la mer dans la mythologie et l'iconographie des phéniciens-puniques, Tomes III et IV, institut national d'archéologie et d'art, Tunis, pp51-82.

- Zeghal Yazidi (S.), (2005 -2006), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, Année universitaire, pp435-437.
- Schmidt (J.), Larousse,Dictionnaire de la Mythologie grecque et romaine, éditions France Loisirs, Paris, 2001.

-Gallet (S). A. Dessenne, (1957), Le Sphinx, Étude iconographique. I : Des origines à la fin du second millénaire (Bibl.des Écoles françaises d'Athènes et de Rome, fasc. 186). In: Revue des Études Anciennes. Tome 61, 1959, n°3-4. pp.438-443
- Alexandropoulos (J.), (2007), Les Monnaies de l'Afrique antique (400 av. J.-C.-40 ap. J.-C.), Toulouse, Presses Universitaires du Mirail.
- Troussel (M.), le cheval, animal solaire, (1954), RSAC, pp123-174.

تشكلات الصورة الرحلية في رواية (شاهد من إشبيلية) لمنى التميمي*

Formations of the nomadic image in the novel (A Witness from Seville) by Mona Al Tamimi

محمد بن ظافر القحطاني - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد بأبها- المملكة العربية السعودية Mdali@kku.edu.sa

عبد القوي علي صالح العفيري - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك خالد بأبها- المملكة العربية السعودية، جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.alafere@gmail.com

تاريخ الارسال:22-07-2024 تاريخ القبول:18-09-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

يَسعى هذا البحث إلى رصد تشكلات الصورة الرحلية في رواية (شاهد من أشبيلية) لمنى التميمي؛ لدراسة طبيعتها، والتعريف بأنماطها ودلالاتها في النص، فضلا عن الوقوف عند تقنياتها وجمالياتها. وقد تكونت الدراسة من مقدمة ومبحثين، الأول: أنماط الصورة الرحلية، والثاني: جماليات الصورة الرحلية، واستفادت معالجتها من بعض إجراءات البنيوية والسيميائية وبعض المناهج الأخرى في حدود ما يستجيب لذلك النص المدروس.

وتوصل البحث إلى عدد من النتائج لعل من أهمها: أن الصورة الرحلية لم تقف عند المستوى الحركي الوصفي المباشر فحسب، بل توغلت في العمق الرحلي؛ لترصد شيئا من خفايا النفس وطبيعتها في التعاطي مع الآخر، إضافة إلى الكشف عن جوانب اجتماعية وثقافية.

الكلمات المفتاحية:

الصورة الرحلية، شخصية الرحلة التوتر، المكان، الزمن.

Abstract

This research seeks to monitor the formations of the travel image in the novel (A Witness from Seville) by Mona Al-Tamimi; to study its nature, and to define its patterns and connotations in the text, in addition to examining its techniques and aesthetics. The study consisted of an introduction and two chapters, the first: the patterns of the travel image, and the second: the aesthetics of the travel image. Its treatment benefited from some structural and semiotic procedures and some other approaches within the limits of what responds to the text under study. The research reached a number of results, perhaps the most important of which is that the travel image did not stop at the direct descriptive kinetic level only, but rather penetrated into the travel depth; to monitor something of the secrets of the soul and its nature in dealing with the other, in addition to revealing social and cultural aspects

Keywords:

travel image, travel character, tension, place, time.

المؤلف المرسل: عبد القوي علي صالح العفيري

مقدمة:

يلحظ الدارس للرواية –بصورة عامة- أنها لا تخلو من الصورة الرحلية ؛ لأن الرواية من حيث طبيعتها السردية تفضي إلى تلك الصورة بشكل أو بآخر؛ فحركة الشخوص في الرواية والتعبير عمّا تلحظه في تنقلاتها المكانية ينم عن تلك الصورة.

وفي الأونة الأخيرة من النتاج الروائي نلحظ انفتاحا معرفيا وفنيا وجماليا على الأدب الرحلي؛ فقد وجد بعض الكتَّاب في الرحلات مادة خصبة للسرد (عبيد : هناك في شيكاغو...) ومن تلك الروايات "شاهد من إشبيلية ...لمنى التميمي"حيث تشكِّل الصورة الرحلية بنيتها الفاعلة ، و منها تشكَّل النص وتجلت خارطته الرحلية بفضاءاتها المتنوعة وتفاصيلها الدقيقة. وضمن هذا الإطار تأتي مشكلة البحث المتمثلة بعدد من التساؤلات منها:

- كيف تَجلّت الصورة الرحلية في رواية شاهد من إشبيلية؟
- ما الطريقة التي انتهجها النص في سرد خط الرحلة في الرواية؟
- ما مرجعيات الصورة الرحلية في الرواية؟
- ما الجماليات التي اتسمت بها الصورة الرحلية في الرواية؟

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تتلبث عند ظاهرة بارزة في النص الرحلي ؛ فالصورة التي تتشكل ذهنيا ، تكاد توازي الصورة الملتقطة في الواقع الرحلي؛ فمن خلالها تتجلى طبيعة الرحلة وتفاصيلها، وتصبح عناصر السرد الأخرى من مكان وزمان وحوار وأحداث ضمن مكوناتها البنيوية وعلامات دالة على معانٍ متعددة لها؛ مما يجعلها جديرة بالتناول.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن طبيعة الصورة الرحلية في رواية " شاهد من إشبيلية "، والوقوف عند تشكلاتها وخصائصها السردية والجمالية.

أما عن الدراسات السابقة، ففي حدود علم الباحثين أن الصورة الرحلية في النص الروائي "شاهد من إشبيلية " لـ(منى التميمي) لم تدرس، كما أن الرواية ذاتها لم تنل حقها في الدرس والتحليل، فما كُتب عنها جاء وفق تصورات انطباعية بعيدة عن دراستنا.

وتناولت الدراسة الصورة الرحلية في مبحثين بعد المقدمة والتمهيد، و هما:(أنماط الصورة الرحلية، وجماليات الصورة الرحلية ، ثم الخاتمة والنتائج).

وعن الإطار المنهجي فقد اتخذت الدراسة من إجراءات الدراسات البنيوية والسيميائية طريقا لها، مع الإفادة من المناهج الأخرى وفق ما يستجيب للنص المدروس.

التمـــهيد :

يعد مفهوم الصورة من المفاهيم الواسعة، وذلك لسعة تداول هذا المصطلح؛ فقد أطلق على العصر الذي نعيش فيه عصر الصورة (دوبريه : 5) ؛ لأن" الإنسان يعيش بالصور" (باشلار: 11). والصورة لا تقتصر في حضورها على السينما والتلفزيون والإعلام بمختلف أنواعه فحسب، بل قد نجدها في الشعر وفق ما يعرف في الدراسات النقدية بالصورة الشعرية المستوحاة من المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية (عوض، 1992 :39) وبفعل علاقتها الوثيقة بالأدب بمختلف أنواعه، استطاعت أن تخترق ميدان الرواية؛ فأغلب الأعمال الروائية لم تخل من الصورة، ويعود ذلك إلى أن شخوصها متحركة تجوب أماكن متعددة داخل النص.

إن الصورة من حيث التعريف اللغوي تأتي بمعنى الشكل أو النوع أو الصفة (ابن منظور: 492/2)،. والصورة في كلام العرب تدل على معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، والصورة شبيه أو مماثل تنعكس فيه ملامح الأصيل أو أبرز ما في هذه الملامح (جبور: 1984: 159)؛ فالصورة يقصد بها على العموم تعني الشكل المرئي المستوحى من التعبير اللغوي.

ومن المدلول اللغوي لكلمة "صورة" تجلى المفهوم الأدبي؛ فهي في أبسط تعريف لها "تعبير عن حالة أو حدث، وهي- أيضا – لوحة مؤلفة من كلمات أو مقطوعة وصفية في الظاهر" (روز: 1991م، ص90) ؛ فعلاقة الصورة اللغوية بالواقع تكون علاقة محاكاة مباشرة، أو علاقة انعكاس جدلي (قدور: 2007، ص24)، مع أن لغة الفن - عموما- لغة انفعالية. والانفعال لا يتوسل بالكلمة فحسب، وإنما بوحدة تركيبية معقدة حيوية لا تقبل الاختصار يطلق عليها اسم الصورة (إبراهيم:2007 :17).

ومفهوم الصورة في الرواية يستصحب هذا المفهوم العام للصورة الأدبية، إنها صوغ لساني مخصوص يقدِّم المعاني ويمثلها تمثيلاً جديداً أو مبتكراً بما يحيلها إلى صورة مرئية (إبراهيم :1994: 3) إلا أنه يأخذ منحى آخر؛ فهي – حسب رأي بعض الباحثين – تختلف عن الصورة الشعرية والتشكيلية والسينمائية والدرامية ؛ أي ان الصورة الروائية " صورة لغوية تخييلية

وإبداعية وإنسانية ، تتشكل في رحم السرد وتتفاعل مع مجموعة من المكونات السردية"(حمداوي: https://www.alukah.net/literature_language/0/74679)

إن الصورة في رواية "شاهد من إشبيلية" متعددة الأبعاد؛ كونها تتشكل وفقا للمتخيل الرحلي، باعتباره مصدراً مهماً للكاتب في بناء صوره ؛ فقد " تتجلّى الصورة عن طريق التعبير الحسي.. حركة، ألوان، خطوط ..." (روز: 1991 :92). وهو ما يمكن رصده من فضاءات الرحلة وطقوسها الماثلة في فقرات السرد، مما يعكس وظيفة الصورة لأن " اللغة المرئية تمتلك إمكانات؛ لتقريب المعنى لتحقيق التكامل الضمني (إبراهيم ، 2007 :17).

إنّ الصورة الرحلية متسعة ومتشعبة في مكوّناتها وإيحاءاتها سواء كانت كلمة، أو صوتا، أو حركة، أو لون...الخ (علي:1997: 87،88) إلا أن تناولها في رواية "شاهد من إشبيلية" سيكون محكوماً برصد تشكلاتها وجمالياتها المتجلية في النص.

1- أنماط الصورة الرحلية :

تمثل الرحلة بلوازمها من مكان وزمان وطقوس مادة خصبة لصياغة النص الروائي، فتتشكل صور النص من خلالها، وقد اتكأت رواية "شاهد من إشبيلية" على المتخيل الرحلي في بنائها، ونقلت تفاصيل ووقائع الرحلة المتخيلة التي قام بها(مالك الإشبيلي) بدءاً بـ(مكة) وانتهاءً بعودته إلى إشبيلية ومنها إلى قرطبة، وبيّنت الصورة مشاهد ومواقف على مستوى الموضوع والبناء.

1-1- تشكلات الصورة على مستوى الموضوع:

تقوم الرحلة على الانتقال من مكان إلى آخر على المستوى الحقيقي أو المتخيل، وذلك الانتقال يتيح للمرتحِل مشاهدة ما لم يشاهده من قبل، ويلاحظ ما لا يكون في تجربته أو سابق خبرته، فيحضر الفضاء الرحليّ بكل مكوناته المكانية والزمانية والبشرية. ومن هنا فالصورة الرحلية متعددة ومتشعبة بين ما هو فني وما هو موضوعي، ويظهر ذلك في الرواية فيما يأتي:

أ- الصورة الاجتماعية

إن المتأمل للصورة الرحلية في سياقها الاجتماعي، يلحظ أن ثمة رصدا متنوعا للطابع الاجتماعي جاء بعدة صور منها:

1. صورة المرأة :

كان للمرأة حضور في النص الروائي الرحلي؛ حيث أخذ حضورها مساراً مجسداً لقضية جوهرية تتمثل بميراث المرأة، إذ يطالعنا النص بصورة المرأة التي استأثرت بميراث واسع دلت عليه إشارة النص التي أفصحت عن هدف الرحلة (الرواية :10) ، فضلا عن فضاء العمل بلوازمه من عمال ودفاتر..(الرواية : 20) وتتمثل بشخصية (العمة) .

اللافت - وفق الصورة الافتراضية المتعلقة بالميراث - أنها وإن أظهرت حقا من حقوق المرأة حين تحصل المرأة على ميراثها بعد الزوج ، فهي لم تخل من إيحاء خفي يبوح بأن القَدَر هو من ساق لها ذلك الميراث بمعزل عن المجتمع وقناعاته بدلالة المهمة التي أوكلت إلى شخصية (مالك) ؛ كونها مثلت دافعا للرحلة؛ إذ تتلخص بفضح ممارسات المكر والخداع التي جاءت بفعل النظرة الاجتماعية للمرأة باعتبارها – حسب الثقافة المجتمعية – كائناً ضعيفاً، فكانت دوافع الرحلة تمثل على مستوى البناء السردي علامة قصدية دالة على النظرة الاجتماعية تجاه المرأة وحقها في الميراث ، فضلا عن القيود التي تكبل المرأة في العمل.

وتأتي الصورة القائمة على المكر والتسلط المستوحاة من المشهد الذي جمع بين الشخصية المحورية (مالك) وعمال البستان للإيحاء بمسخ القيم وكأنها جاءت لتوثق مآسي الظلم والحرمان، التي تتعرض له المرأة، وبالرغم من أن فضاء الصورة قد أجلى معاناة ممتدة تجاه شخصية المرأة، مما يكرس الثقافة المجتمعية التي تجمع على ضعفها، فإن النص يوحي بالتقاليد المتبعة التي تحد من حركة المرأة ووظيفتها، وهي إشارة تلامس طبيعة المرأة (كأنثى) في الواقع الاجتماعي فشخصية (العمَّة) في مشهد الرحلة ظلت كما هي؛ كون المعالجة التي تمت اقتصرت على سعي الشخصية المحورية (مالك) للتخلص من العمال الذين مارسوا الابتزاز والتسلط؛ مما يجعل الدور الذي قامت به شخصية الرحلة من المعالجات المؤقتة، وهو إيحاء دال على أن الصورة التي رصدت قضية المرأة لن تنتهي ، فما قامت به الشخصية الرحلية من معالجات ستكون مؤقتة سرعان ما تعود بعد مغادرتها.

2. الثأر:

يمثل الواقع بتفاصيله الاجتماعية بما فيها ظاهرة الثأر، رافدا مهما للنص الروائي الرحلي؛

لأن الرحلة تمثل تجربة حقيقية أو متخيلة يقدمها الرحالة لما شاهده وما عايشه في رحلته ومنها: إظهار الصراع عبر أنساقه الاجتماعية والسياسية والدينية (شرايطيه ، 2018 : 242).

إن الصورة الرحلية في الرواية لم تخل من الاستحضار الذهني للثأر، حين تتزاحم في مخيلة الشخصية الرحلية جملة من الهواجس المتوقعة لإعاقة الرحلة، حين تقول : " الأرض ليست مسالمة مع أحد... قد تتشنج في لحظة ما، وتفاجئك بشياطينها، وتكبر الكارثة في نظرك حين تملك خنجرا لا تستطيع رفعه في وجه لص أو قاطع طريق، بعض القبائل الهائجة ما زال الثأر يسيطر على أبنائها، فيجن جنونهم عندما يتذكرون الدماء". (الرواية : 51 ،52).

لم يعد الثأر في الفقرة السردية السابقة محكوما بنطاق إنساني ومكاني محدد، بل تجلى في هذه الصورة نقشا محفورا في ذاكرة الإنسان عند بعض القبائل، وهي إشارة إلى تتابع مخاوف الرحلة، إذ تعكس الصورة من خلال اتساع المكان المعادي (الأرض) عنصر المفاجأة وهو إيحاء باتساع رقعة الشر، وهنا نجد الصورة تسجل نبرات شعورية يائسة، والتي اعتمد فيها على تجسيد الانكسار والهزيمة وهو ما تعززه مفردة (الخنجر) حين تعطلت دلالتها تجاه تلك القضية؛ مما فتح نافذة لمشاعر التوجس والخوف من القادم في مسار الرحلة.

3. صورة الأطعمة:

لا شك أن صور الأطعمة في الصورة الاجتماعية تتنوع بتنوع المكان الرحلي، و يخضع ذلك التنوع لطبيعة المجتمع وبيئته، مما يجعل من تصويرها نتيجة طبيعية لمقتضيات الرحلة. فصور الأطعمة المتمثلة بطبق الجراد المقلي بالزبدة والملح (الرواية: 44) لا تقتصر من حيث الوظيفة السردية على إبانة خصوصية المجتمع النجدي في المطعم بدلالة سطور السرد التي تفصح عنه فحسب، بل تُجْلِي مفارقة اجتماعية تقوم على ثنائية متضادة ، فإذا كانت شخوص الرحلة المرافقة تُقبل على طبق الجراد بشراهة "تناول العامري طبقا وأخذ يلتهم الجراد..." (الرواية:44)، فإن شخصيتي الرحلة (مالك ورفيقه نجم) تنأى عن تلك الأطعمة "والله ما وضعته في فمي، حتى لو بعتموني في سوق النخاسة الذي يضج بالرقيق"(الرواية: 45).

اللافت أن صورة الأطعمة الواردة في السرد الرحلي، لم تقتصر على إبراز الخصوصية الاجتماعية للمجتمع النجدي فحسب باعتبار الوقوف عند كل ما هو غير مألوف وغرائبي من الأمور المتوقعة في السرد الرحلي (الحضري : 1913: 23) ، بل هناك إيحاء بالحالة الاقتصادية

في حقب زمنية ممتدة حين يلجأ الناس لأطعمة معينة بدافع الترف أو العوز، وهو ما أفصحت عنه حالة المفاضلة بين الأطعمة " أنتم يا أهل أندلس لا قبل لكم بهذا الطعام، بل تحبذون الأطايب والحلويات، إنكم أهل ترف ورفاهة " (الرواية: 44).

ب - الصورة التاريخية

تستند الصورة الرحلية في رواية (شاهد من إشبيلية) على أنقاض تاريخية، فمنها تشكلت بعض صور الرحلة لأن " الماضي بالنسبة للأديب ليس زمنا منقضيا أو ذكرى ميتة... بل هو زمن يكتظ بالدلالة والتوتر ويظل قادرا على تقديم العون للكاتب جماليا " (المقالح، عبد العزيز:1974: 410).

ومن استقراء النص ، تجلت الصورة التاريخية في عدة مواضع سردية للرحلة ، بدءا بعنوان النص" شاهد من إشبيلية "، فالرواية ذات توجه تاريخي ظاهر منذ الاستهلال إلى الختام، غير أن النص قدم تصورا تخييلياً ينفي أن يكون صورة تاريخية محضة، إذ نجده يتخذ من التاريخ إطارا لسرد متخيله الرحلي الذي يلامس شخوص الرحلة الماثلة في الصيغة الملحقة بالعنوان (حكاية مالك بن غدير الإشبيلي وصاحبه نجم الدين) وهو ما يحيلنا إلى صور حكائية تتعلق بشخوص الرحلة أي انه يروي جانبا من قصة حياة شخصيتي الرحلة ، في سياق الذاكرة التاريخية وفق ثنائية التاريخ العامر للحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس ، مقابل التاريخ المتهاوي في زمن السرد الرحلي المتخيل.

وتأتي أيقونة الغلاف التي شكلت مهادا أوليا للصور الرحلية لتضع المتلقي قبالة خارطة الرحلة، فصورة الرجل المتجلية على الغلاف وما رافقها من رسومات (الباب، والمناظر الخلفية، والملابس..) للدلالة على أن الرواية رحلية بإطار تاريخي، وأن السرد لن يخرج عن الصور الملتقطة أثناء الرحلة وأن حضور الصور التاريخية سيكون في حدود ضيقة مقارنة بالدلالات المتسربة من العنوان، وهو ما عززه التصدير الذي طالعنا في استهلال الرواية" بعض الدروب مغرية جدا، فيها الفرح والثقة والمفاجآت الجميلة. أما الطرق الوعرة فقد يضيع فيها سلام النفس" (الرواية: 7)، إذ نجد به (التصدير) تلميحات لمشاعر وانفعالات تخضع لطبيعة الرحلة زمانا ومكانا.

ويُلحظ أن تجليات الصورة التاريخية خضعت لخارطة الرحلة، أي أن النص اعتمد على حركة الشخصية الرحلية، فكلما تجلى المكان الرحلي الذي يرتبط بذاكرة تاريخية استحضرت الشخصية الرحلية صور التاريخ المرتبطة به، كما نلحظه في هذه الصورة " كانت الكوفة في العصر الأموي مصدرا للنزاعات، بعد أن كانت مدينة الثقافات والعلوم ..." (الرواية : 92).

تقدم لنا هذه الصورة التاريخية للمكان (الكوفة) إشارات تاريخية مقتضبة ليس في الوقوف عند تأسيسه وتسميته فحسب " يقال : إنها سميت بهذا الاسم لحمرة رمالها " (الرواية : 92) ، بل إن حالة التحول التي تشع منها ثنائية (السلم / والحرب) تشعل جملة من التساؤلات كون النص لم يقدم الصورة التاريخية المكتملة للمكان الرحلي (الكوفة) وهو ما يتسق وطبيعة الشخصية الرحلية وهدفها، بعيدا عن هيمنة القراءة الأيديولوجية، فالصورة التاريخية تظللت بظلال القراءة التاريخية دون الانحياز إلى الآراء المتباينة تجاه الأحداث التاريخية التي وقعت في الماضي وإن تسربت انفعالات الشخصية الرحلية تجاه بعض الأحداث فقد يبوح بدوافع إنسانية جاءت وفق قاعدة التعايش والقبول بالآخر ، وهو ما يتعزز بتوظيف صيغة الفعل المجهول(يُقال):" يقال إنها سميت بهذا الاسم ...كانت الكوفة قاعدة عسكرية ، ارتبط تأسيسها بعملية فتح العرب المسلمين العراق" (الرواية : 93) مما يفتح مجالا لقراءات تاريخية متنوعة ، زد على ذلك أن ثمة فقرات تلخص مضامين الصورة التاريخية وفق ثنائية قرائية تقوم على المآخذ والميزات، فإذا كانت بعض الصور تضع المتلقي عند بعض المآخذ على أحداث التاريخ في الماضي، فإن هناك صورا تشع بإيحاءات التطور والاستقرار" ازدهرت الكوفة في عهد بني أمية، حيث دمجت مع الحيرة حاضرة المناذرة ، إن ازدهارها كان يرتسم على كل بقعة لها صلة بالإسلام ، وهكذا فعلوا بالأندلس" (الرواية :95،94).

وتستحضر شخصية الرحلة صورا تاريخية متسلسلة مرتبطة بذاكرة المكان الرحلي (الموصل) فما أن تطوى الصورة التاريخية المرتبطة بالكوفة (العصر الأموي) إلا وتطالعنا صورة تاريخية أخرى تطل من المكان الرحلي الموصل في (العصر العباسي) " ثأر أهل الموصل حين حكم الوالي العباسي مدينتهم. فخربت بيوتها، واعتل أمرها، لكن الخليفة " السفاح" رحم أهل المدينة فعزل الوالي " (الرواية: 112). فالصورة التاريخية وإن كانت تشي بحالة مضطربة بدلالة الأفعال (خربت، اعتل) إلا أنها شكلت نافذة دلالية للتحول، دلت عليها صورة المكان

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

مدينة (الموصل) في عهد الخلافة العباسية حين شهدت حركة إصلاح "فاتسعت أسواقها وطرقها وتحسنت خدماتها وارتقى اقتصادها، وبان ذلك في كل أمورها، حتى زراعتها. فقد زانت طرقه بالأشجار" (الرواية: 113).

وتشف الصورة الرحلية الواردة في هذا الموضع السردي" في الصباح سرنا نحو بغداد مدينة الخلفاء، شيدها الخليفة العباسي المنصور، وأطلق عليها مدينة السلام" (الرواية :103) عن قدرة النص التحكم بالصور التاريخية المستحضرة من وحي المكان، حيث تتجلى الصورة التاريخية في هذا الموضع السردي عبر حركة العبور الرحلي حين تطالعنا مدينة (بغداد)، مما يعني أن حضور الصورة التاريخية في سياق السرد كان مرهونا بمحطات الرحلة ووجهتها.

لقد تميزت الصورة التاريخية في الرواية بانسيابية سردية واضحة تخلو من التكلف في تصويرها بنائياً، بل تشكلت من وحي المكان ذي الذاكرة التاريخية.

ج- الصورة الدينية:

من استقراء رحلة النص ، نلحظ أن الصورة الدينية جاءت وفق مستويات متنوعة ، فتارة تتجلى بطابع ذاتي داخلي خصوصاً في المشاهد الرحلية التي تتسم بالرعب فيكون حضورها لتخفيف التوترات التي تعصف بشخوص الرحلة ، ومن ذلك: " أتاني الشيخ الزهري ... فطلبت منه أن يدعو لقلبي أن يهدأ .فطمأنني بمودة قائلا: لا تخف .أنت بخير.هيا انزل عن فراشك ، لأقرأ عليك بعضا من آيات الله ... بدأ يقرأ ، وبدأت أذوب مع ترنيمات صوته ...انشرح صدري لقراءته، وبدت حروفه لي، كصداح البلابل في أول الفجر... طمأنت قلبي وأشعرتني بسحر السلام حين يهبط على محيط يضج بالفوضى ..."(الرواية: ص90) يتبين من توظيف الصورة الدينية السابقة أنها تكشف حالة اليقين العقدي التي تتسم بها الشخصية الرحلية، فكان من نتاج هذا اليقين حالة الانشراح النفسي الذي تلبست به الشخصية بدلالة التفاعل الروحي المستوحى من المكونات اللفظية للصورة. وهكذا توضح الصورة الوجه الحقيقي لمشاعر شخصية الرحلة (مالك) دينياً، وهو أن تصبح القراءة القرآنية نافذة للطمأنينة والشفاء، فمثل هذا التصوير الذي يعيد إلى الذهن ممارسات دينية تترجم معنى النص القرآني" ألا بذكر الله تطمئن القلوب"(الرعد:28) يختصر الكثير من جوانب الرحلة وطبيعتها في عملية إدراك شعوري يتظلل بظلال الدين بجوهره الصحيح.

ويبدو أن طبيعة الرحلة اقتضت توظيف الصورة الدينية بطابعها الواقعي، ففي بعض المشاهد الرحلية، يسوق النص بعضا من التجليات الدينية كزيارة بيت الله الحرام، وأداء الصلوات " صلى الجميع الفجر" (الرواية : 90) وقراءة الأذكار والدعاء، وصولا إلى زيارة بعض المساجد التاريخية في طريق الرحلة ، وجميعها يشكل صورا متجاورة تسهم برسم أبعاد الصورة الرحلية.

ويتجلى المستوى الثاني للصورة الدينية عبر سياق دعوي يتفق ومعنى الآية ((إن الدين عند الله الإسلام)) (آل عمران:19) وتتمثل تلك الصورة ، عبر أحد شخوص الرحلة المرافقة، بدءا بالاسم الذي اختير لها "عشتار" إذ يبوح الاسم باختلاف عقدي يدفع بالمتلقي لاستحضار معناه الأسطوري(علي: 1986: 107) وهو ما مهد لتشكل درامية الصورة الدينية في مسار الرحلة " وحين مررت على باب "اللخمي "سمعت صوتا يتلو: الحمد لله رب العالمين، وحين أصغيت لذلك الهمس الجميل ، فوالله لم يغب صدري عن مخارج الحروف عني .إنه "عشتار " يقرأ فاتحة الكتاب ...رجعت إلى مكاني وجلست على فراشي ، متعجبا .أليس "عشتار" نصرانيا؟ ما الذي يحدث إذن؟ (الرواية :136) تكشف الصورة الدينية عن مشاهد دينية افتراضية وقعت خارج النص ، بدلالة الصورة السمعية الهامسة "إنه عشتار يقرأ فاتحة الكتاب" فهذا التجلي غير المتوقع يبوح بممارسات دينية وقعت في مسار الرحلة دون أن يصرح بها النص والتي انتهت بتلك النتيجة(إسلام عشتار).

وفي سياق آخر تتجلى الصورة الدينية بطابع مختلف يقترب مما يعرف بصراع الأديان، وهو ما ترجمته الصورة التي طالعتنا بها شخوص الرحلة في المكان الرحلي قرطبة " تظل عين اليهودي تراقبنا خاصة أن نجم الدين أصبح منذ ذلك الحوار المشؤوم ، تحت البصر ، لم أر أكثر من حقد يهودي على مسلم" (الرواية :211) نلحظ على المستوى البنائي للصورة ، أنها تكشف عن تصورات عدائية متجذرة تعود جذورها للمعتقد الديني ، تجلت صورتها من خلال حالة الضيق والترقب التي تجلت بها شخصية اليهودي" تظل عين اليهودي تراقبنا" الملاحظ أن اختلاف هذه الصورة عن سابقتها (معتقد عشتار وديانته النصرانية) تبوح بأكثر من معنى وكأن الصورة في هذا الموضع بنيت وفق قناعة تفصح عن استحالة التعايش مع اليهود ، كونها تشكلت في هذا الموضع بمعطيات تجارية "... فإذا بنا نسمع ضجة الناس في السوق ..فإذا بي أرى "نجم

الدين " وقد تحلق حوله الناس يصيحون به عند زاوية السوق، وبقرب أحد دكاكين الصاغة اليهود. جاء ابن "عامر" مثل طلقة مدفع، وجره من وسط الناس، فلحقت بهما/ ماذا فعلت؟ / لم أفعل شيئا والله، لكنهم سمعوني وأنا أسأل الصائغ اليهودي عن أوزان الذهب، وعن العمل معه. /هل تريد أن تعمل مع يهودي يبغض المسلمين يا نجم؟ /لا ولكن ساورني فضولي وسألت لم أرتكب جرما.."(الرواية : 209) فتلك الصورة تناقش الخلفيات الدينية ودورها في إنتاج الإنسان فكرا وسلوكا، فحوار شخوص الرحلة يدل على تلك المضامين ، ولعل الإيحاءات المستوحاة من صورة التجمهر في زاوية السوق تدل على ثقافة الكراهية التي جاءت بإملاءات عقدية .

وتظهر الصورة الدينية العلاقة المتشظية بين شخوص النص الرحلي (نجم الدين / اليهودي) لا للاختلاف العقدي(الديانة الإسلامية /الديانة اليهودية) فحسب ، بل لممارسات تجارية تتضاد مع تعاليم الدين الإسلام والمتمثلة بممارسة (الربا) دل عليه الحوار المفسر للصورة " هنا يحتقر الناس المسلم الذي يعمل في مهن اليهود ...وشعور المسلمين بنهم اليهود في جمع المال ، وبإقراضه الناس مع الفوائد الكبيرة ، جعلهم محط كراهية... لذلك يكثر المرابون فيهم ..وماكان قصد أولئك الناس الذين صاحوا بك ، إلا ليقدموا لك النصيحة" الرواية:209).

د- الصورة النفسية:

1- الحنين:

شكلت صورة الحنين حضورا بارزا في النص الرحلي فثمة جمل سردية منتشرة في النص أسهمت بتشكيل سلسلة من الصور وفق رؤية واقعية تتلون بلون مشاعر البعد والفراق ، فالصورة دال مطابق يمنح المعنى بمقدار البنية (المظفر: 1982 :36،41) إذ يحيلنا شعور الشخصية الرحلية (مالك) المفعم بحنين العودة بدلالة قولها : " تذكرت رؤياي أثناء مجيئي إلى هنا ، حيث كان أبي يناديني بصوت حزين ويستعجلني أن أسير إليه "(الرواية : 16) "و الله لولا وفاة الوائلي لما فارقت تراب إشبيلية .."(الرواية : 101) إلى أكثر من معنى وفق ثنائيات متعددة منها: الوصول /العودة ، الجدب / الخصب ، الإدراك/ التبلد ، الفوضي /النظام ، التوحش /الألفة ... (الرواية : 91، 90) فمشاعر البعد التي انعكست على شخصية الرحلة(مالك) جاءت عبر صور ملتقطة تجلت نقطتها الأولى بضيق الشخصية الرحلية وهو ما

أفصح عنه قرار العودة ، فضلا عن الإحساس بثقل الزمن لطي المسافات ... وانتهاء بمحطة الرحلة الأخيرة وتوق العودة الجزئية لمسقط الرأس (إشبيلية).

تلك الإشارات وإن كانت تعكس صورا ملموسة في الواقع، فإنها تمثل إشارات رامزة تجسد واقعا مفقودا (تلاشي الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس). ويبدو أن غياب الوعي بأخذ الدروس من الماضي التاريخي شكل هاجسا ملحا في مادة الصورة الرحلية وهي الرسالة الأساس التي بنيت عليها الصورة مما أعطى مبررا لمشاعر البعد في واقع الصورة.

اللافت أن بعض صور الحنين جاءت في سياق التعالق بين ما هو عاطفي كالإحساس بفراق الأهل ، وبين ما هو اجتماعي وجغرافي والمتمثل بسلوكيات الآخر كما رصدته الصورة، مما ينم عن وعي فني حقق نوعا من الانسجام بين مكونات الصورة، فتجليات مشاعر البعد التي اكتوت بها شخصية الرحلة، لم تكن وليدة الحدث الفاجع (موت الأب) الماثل في الصفحات الأولى للنص ، فقد تجلت إرهاصات الحنين منذ لحظة الوصول ، فحرارة الطقس وصحراويته، كان له الأثر في تشكيل الصورة ، مما جعل المتلقي يبحث عما يضمره قرار الرحيل الذي تجلت معالمه في مسار العودة إلى إشبيلية.

لم يكن قرار الرحلة باختيار شخصية الرحلة (مالك)، وهو ما انعكس في البناء النفسي للصورة، إذ تحيل العلامات الوصفية المستوحاة من ملامح شخصية الرحلة ومنها، الشرود الذهني عن أداء الصلاة " ...قضيت صلاتي..." والإعياء المتواصل" أدرك أن الحمى ستنزل ضيفا عليَّ ليلتي هذه..." (الرواية 90) بما ستؤول إليه الأمور رحليا كتخيل لحظات الوصول بعد غياب كأحداث مرتقبة "سآنس بخالتي جميلة والدة نجم الدين ، لكن شوقي لوالدي يحرك الوجع الأليم .." (الرواية: ص96) مما يجعل المتلقي يستحضر قول "سوينسكي" " من الممكن حقا أن تعرض سياقات دلالية كبرى في شكل إيمائي بحيث نستغني عن اللغة اللفظية.. لتحقيق وظيفة دلالية تكميلية " (العبد: 2007 :110).

وتقتنص الصورة مشهدا رحليا تجلت معالمه عبر الصورة المرئية لاستشراف المكان " كل ما أريده أن أصل إلى مسقط رأسي وأغادر إلى قرطبة للبحث عن فرصة عمل جيد"(الرواية : 101) تلك الصورة وإن كانت في ظاهرها تبوح بنشوة العودة رحليا، فإنها سرعان ما تتبدد حين تتجدد حلقات الخيبة واليأس، وهو ما ألقى بظلال التوجس للبحث عما يضمره لم تتضح معالمه

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

فهذا التوجس الرحلي مثل لافتة أضاءت تراجيديا الرحَّال حين تحاصره الهموم أفصحت عنها الصورة الواردة في نهاية الرحلة وما تخللها من الإحساس بالحيرة والدهشة تجاه أحداث الرحلة، وهو إيحاء يجسد شلل الواقع المعاش بكل جوانبه اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا...الخ، مما جعل المتلقي (القارئ) يدرك حسيا عمق الدمار النفسي للذات الرحلية (مالك) .

وتبلور الصورة التي ظهرت بها شخصية الرحلة (مالك) لحظة العودة إلى إشبيلية حالة من اللبس كونها لم تستجب لتوقعات المتلقي باعتبار أن لحظة العودة ستكون المحطة الأخيرة لحط الرحال وهدوء الذات الرحلية ، وهو ما دل عليه السرد الرحلي حين فاجأ المتلقي باستمرار المكابدة "يجرحك شيء ما في صدرك حين تسمع شماتة النصارى وأنت تسير في الطرقات أو تمشي في الأسواق ، كنت أحيانا أخبئ وجهي بلثامي وآخذ طريقا أخرى غير التي كنت أمشيها "(الرواية: 177) ، تلك الصورة تحمل ترميزات واخزة للذات الرحلية ، فضلا عن البوح بحالة من المغامرة حين تتنازعها ثنائية الحياة أو الموت في مسار الرحلة كاستحضار الأحداث المأساوية التي ظلت تلاحقها (شخصية الرحلة).

ولم يغب عن صورة الحنين تلكم العودة المحزنة، حين تتحول الصورة التي طالعتنا بها (شخصية الرحلة) من حالة التفاؤل والأمل في العودة إلى حالة الإحباط والقنوط، حين يتلاشى حلم لقاء الأحبة (الأب) فتحولت محطة الرحلة إلى فضاء نفسي مفعم بالخراب (ينظر: الرواية: ص173).

2-المَرَض:

إن الوعي بطبيعة الرحلة والفضاء المكاني والزماني لها كان له الأثر في توظيف النص لعدد من الصور التي تنسجم مع فكرة النص وموضوعه، ومنها الصورة المرضية كونها من أبجديات الصورة الرحلية؛ إذ تطالعنا الصورة المرضية لشخوص الرحلة في أكثر من موضع سردي بدءاً بحالة الإعياء والتعب " والله ما شعرت بالتعب مثل هذا اليوم" (الرواية : ص64). وما لحقها من أعراض كاضطرابات النوم ..، وهي علامات قد تبدو طبيعية لاختلاف المكان والزمان وخصوصيتهما ، فضلا عن عناء الرحلة وما يمكن توقعه من وحشة السفر ومخاوفه. لقد جاءت الصورة الصحية من خلال توظيفها في سياق الرحلة منسجمة مع مقتضيات الرحلة من

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

حيث تأثيرها (نفسيا) على شخوص الرحلة ومنها شخصية "اللخمي" ، فألم الساق كحالة مرضية (الرواية: 117) لم تنحصر دلالتها في ظاهر النص عند عناء السفر فحسب ، وذلك لما يتخلق منها من صور ارتدادية تعيق الرحلة مما يجسد مآسي الرحلة وآلامها ، بل إنّ تلك الصورة تتحول إلى صورة إرشادية حين تجنح إلى التشخيص الملتبس للمرض بفعل العلامات الظاهرة "رأينا بقعة أقرب إلى السواد ليست بصغيرة... يا إلهي أخاف أنه الجذام يا رفاق "الرواية : 117) مما ينم عن وعي سردي قادر أن يمسك بكافة الخيوط السردية لفكرة النص وتشعباتها ، فتجلت الصورة متشابكة البناء والدلالة ، فعلى مستوى البناء نجد حواراً إرشادياً طرفاه (طبيب القافلة / نجم الدين) يتسق والموقف" لا تهذوا بالجذام كثيرا، صحيح أن العلامات الداكنة والفاتحة، هي علامات خارجية، تتطور إذا لم يتم علاجها، والواضح الآن، إنما يتوجع منه صاحبكم ، ذلك الصديد الذي تجمع منذ فترة طويلة، والدليل ارتفاع حرارته الآن" (الرواية: ص171) لتتجسد الصورة حين يسوق سرداً وصفياً لمرض الجذام ومسبباته وعلاماته (الرواية: ص120).

لم تأتِ الصورة السردية للمرض كما هو حال معظم النصوص الروائية الرحلية حين توظف أمراضاً عارضةً تعود مسبباتها لتغير المناخ والتضاريس، مما يجعل من تلاشيها من الأمور المتوقعة، بل إن الصورة هنا جاءت مختلفة، فكان للعلامات المرضية الملتبسة وظيفة سردية أسهمت بإثراء النص دلاليا كونها تقوم على ثنائيات (القلق، الطمأنينة / العزلة، الاندماج) فإذا كانت حالة الخوف والقلق قد استشرت في أوساط شخوص الرحلة بدلالة إرهاصات التخلي عن الرفيق بدافع الخوف " لقد قيل : فر من المجذوم ، كما فرارك من الأسد " (الرواية ص119) ، فإن صيغ الاسترجاع التي لامست الصورة المرضية القائمة على النمط التقليدي " هل وقعت على ساقك قبل هذا؟ نعم ... سقطت على حجر كبير منذ شهور" (الرواية : 119) مثلت انفراجة على المستوى النفسي لشخوص الرحلة حين تبددت هواجس القلق ، وهو ما أفصحت عنه الصور اللاحقة منها : الصورة الحركية للرحلة " في الصباح سارات القافلة تترنح بأثقالها.." (الرواية: 121) حين تغلبت على العوائق التي اعترضتها بما فيها مضامين الصورة المرضية.

2- تشكلات الصورة الرحلية على مستوى البناء السردي

يتضح من قراءة النص هيمنة العامل الواقعي في تشكل بنية الصورة الرحلية ، وهو ما يمكن إدراكه في سير السرد المتتابع حين يساير حركة الشخصية الرحلية .

2-1-الصورة الرحلية بين ثنائية (الاستقبال/ والتوديع):

لم يقتصر تصوير عواطف الاستقبال والتوديع على الشعر الغنائي حين صدح بها الكثير من الشعراء والفنانين (القصيدة الغنائية) فحسب، بل تعد تلك اللحظات (الاستقبال/الوداع) من الصور المتوقعة في النص الرحلي، أي إنها من لوازم الرواية الرحلية ؛ كونهما (الاستقبال والوداع) نتاجاً طبيعيا يقترب من الصورة الوصفية للحياة ؛ ولهذا لم تغب الصورة الملتقطة للحظات الاستقبال حين تتجلى صورة استقبال شخصية الرحلة " وصلنا إلى البيت، دخل زين " ليعلن عن قدومنا. فإذا بالزغاريد تسبق خطانا، عانقتني عمتي بكل مودة، وقد أشرقت عيناها بالدموع. كانت تقبلني وتحدثني في نفس الوقت..."(الرواية: ص12 - 13) ؛ فمن تأمل الصورة نلحظ جنوحها للمفردات التي تتسق وطبيعة الشخصية المستقبلة (العمة)، وبالرغم من بساطة مفرداتها ونمطيتها الواقعية المفعمة بمشاعر الأنس والألفة، فإنها تنقل تفاصيل دقيقة؛ كونها تستبطن حالات نفسية لشخوص النص ؛ فالصورة السمعية المستوحاة من الزغاريد تشي بحالة انتشاء لا حدود لها .

لقد ظلَّت الصورة الرحلية القائمة على ثنائية الاستقبال والتوديع محكومةً بطبيعة المكان والأحداث، فمن تأمل فقرات السرد الدالة على صورة الوداع بدءا بالإفصاح عن موعد العودة "سأرحل عنك بعد غد، وأرجو أن تكوني بخير" (الرواية:39)، وانتهاء بلحظة قرار الرحيل "ودَّعنا عمتي وعانقت الصغيرتين بمودة ، ووعدت أن أزورهن مرة أخرى قريباً ؛ لأطمئن عليهن .ولم يخل الأمر من نصائح عمتي المكللة بالدموع" (الرواية :41) نلحظ نمطيتها(الصورة) كونها مطابقة للواقع الرحلي وما يرافقه من مشاعر الحزن في لحظات الوداع ، غير أنها لم تخل من إيحاءات زمنية متضادة ، فالحلقة الزمنية الأولى قصيرة ؛ كون الصورة الزمنية للوداع تتصف بالسرعة باعتبار أن وجهة الرحلة (مكة) تقتضي -افتراضياً - ترحيل صورة الوداع إلى موضع آخر في السرد الرحلي كأن تكون في الفصل الثاني من الرواية ، ويبدو أن ثمة وعيا بتلك القيمة الزمنية المتسارعة، فالتوتر الذي يجتاح الشخصية الرحلية من الداخل "" لو كنت أملك قلب نجم

وأغط في النوم لكنت ملك الأسفار"(الرواية : 41) قد يكون أحد التعليلات الدالة عليها ، لأنها وإن اتسمت بالقصر في ظاهر النص ، فإنها تخفي زمنا يتسم بالثقل ، فمشاعر الحزن والألم هما المهيمنان على الحالة النفسية لشخصية الرحلة .

كما نلمح توقعات سردية متفرعة للصورة تنبثق من طبيعة الرحلة ومحطاتها المتنوعة، مما يجعل من صور الوداع المرتقبة في سياق التوقعات تتسم بالتشويق وإن كانت من الصور المألوفة.

إنّ القفز السردي المتمثل باستهلال الفصل الأول بحدث وصول القافلة " حطت القافلة..." (الرواية: 9) يفضي إلى تساؤل عن غياب الصورة الرحلية الافتراضية (لحظة المجيء وما تتطلبه من توديع الأهل)، فالمتتبع لسردية الرحلة، يلحظ غياب صورة الوداع بصورتها الواقعية، بل ثمة إيحاءات دلت عليها وهو ما يمكن رصده في الصورة الرحلية التي طالعتنا في الفصل الرابع "حين وصلت إلى داري في إشبيلية، وقفت أمام الباب كالغريب، فحس أبي قد خلا من البيت... كيف أدخل وأبي ليس هنا" (الرواية: 172). فصورة الاستقبال هنا لم يعد لها ذلك المعنى البهيج الذي ألفناه في مشاهد رحلية سابقة، وهذا النزوع يعد مؤشرا دالا على معايشة مستمرة لانفعالات شخصية الرحلة (مالك) فالصورة في النص لم تحتكم لمنطق الغياب وشغف العودة كما كان متوقعا، وإنما جاءت بصورة باهتة تعكس ذروة الإحساس بالتمزق الداخلي، وفي هذا الموضع يمكن التكهن بالصورة الافتراضية الغائبة (صورة الوداع) فما حالة التبلد والجمود المستوحاة من الجملة السردية (وقفت أمام الباب كالغريب..) إلا صورة ناطقة تترجم الصورة الغائبة (توديع الأب).

الملاحظ أن ثمة صورا للوداع مكررة، فصورة الوداع التي طالعتنا في موضع آخر في السرد ومنها :" حان موعد الرحيل الحزين. قطب أصحابي وجوههم، وتسمَّروا في لحظات التوديع" (الرواية:139) لم تختلف عن الصورة الأولى من حيث تجليات عواطف الفراق باستثناء طابعها العام، كون الأولى تتسم بالخصوصية. إلا أن ما تتميز به تلك الصورة أن ثمة توظيفاً فنياً لطبيعة الرحلة وفضائها ، فطابع العموم الذي اتسمت به صورة الوداع في هذا الموضع السردي، أفصح عن حدث مرحَّل كان موضعه -افتراضيا - قبل لحظة الوداع، إذ يأتي حدث إشهار إسلام "عشتار" ليضفي على صورة الوداع جوًّا من المرح مما يخفف من وطأة الفراق،

ولعل ترحيل الحدث يبوح بإيحاءات دلالية يمكن أن تفسر بقناعة تلامس أعماق شخصية "عشتار" أي إن الحدث الوارد في صورة الوداع بني على تأملات واستنتاجات جعلت من شخوص الرحلة نافذة لمعرفة جوهر الدين الصحيح كنتيجة طبيعية لمحطة الرحلة.

يُشارُ إلى أن صورة الوداع لم تتجل بنمط ثابت في التصوير، فثمة صور للوداع تتسم بجمود المشاعر بين شخوص الرحلة، فمن تأمل لحظات الفراق التي طالعتنا في هذه الصورة "نزل الشحاذون جميعا وأغلب الذين ارتدوا الملابس الداكنة اللون، إلى الجزيرة، لم يبق سوى مجموعات قليلة من العرب المغادرين إلى تونس" (الرواية : 168) نجدها باهتة جامدة تستجيب لوحي اللحظة (لحظة الفراق) ولعل ذلك اللون الباهت للصورة يستجيب لطبيعة الرحلة كونها اتسمت بالرعب ، فضلاً عن اختلاف الألسن الذي جعل من القطيعة نتيجة طبيعية. وكأنها مثلت لحظة انفراج في مسار الرحلة.

إن صور الوداع التي طالعتنا في النص ، جاءت بنمط سردي متعرج بين الصعود والهبوط والتجدد ، فإذا كانت الصورتان السابقتان تتسمان بثنائية (الحرارة ، والبرودة) في المشاعر مما يقربها مما ألمحنا إليه (الصعود والهبوط) فإنا نجدها في هذا السياق تأخذ مسارا سرديا مختلفا حين تلامس الوجدان بصورة أعمق ، إذ نجد تلويناتها مفعمة بزفرات عاطفية تبدأ باللحظة الحسية "رحلوا عنا ووقفنا نحييهم وشجن موجع في صدورنا من فراقهم" (الرواية : 171)؛ ليعقبها أنين داخلي " وقد ملأت قلبي غصة مريرة" (الرواية : 171)؛ لتتوارد هواجس تصويرية تكتظ بالثنائيات مما يقربها من فلسفة الوداع " أصبح الفراق مثل بدعة سارية .خرافة القرن الذي نعيشه .لكن قسوتها ، زادت على المحبين والعاشقين .وأمست لا تفرق بين المخلصين والخونة .لا تروقني التناقضات ، حين تقدم لي النتائج مبتورة ، ولا سبيل إلى شفائها"(الرواية : 171، 172). فبالرغم من التشويش المستوحى من حالات الوصف التي اقترنت بها(الصورة) حين وصفت بـ(البدعة السارية، خرافة القرن، الخونة) فإنها في العمق تضع الذات المفارقة تحت ضربات الأنين والأوجاع، فما حسبناه تشويشاً ما هو في الحقيقة إلا تجسيداً لتأثيرها، فالذات الملتاعة بالفراق وإن حاولت التظاهر بالتقليل من شأنها فإنها تكتوي بنارها، فما تزال الشخصية الرحلية أسيرة وجدانيا للحظة وداع سابقة كان طرفاها شخصية الرحلة(مالك) والمرأة النجدية (لميس).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

2-2-الصورة الرحلية والمكان:

لاشك أن صورة المكان في خارطة الرحلة تمثل نقطة ارتكاز لتشكلات الصورة الرحلية ، وهو ما تجلى في فضاء السرد بدءاً بالمحطة الأولى للرحلة (مكة) ومروراً بمحطات العودة (العراق ، مصر، المغرب) وانتهاء بـ(قرطبة) ، فالمتأمل لصورة المكان (مكة) يلحظ رصداً حسياً لطبيعته وهو ما أفصحت عنه حالة الضيق المستوحاة من قول بطل النص(مالك الإشبيلي): " يا إلهي ، هل سنقضي أيامنا هنا وسط هذا الهجير، لله درك يا إشبيلية" (الرواية :9)، إذ تتجلى من حالة البوح بطبيعة المكان(مكة / أشبيلية) ثنائية متضادة تجمع بين الألفة والوحشة والتي جاءت بمؤثرات جغرافية المكان وطقوسه بصورته الحسية المدركة، فبالرغم من أن هناك جملاً سردية مفعمة بإيحاءات الشوق نرصد منها :" كنت أحلم بزيارة مكة منذ صغري، شممت عبقها في خيالي وحلمي ولم أتوقف عنها... هذه الرحلة الأولى بالنسبة لنا إلى مكة "(الرواية:10-11) فإنها لم تستجب لحالات الشوق المشار إليها ، وقد يعلل ذلك بمؤثرات الهدف الذي أفضت إليه الرحلة بدلالة ما تفوهت به شخصية الرحلة(مالك): " لقد أرسلنا والدي إليها لمراعاتها بعد وفاة زوجها ثم أعود إلى إشبيلية "(الرواية:10). فعمق الصورة ينبض بالضيق القائم على التوجس والخوف من القادم، وكأن الصورة المتجلية للمكان جاءت لتحقق وظيفة دلالية تؤسس لمآس مرتقبة في خارطة الرحلة.

وتؤدي صورة المكان الرحلي وظيفة سردية في بناء النص الرحلي، إذ يتجلى بطل النص الرحال من خلاله في دائرة متاشبكة من الآلام والمعاناة ، ففي اللحظة التي تظهر ملامح الإعياء والتعب على شخصية الرحلة (مالك) عبر سياق الصورة الوصفية الدالة على جدب المكان بقفاره الخالية وجمراته الحارقة التي تتقد في الحنجرة (الرواية :12) إذا به يفاجأ بخبر موت أبيه (الرواية :15) فضلاً عن اكتشافه لممارسات المكر والابتزاز والتسلط الذي يمارسه (زياد ، صفوان) في بستان عمته (الرواية:25، 26)، فالحزن يحاصره من كل اتجاه ، وفي سياق آخر تحاصره دوامة من التوجسات المقلقة المرتبطة بالمكان بفعل الرؤيا التي رآها في المنام ، كما هو ماثل في هذه الفقرة " رأيت مناماً عجيباً .فتيان يافعون ينظر بعضهم إلى بعض وقد اتشحوا بالبياض ، يشيرون إليّ. قلت متسائلا: من أنتم؟ لم يجب أحد منهم ، إلا أن أيديهم ظلت تشير نحوي" (الرواية : 38). إن إيحاءات الرؤيا تفتح أكثر من نافذة قرائية للمكان، أهمها: أن استلهام

صورة رؤيا (يوسف عليه السلام) جاءت لتمنح صورة المكان طاقة سردية تتحرك أفقيا بصورة ضدية، فبشارة رؤيا يوسف وما لحقها من مؤامرة الخلاص وحزن أبيه (يعقوب) تمثل إيحاء بمآس عدة تنتظر شخصية الرحلة (مالك) إذ يأتيه نبأ موت أبيه في اليوم السابع " في اليوم السابع طرق بابنا طارق، ما تمنيت أبدا أن أسمع الأخبار التي حملها. فقد جاء من إشبيلية ليحمل إلينا، خبر موت أبي" (الرواية: 15).

الملاحظ أن ثمة توظيفا مختلفا للرؤيا المستوحاة من النص القرآني، فالحزن المتصاعد في سياق النص واستبداده بالشخصية المحورية للرحلة (مالك) لفراق الأب يصل إلى أعلى مستوى؛ مما أسهم بخلق حركة سردية متجددة لصورة المكان الرحلي، لتبدأ حلقة العودة باتجاه (إشبيلية) "سأرحل عنك بعد غد" (الرواية :39) مما ينبئ بفضاءات مكانية متعددة تتجلى في طريق العودة.

لقد دشّن السارد رحلته بدءا بلحظة الوصول إلى (مكة) (الرواية: 10) فلم يبدأ من نقطة الانطلاق (إشبيلية) وما لحقه من أماكن في خارطة الرحلة وصولا إلى مكة، يبدو أنّ ثمة وعيا سرديا لتشكلات الصورة المكانية، فلو انجر السرد لرسم مسار المجيء إلى مكة لكانت الصورة المكانية قريبة من الصورة السياحية القائمة على الوصف والتي لا تكاد تخرج عن انطباعات لحظية متكررة تسلب الصورة الرحلية عنصر التشويق ، فضلا عن الترهل السردي، فتركيز السرد على تشكلات الصورة في فضاء العودة تحديدا من(مكة) إلى (إشبيلية) دون أن يكون العكس جاء ليجسد حالات النفس من الداخل ، فقرار العودة إلى إشبيلية لم تفرزه العوامل الجغرافية المستوحاة من طقوس المكان بحرارته وصحراويته (الرواية:9) مما يجعل من تعلق الذات بوطنها الأصل والحنين إليه من الأمور الواردة فحسب ، بل جاء توظيف حدث (موت الأب) ليكون -على المستوى السردي- ثيمة فنية تغلق منافذ الكثير من الصور، فإذا كانت بعض فقرات السرد الرحلي ومنها " كنت أحلم بزيارة مكة منذ صغري" (الرواية : 11) تستدعي صورة المكان المقدس (الكعبة والمسجد الحرام) كونها من لوازم فضاء المكان (مكة) وهوما غاب في خارطة السرد ، أي لم نجد الصورة الرحلية التي تلتقط حركة الشخصية الرحلية "مالك" وهي تؤدي مناسك الحج أو العمرة) فربما جاء ذلك الغياب بمؤثرات الحدث (موت الأب) وهي صورة واقعية لفراق الأحبة . وهو مؤشر دلالي نفسي ألقى بظلاله على أكثر من مستوى سردي

فعلى المستوى الزمني ، لم يعد للزمن الرحلي في الصورة المكانية طبيعته التقويمية المعتادة، بل امتزج بطابع نفسي تفوح منه مرارة زمنية مفعمة بمشاعر رتيبة "يا لها من ليلة طويلة، تمتد وتشتاق للفجر الوليد" (الرواية: 145)، وهنا تبرز الوظيفة الفنية للحدث الرحلي، وعلى المستوى النفسي تتجلى شخصية الرحلة (مالك) في فضاءات مكانية متنوعة ، فعلى الرغم من التوق لتخطي حواجز المكان بغية إضفاءالطابع الحركي السريع لتحقيق نقطة الوصول إلى إشبيلية وفق الهواجس المحركة لشخصية الرحلة مما يعني اسدال الستار عن خارطة الرحلة إذا بطبيعة المكان وتضاريسه تعترض تلك الحركة، لتتجلى صور مكانية بحلقات سردية متعددة بدءًا بنجد ومرورًا بالكوفة وبغداد وديار مصر وما لحقها من محطات الرحلة وانتهاء بلحظة الوصول إلى إشبيلية.

وفي تلك المحطات المكانية تجلت صور جزئية للمكان (البيت المهجور) إذ كان لتلك الجزئية أثر على الشخصية المحورية (مالك) " حين أشرق الفجر وبانت الدنيا. رأيت رابية قريبة منا. يربض فوقها بيت مهجور، تظلله شجرة متداعية. لا أعلم من بنى هذا البيت وسكنه، في هذا القفر الموحش" (الرواية :53)، جاءت هذه الصورة الجزئية للمكان لتبوح بكم من التساؤلات الافتراضية التي تتزاحم في ذهن الشخصية الرحالة، تناسلت من طبيعة المكان، وهي تساؤلات جاءت بفعل غياب العوامل التي تحقق وظيفة المكان الطبيعية على المستوى النفسي والمعيشي لقاطنه كون الصورة مفعمة بالوحشة والخوف، مما يجعل المتلقي يرقب شخصية الرحلة(مالك) حين قادها فضولها للبحث عن إجابة لتساؤلاتها الافتراضية، فإذا بها في مواجهة شبح لم تتضح ملامحه، لينتهي المشهد بالطرد والوعيد "هيا اخرج من البيت ولا تعد هنا مرة أخرى " (الرواية: 55). وهذه الصيغة السردية التي تحمل معاني العبور القسري (اخرج، ولا تعد هنا مرة أخرى) تفضي في ظاهر الصورة السردية للمكان إلى إسدال الستار عن تلك الصورة الجزئية باعتبارها صورة عابرة تتلاشى بفعل طقوس الرحلة وطبيعتها المتحركة باتجاه فضاءات مكانية أخرى، وكأن الشبح المتخيَّل قد يكون من الأمور المتوقعة في البيوت المهجورة إلا أن هناك قيمة سردية للصورة اقتنصها السارد من الملامح القائمة على المشابهة "لكني رأيت في قسماته ملامح من المزني الذي أتى إلينا بالأرغفة والتمر فجر اليوم"(الرواية:56). إذ تذكي ملامح الشخصية المتخيلة (المزني) أكثر من موقف سردي بدءا بتتبع شخصية المزني في واقع

الرحلة (الرواية :56، 57) وانتهاء بملامح الدهشة والحيرة التي تلبست شخصية الرحلة (مالك) " لم يكن لي بد سوى أن أعتلي الناقة بين دهشتي الحائرة وتساؤلي العقيم الذي لم أجد له جوابا " (الرواية : 58) أي أن تلك الثيمة قامت بأكثر من وظيفة ، فعلى المستوى السردي أسهمت بفتح نوافذ سردية متعددة أهمها، ان الصورة الجزئية للمكان تعالقت مع فضاءات مكانية أخرى كما أبانته الصور في خارطة الرحلة ، وعلى المستوى النفسي تتحول الصورة المكانية إلى كابوس يلاحق شخصية الرحلة (مالك) في صحوها ونومها ، حتى أنها مثلت سِفْرا نفسيا تستحضره شخصية الرحالة لتفسير ما حدث في الرحلة .

2-3- الصورة الرحلية بين الصراع الحسي والمتخيَّل:

لم تخل الرحلة من صور الصراع، خصوصاً تلك المَشَاهد الرحلية التي تتسم بالتوترات التي طالت شخوص الرحلة.

تلك الصورة التي تتسم بالصراع جاءت على مستويين الأول الذي يفضي إلى المواجهة مع الآخر، بحيث يخوض أطرافها صراعاً حسياً ينتهي بانتصار أحدها على الآخر، فيما المستوى الثاني يمكن أن نطلق عليه الصراع المتخيَّل، وهو الأشد خطورة كونه يلازم الشخصية الرحلية (مالك) من الداخل حين يستحيل إلى كابوس يلاحقها. فقد تجلى الصراع الحسي من خلال إدراك شخصية الرحلة (مالك) أن ثروة (العَمَّة) تتعرض للسلب والابتزاز بدافع الطمع (الرواية :33) وهو ما دلت عليه إيحاءات التوتر الظاهرة على سطح النص الماثلة في عدد من الجمل منها: (كان وجهي قد تغيرت ملامحه / بان انفعالي / قمت واقفا أفور من الغضب) تلك التوترات مهدت للصراع الحسي فكان حدث العراك بين شخوص الرحلة (مالك/زياد) أحد نتائجه (الرواية : 34).

هذا(هذه) التوترات التي يرقب فيها القارئ الصراع الحسي (العراك) جاءت لتجسد الصورة في الواقع كما هي بدون رتوش سيما "حين تكون المرأة عرضة للابتزاز" (الرواية : 20) فكانت صورة (التوترات) بلغتها المرئية المتمثلة بالانفعالات الطافحة وحركة اليد الدالة على استخدام القوة (العنف) " وضعت يدي في عنقه " والحركة المضادة التي تسعى إلى الإفلات "اترك عنقي"(الرواية : 34- 35) تمثل صورة من صور الصراع الحسي .

لقد مثلت هذه الصورة القائمة على الصراع الحسي نقطة البدء في السرد، فلم ينشغل السرد الرحلي بالتقاط صور تحيل إلى دهشة الشخصية الرحلية بطقوس المكان (مكة) وفق توقعات قرائية كونها الزيارة الأولى لشخصية الرحلة (مالك) "كنت أحلم بزيارة مكة "(الرواية: 11) وإن وردت في حدود ضيقة، بل إن تلك التوقعات رُحِّلتْ إلى صفحات لاحقة (الرواية :26، 27) مما يوحي بتحديد مهمة الرحلة وموضوعها الأساس " لقد أرسلنا والدي إليها لمراعاتها بعد وفاة زوجها" (الرواية :10) فكان الصراع مع الآخر لضرورة موضوعية. فالصراع يسوق موضوعاً اجتماعياً يتعلق بواقع المرأة وطبيعتها في بعض المجتمعات، كما تفصح عن غياب مدلول العبارة (حفظ الحقوق) إذ تأتي مراجعة دفاتر الحساب الذي مثل بؤرة الصراع الحسي، لإبراز فجوة التعاطي مع المرأة في الواقع مما يجعل المتلقي يستحضر تساؤلا مفاده ماذا لوكان صاحب المزرعة رجلا؟

وفي مشهد رحلي آخر يتجلى صراع مبهم لم تتضح معالمه، أفصح عنه التشابك بالأيدي... حين وصل الصراع إلى أعلى مستوى كما يتضح في هذه الفقرة الصورة الوصفية " تقدم أحدهم ووضع يده على عنق الآخر من الفريق الثاني... بينما قام رفيقه وأخرج سلاحه، ووضعه في خاصرة الضحية، فخر قتيلا، وبكل صفاقه حمله الاثنان ورمياه في البحر " (الرواية: 158). يكشف هذا المشهد عن صورتين متضادتين للصراع، الأولى الصورة الافتراضية التي كان يجب أن تكون باعتبار وسيلة الرحلة (السفينة) تمثل أحد مصادر الألفة لشخوص الرحلة وهي الصورة الغائبة في السرد، والثانية تتصف بالتوحش وهو ما أفصح عنه خط الصراع حين انتهى بالقتل. يتسم هذا المشهد بالضبابية فلم يجد المتلقي معالم واضحة لاستكناه ملامح صورة الصراع الحسي، بل تجلت بملامح مبهمة غير واضحة، فقد اكتفت الصورة بوصف طرفي الصراع بالفريقين. غير أن ثمة مقاربة لقراءة الصورة عبر استرجاع مشاهد سابقة يمكن أن نطلق عليها التسهيلات التي قدمها النص لقراءة الصورة الرحلية، فالضبابية التي اتسم بها أطراف الصراع تمثل لقطة واقعية جاءت بإملاءات مكانية وزمانية، فالسفينة باعتبارها فضاء مكانيا عاما، فضلا عن طبيعة البحر الذي يتقاذفها ليلا، مهد لتلك الضبابية، وهو ما تؤكده الفقرة السردية التي أفصحت عن بعض شخوص الرحلة "كان ركوب الشحاذين واللصوص وأشباه المجرمين، اختراقا مخزيا لقوانين السفن.."(الرواية : 157-158) زد على ذلك أن تباعد

اللغة والتواصل المقطوع بين شخوص الرحلة (الرواية: 158) يفضي بالصراع القائم على نزعات عنصرية .

وثمة صراع يغلب عليه الطابع النفسي وهو ما يمكن تصنيفه بالصراع المتخيَّل، خصوصا في المشاهد الرحلية التي تجلت فيها شخصية (المزني) .

لقد مثلت صورة البيت المهجور باعتباره فضاء الشخصية الشريرة المتخيلة (المزني) أيقونة الصراع المتسم بالبؤس والعذاب بكل معانيه أي إن الصورة الرحلية لجأت إلى تصوير المشهد الذي يجمع بين (مالك/ والمزني) ليفتح نافذة ثقافية وفق ما يعرف بقاموس الذاكرة الشعبية (مخاطر دخول البيوت المهجورة) وهو ما حقق نوعا من الإسقاط الأسطوري لصراع الشخصية الرحلية . ولم يغب عن لغة الصورة الإيحاءات الدالة على سعي الشخصية الرحلية (مالك) للخلاص من المحن المتواصلة التي ظلت تلاحقه بدلالة تضمين الصورة لبعض من وسائل الخلاص "كقراءة بعض من آيات الله ، أو تجاهل الصراع المتخيل " (الرواية : 67 -70) إلا أن تلك المحاولات كما تظهره صورة الصراع الرحلي للصراع يصطدم باستمراره في خارطة الرحلة منذ لحظة دخول البيت المهجور في الفصل الأول إلى خاتمة النص في الفصل الرابع ويبدو أن المواجهة بينهما والمتمثلة بحركة اليد " ضربني على ظهري " (الرواية : 55) مثلت تيمة بنائية أسهمت بعطاء سردي للصراع الرحلي ، وهو ما يؤكد ما ذهب إليه "إسلن" الدراما حركة تمثل سلوكا إنسانيا، والجانب الحاسم هو التركيز على الحركة(إسلن:1987: 15) وكأن الحركة الدالة على العنف "ضربني على ظهري ضربة قوية"(الرواية : 55) قد أضفت على الصراع الرحلي درامية ممتدة .

ويبدو أن الصورة التي ظهرت بها شخصية (مالك) تنبئ من حيث هيئة الاستسلام تجاه الشخصية المجهولة " ضربني مرة أخرى ... وددت حينها أن ألتفت إليه لأرى وجهه. لكني خفت أن يكون سلاحه في ظهري"(الرواية: 55) . عن البناء النفسي لشخصية الرحلة من حيث سجيتها المسالمة، فهذه الملامح وإن أضفت على الصورة إيحاءات المآسي المرتقبة، فإنها تشي إلى جهل شخصية الرحلة (مالك) بما تحفل به الذاكرة الشعبية تجاه الأماكن التي يقنطها عالم الجن.

لم تتشكل الشخصية الشريرة المتخيلة بالصورة التي ارتسمت في الذاكرة الشعبية حين تتحول إلى صورة الحيوان كالقط أو الكلب الأسود، إذ نجدها تتجلى بملامح شخوص الرحلة المرافقة بدءاً بملامح المزني ، ومروراً بشخصية (عامر) وانتهاء بملامح أحد أمراء إشبيلية، تلك التشكلات المتخيَّلة جاءت في ظاهر النص لتحقق وظيفة سردية تسمح بتشكيل عدد من الصور الرحلية ، كما أنها تمثل تيمة استدراجية أوقعت الشخصية الرحلية في شباك البؤس والمعاناة ، فجاءت الصورة مؤثثة بأحداث رحلية تحركها هواجس الذات الباحثة عن وسائل دفاعية باتجاه صد الأفعال الشريرة، إلا أن تلك الصورة ترتطم بتحركات لم تكن في الحسبان، فالشخصية الشريرة في تقلباتها، تصنع تحولا في الصورة إذ نجدها في خاتمة النص (نهاية الرحلة) خصوصا في المشهد الرحلي حين تختفي الشخصية الشريرة المتخيلة لحظة قدوم أحد أمراء بني عباد(الرواية : 244) فالاختفاء المفاجئ زاد من حدة الصراع المتخيل وهوما يدل على وعي تصويري، فهذا التحول القائم على الاختفاء مثل إرهاصا إشاريا للنهاية المفتوحة ، إذ يأتي الإفصاح بالهزيمة والانكسار عبر مونولوج داخلي معللا مسبباتها حوار الذات المفعم بالندم كقوله: " كان حريا بي أن أصغي لابن عامر ، لا أعلم لمَ أفتح قلبي بسرعة وأثق بالآخرين" (الرواية: 217) "...اختلطت علي الأمور وزادت هواجسي..."(الرواية: 245) لتفجير بؤرة نفسية جديدة جسدتها الصورة المفعمة بالندم، فكانت بعض الألفاظ الواردة على لسان الشخصية الرحلية " جدل صعب يعذبني تصلب جسدي كله ، ولم أنتبه إلا وأنا بين ذراعي ابن عامر ،أبكي سماحتي وطيبة قلبي"(الرواية : 248) تمثل إضاءة للصورة المتحولة ، مما يكاد يقربها من شخصية (ونوس: 1978.)الذي كان يمثل دور الإنسان الصادق الذي يعيش على فطرته وسجيته حد السذاجة(البشتاوي:2004: 82).وهو ما جسد الأفعال الشريرة للشخصية المجهولة.

3- جماليات الصورة الرحلية:

بالرغم من الصورة السوداوية للرحلة كونها اتسمت بالمعاناة والبؤس إلا أنها لم تخل من إيحاءات جمالية، فهناك الكثير من الإيحاءات الجمالية التي يسوقها السرد الرحلي في سياق الصورة ، وهي لا تقف عند حدود الشعور بالجمال الطبيعي للكون على مستوى بناء الصورة فحسب ، بل قد تضفي –أحيانا - طابعا من الطرافة أثناء القراءة ، تلك الإيحاءات توحي بـ"

وحدة العلاقات التشكيلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا(العميدي،2014م: 23) ومن استقراء الصورة نجد إيحاءات جمالية متنوعة كالإشارات التراثية والانفتاح على الأنواع الأدبية الأخرى لأن بها من الشعر والمسرح ...الخ ، وهو ما أضفى على الصورة الرحلية طابعا جماليا.

3-1- توظيف الإشارات التراثية:

ثمة عناية بتوظيف بعض الإشارات التراثية في الصورة الرحلية، إذ جاءت نابعة من شخوص الرحلة، سواء كانت فرحا أم ترحا أم تأملا لجمال الطبيعة، ففي إحدى الصور تتجلى إيحاءات تراثية منها:

-أهازيج السفر "ياحادي العيس" (البردوني:1995) فثمة تعالق جلي بين مضامين الصورة الجمالية المكتنزة بالجمال كما يجسده السرد الذي يصور حركة القافلة ، وما يصاحبها من مشاعر مرتقبة لمحطة الوصول ، ليأتي الموال الافتراضي الذي اكتفى السرد بمفتاحه "ياحادي" ليظهر طبيعة الرحلة وقسوتها ، فإذا كانت الصور المعبرة عن الرحلة قد تجلت مثقلة بالمتاعب والأنين ، فإن اقتران الصورة بإيقاع الموال تفضي إلى أحاسيس مفعمة بنشوة السير، مما يبدد من المخاوف التي تجتاح شخوص الرحلة ، زد على ذلك أن له طابعا نفسيا حين تفوح منه معاني الأمان ، فقد تجلت معانيه النفسية عبر الصورة الوصفية التي شبهته(موال السفر) باللؤلؤ المنظوم (الرواية :50) وهو ما يوحي بتجليات نفسية تتسم بالهدوء والسكينة وإن كانت تلك المشاعر لحظية(آنية) سرعان ما تزول .

الملاحظ أن الأهازيج المتجلية عبر الأثر النفسي لشخوص الرحلة ، وإن لم ترد بمكوناتها اللفظية(البنائية) لم تقتصر على الوظيفة المتداولة في الذاكرة الشعبية حين تسهم بالتخفيف من العناء الحسي للسفر فحسب ، بل أنها تؤدي وظيفة أخرى على المستوى النفسي لشخوص الرحلة حين تفصح دلاليا عن تلاشي مشاعر القلق تجاه الرحلة ومخاطرها، وهو ما تؤكده حالة الانتشاء المتخيلة المستوحاة من الصورة السمعية للموال كما يتضح في هذه الفقرة " ...أقبل الليل ..يشقه صوت الحادي ، وهويغرد بترانيمه التي تطلي القلوب بنغماتها وتذيبها ..كانت الدنيا تتأرجح على نغمات الحداء الجميل .كأني على ظهر فرس يجوب الفيافي ، يبلله ظل السحر .فأغيب عن الناس وعن الوجود" (الرواية : 144، 145).

ويتجلى الإحساس بأنين السفر عبر حركة عبور ممتدة زمنيا بدلالة الانفعالات الضاجة بثقل الزمن كما في هذه الفقرة "يا لها من ليلة طويلة تمتد وتغني برفقة القمر ، وتشتاق للفجر الوليد"(الرواية :145) يصاحبها صوت الحادي حين يصدح بأهازيج السفر فتأتي حركة عبور القافلة لتشكل علامة فارقة في حياة شخصية الرحلة فلم تعد المشاعر كما كانت في السابق ، بل هو إيحاء بانطلاقة نحو فضاء مفعم بالطمأنينة والأمل، وهو ما دلت عليه الصورة الملتقطة لمحطة الرحلة كما يتجلى فيهذه الفقرة " وفي اليوم التالي حطت القافلة في محطتها الأخيرة للراحة ..."(الرواية : 145) .

الملاحظ أن هناك حالة شعورية متبدلة تختلف عن الصور السابقة حين تصف تفاصيل الراحة عبر صور جمالية حسية مستوحاة من هذه الفقرة " ..كانت تتدفق كالألحان أو كالنسمات التي تتسرب بين شجيرات الغاب ..رجعنا إلى أماكننا ، ونحن نتغنى بطيب الطعام ، إلى أن هاجمنا النعاس بعد خدر السكر. فسلمنا الأمر له ونحن في منتهى السعادة "(الرواية : 146) هذه الصورة تنبئ عن مراعاة فنية لحالات النفس الرحلية ، فتلك الصورة مثلت بارقة أمل لدرامية الرحلة.

كما نجد إيحاء تراثيا يتسرب من جزئيات الصورة الجمالية تضع المتلقي قبالة العادات الرمضانية لأهل الشام، فتشكلات الصورة التي طالعنا بها "المطبخ الشامي" (الرواية:146) تجرنا إلى تراث الشعوب.

ولم تغفل الصورة استلهام بعض جزئيات الثقافة الشعبية، كونها تمثل مرتكزات الصورة الرحلية وجمالياتها، إذ تتخللها بعض الجزئيات كالمعتقدات والتقاليد والممارسات الشعبية، فبعض الإشارات التراثية حققت وظيفة دلالية كونها جاءت في سياق يجسد حالة التوتر ، فكان لها وقعها النفسي ، زد على ذلك أنها مثلت لوحة جمالية تستثير مشاعر المتلقي كونها تحلق به في أجواء تعود به إلى ما يُعرف بالتطير أثناء السفر (حداد : 2009: 101) .

وثمة صورة تسربت من فضاء الرحلة (رصد النجوم) ، للكشف عن العادات الاجتماعية وما يُمارس أثناء السفر لوضع المتلقي أمام الصورة الواقعية (التراثية) فيما استقر في الذاكرة الشعبية و التعاطي مع زمن السفر ، فضلا عن الإفصاح بصفاء المعتقد الديني (الإسلامي) بدلالة الكلمات المفعمة بالتوحيد والتسليم بقضاء الله وقدره .

كما نلمح جزئيات التراث من خلال طبيعة الملابس والأزياء كتلك الصورة المتجلية في هذه الفقرة " لقد تحرر الشرق من العمائم وأوجع قلبي. فلا يلبسها إلا شيخ أو تاجر أو طالب علم لا تبقى الدنيا على وتيرة واحدة" (الرواية: 183) وهو إيحاء بتبدل الصورة.

إن التعامل مع تلك الجزئيات التراثية لا يستدعي البحث عن عوامل ظهورها كأن تقتصر دلالتها لتكون علامة لتعريف المتلقي بتراث الشعوب بقدر ما يمكن الكشف عن وظيفتها بنيويا وعلاقتها بأبعاد الصورة، فصورة العمامة تمثل معادلا موضوعيا للقضية المطروحة (الماضي المنفلت) وهو ما أفصحت عنه المشاهد الرحلية التي أبانت عن صراع الأفكار والمعتقدات، فالملبس التراثي قد يكون دالا مرئيا نستوحي منه دلالات متنوعة كونه يخلق تفاعل في الأفكار ويعمق الإيحاءات الدالة على الواقع وتعقيداته.

وفي سياق آخر نجد الحكايات والقصص تقوم بوظيفة دلالية تجاه الرحلة لا تقل في دلالتها عن التوظيفات التراثية الأخرى في التخفيف من وطأة الرحلة ومتاعب السفر، إذ نجد تلك الدلالة متجلية من خلال الصورة الوصفية لمحطة الرحلة الماثلة في هذه الفقرة « جلس المسافرون للراحة قليلا ، جاء فريق المغاربة ليأنس معنا . يحكون لنا حكايات تشرح الخاطر وتريح البال حكايات كلها عن الأبطال والجنود والشعراء والملوك، وعن المقاتلين الذين يخوضون المعارك، لكنهم ينتصرون في النهاية. ومن لا يحب قصص الفرسان والعاشقين "(الرواية :122)

ان التوظيفات القصصية التي وردت في الصورة الرحلية ؛ لم تظهر كنص محكي مما يسهم بخلق ما يعرف بالمشاركة الوجدانية لشخوص الرحلة على مستوى التلقي ، إلا أن الإشارة الموجزة لمضامينها قد أفصحت عن تلك المضامين ، لأن هَمَّ النص يتركز على إيصال الصورة بمكونها الفكري أكثر من الاهتمام بتفاصيل الحكاية .

ولم يغب عن الصورة الرحلية توظيف الشواهد الشعرية المستوحاة من التراث الشعري القديم ، وهو ما يتسق وطبيعة المكان الرحلي حين يكون نافذة نستحضر من خلالها الصورة التي رسمها الشاعر القديم (السرجاني : 2011 : 160) وحضور الشواهد الشعرية في النص الروائي الرحلي ،لا يعني انفتاح الصورة على التضمينات الشعرية بدون وعي، بل أن ذلك

التضمين يجسد معاني الرحلة وفق ثنائية الشوق والوحشة، وهو ما يمكن إدراكه عبر مشاعر قائمة على التأمل والاحتراق .

فمن تأمل لحظة الاستحضار الشعري لهذا البيت :

يا نخل أنت فريدة مثلي في الأرض نائية عن الأهل (الرواية : 59) ، وإن كانت تختلف زمانا ومكانا كونها تحيل إلى الشعور بالوحشة ، فإنها تحيل إلى بريق الخلاص من عتمة المكان ، وماورد لا يكاد يخرج عن رصد انطباعات تقتضيها عدسة الرحلة أثناء السير وفق ما يعرف بالمعادل الموضوعي ، فتضمين الشعر في هذا الموضع السردي ، يجعل المتلقي يستحضر ممارسات الشاعر الرومانسي وهروبه من الواقع المر، فمن خلال الوقوف على بعض الجمل السردية التي فاهت بها شخوص الرحلة (مالك / نجم) ومنها قوله: "وما البعد إلا نار في القلب يا صاحبي حتى ولو تدللت بملك قارون" (الرواية :59) يتضح أن شخصية الرحلة (مالك) تشعر بغربة نفسية طاغية تغذيها طقوس الرحلة بما فيها من تقاطع في الأهداف والقناعات ، فشخصية الرحلة تجد في الشعر ملاذا كنوع من المواساة لمرارة الرحلة ومآسيها ، وهو ما ترجمته الصورة الزمنية للرحلة حين يتناشدون الشعر (الرواية : 59).

3-2- الصورة البلاغية :

بما ان النص الرحلي يتشكل في الغالب مما تلتقطه عدسة الشخصية الرحلية عبر تقنية الوصف التي تمكن المتلقي من الوصول للمعنى (ابن رشيق : 294) فلا غرابة أن نجد حضورا للصور البلاغية من تشبيه ، استعارة ... في الصورة الرحلية الموصوفة .

إن المتأمل للصور البلاغية الواردة في النص يلحظ، أنها من حيث الوظيفة السردية لم تقتصر على إضفاء الطابع الجمالي للصورة الرحلية فحسب، بل جاءت لتستجيب –على المستوي النفسي- لحالات شخوص الرحلة فرحا أو ترحا مما يسهم بالتخفيف من عناء الرحلة وآلامها. ومنها الصورة الاستعارية الماثلة في هذه الفقرة السردية "أشرق الفجر بنوره اللؤلؤي، امتد في الآفاق البعيدة بعد أن سحب بساط الليل "(الرواية :92) إذ تشي الصورة اللونية للفجر بلونه اللؤلؤي بحالة اشتجار بين ثنائية (الليل) الرامز للوحشة و(الفجر) الرامز للبهجة، لتنتهي تلك الحالة عبر توظيف الألفاظ التي منحت زمن الفجر ملامح القوة (امتد، سحب)

بتموضع زمني (للفجر) وهو ما أضفى على الصورة الرحلية تجسيدات خلابة بما تحمله من إيحاءات جمالية تتضاد دلاليا مع الصورة الزمنية لليل.

لقد تلوّنت الصورة الرحلية بلون المشاعر والانفعالات، إذ نجد تركيزاً على عنصر الزمن ؛ مما جعله ينهض بإيضاح طبيعة الرحلة، فزمن الليل بتجليّاته الموحشة ، يقابله زمن الفجر ببريقه وجماله ، فيأتي توظيف الصورة الاستعارية لتمنحه ملامح الطائر بحركته البديعة التي تتشكل ذهنيا كصورة في مخيلة المتلقي جسدته هذه الفقرة "بدأ الفجر يرفرف على نوافذ الخان ..ينشر غبار أنواره الرقيقة "(الرواية :200) إذ نلحظ في هذه الصورة تحليقا خياليا لحركة الزمن كونها (الحركة) تمثل ملاذا للشخصية الرحلية، فخلفياتها مستوحاة من هواجس نفسية زمنية تتظلل بمشاعر الإحساس بالرتابة والتوق إلى لحظة حط الرحال (الوصول) فالفجر وإن كان يمثل حلقة من حلقات زمن الرحلة وفق المعنى التقويمي التعاقبي للزمن ، إلا أن الدلالة الحركية المستوحاة من الأفعال (يرفرف ، ينشر) كان لها الأثر السردي في تحقيق حركية الصور داخل النص .

وتكتسب الصورة الرحلية خصوصية بلاغية عبر تعالقات زمانية ومكانية تتلون بلون انفعالات الشخصية الرحلية ، فصورة الطبيعة وإن كانت تمتلك وجودا واضحا في الذهن ، إلا أن هناك تجسيدات يدركها المتلقي دون عناء ، كالصورة المرئية للنخيل" أنزلنا رحالنا ، بعد أن تعافينا برؤية النخيل وهو يرصع البر بخضرته اليانعة "(الرواية :106) فالصورة تكشف عن تناغم بين لون النخيل ومشاعر الشخصية الرحلية ، أي أن الصورة المستعارة للنخيل وهو يلون البر باللون الأخضر تبوح بملمح نفسي متبدل فالمشاعر المتشظية التي ارتبطت بزمن الليل تلاشت بفعل دلالة اللفظ (تعافينا) وهي إشارة لمعاني الهدوء والسكينة وإن كانت لحظية. وفي موضع آخر تتجلى الصورة التشبيهية الواردة في سياق الوصف " بزغ ضوء الصباح بعد مطر الليل، جميلا. كأنه مطلي بالزبدة. كان نديا وذا رائحة مختلفة.. .."(الرواية :160) إذ تتبدّى من تلك الصورة التشبيهية التي شبهت بزوغ ضوء الصباح بالزبدة ، سلسلة من الصور الحسية المتجانسة وجميعها (البصرية، الشمية، الذوقية) بدلالة الألفاظ (مطر، ضوء، زبدة، رائحة) تجسد معاني الجمال المحسوس وهي ترجمة لمشاعر مستوحاة من الطبيعة الرحلية.

لقد أسهمت الصور البلاغية الماثلة في النص في الكشف عن مشاعر شخوص النص في رحلتهم ، فلو تأملنا سياقاتها، لتبيَّن أنها في ظاهر النص مثلت لوحة تشكيلية ، هدفها التخفيف من وطأة الأوجاع التي تجتاح شخصية الرحلة (مالك) من الداخل ، فضلا عن أنها تمثل نافذة لانسياب صور السرد الرحلي وتدفقه وهو ما يتآزر مع وظيفة الصورة الرحلية بنائيا، فحين يقف المتلقي على الصورة الوصفية التي طالعتنا بها شخصية الرحلة (مالك) وهو في طريق العودة إلى إشبيلية كما تطالعنا هذه الصورة " حتى القمر أحيانا ، تحجبه غلالة رقيقة ، من سحابة فارة من رفيقاتها..."خفت أن تهجم على القمر الصيفي الجميل، وتفترس شعاعه"(الرواية :115، 108) نلحظ رصدا لحالات النفس ومخاوفها من تبدد الجمال المرئي .فصورة القمر الواردة بلون الصورة الاستعارية حين تجلَّت ككائن يخوض صراعا مع الآخر، لا يعني اقتصارها على مد النص بملمح جمالي باعتبار أن الصورة الملتقطة سرديا تشع بإيحاءات السكينة والطمأنينة كونها تقترب من عدسة الواقع المرئي لطبيعة السماء بجمالها لحظة صفائها، بل أنها -أيضا - تبوح بحالة القلق المتزايد مما يجعل المتلقي في ترقب مستمر لحالة الشخصية الرحلية، واشتجارها مع عناصر الطبيعية الأخرى ومنها(السحب ، والعواصف الرملية) مما يعزز اتساع دائرة القلق والخوف من القادم المجهول ، فضلا عن الصورة الضدية (الطباق) المستوحاة من صورة القمر التي تتنازعه ثنائية (الظهور /الحجب) "لشدة الريح .تكالبت غيوم متوسطة على القمر " (الرواية :155) وجميعها شكل حلقة نابضة بمشاعر وأحاسيس ملتاعة تشد المتلقي باتجاه مآلات الرحلة ونتائجها .

3-3- التقنيات السردية:

يُقصد بالتقنية الطريقة أو أسلوب الأداء، بحيث يطوع النص بمفرداته المكونة له لتكون وسيطاً تعبيرياً مترجماً للمشاعر والأحاسيس مما يؤدي إلى تحقيق المضامين الفلسفية الكامنة وراء العمل الفني وتجسيده (عبدالكريم، أحمد:2007م: 52-53)، ومن أهم تلك التقنيات:

3-3-1- تقنية الصمت:

قيل عن الصمت أنه نقيض الكلام، وبقدر ما تتمتع به الكلمة المنطوقة من قوة، فإن الصمت أحياناً يتجاوز قوة الكلمة ويصبح أبلغ في توصيل الرسالة. وهناك صور رحلية كانت عبارة عن تأملات صامتة جاءت في مواقف تتسم باستشراء الحزن بصور متعددة ، مما يعكس

معنى العبارة "الصمت هو قلب كل شيء..."((نندا: 2001: 93) فعودة الشخصية الرحلية (مالك)، لفقدانه لأبيه(الرواية : 173) ألقى بظلاله على مشاعر شخصية الرحلة كما يتضح في هذه الفقرة : " لا أفهم سر ذلك الهدوء القاتل في مدى البحر البعيد وسر الطقس الذي كان يرمي ثقله في تلك الأصقاع ...شيء ما من هذا الصمت الرهيب ، كنت أحسه في سكون البيت .."(الرواية : 173) تلك الصورة الصامتة تبوح بمعان عدة ، فعلى المستوى السردي، تتجلى صورة باهتة كونها تتسم بالجمود والخواء ، مما يشي بأن سردية الصورة وصلت إلى نقطة صفرية أو كأن خط السرد قد توقف عند تلك اللحظة (العودة) وعلى المستوى النفسي : نجد أحاسيس مضطربة كان من نتائجها الصمت المطبق، فشخصية الرحلة لم تعد تسيرها الأقدار، بل أن هاجس الوهم هو المسيطر على شخصية الرحلة ، فما من صورة لا تروق لشخصية الرحلة إلا وتنسب إلى الشخصية المتخيلة "ابن مزينة" (الرواية : 238) مما كرَّس التباس الرؤية وضبابيتها، فصورة الصمت وشيوعه في موقف يتطلب الفعل الكلامي يكاد يناوش قوة الكلام(ناصف: 2000: 172) ومردود ذلك توقعات شخصية الرحلة بالأحداث الفاجعة.

وتأتي الصورة التي كادت أن تجمع بين أحد أمراء إشبيلية والأمير الوهمي.. (الرواية : 243) لتكون نافذة للإرهاص بمسكوت الصورة ، فلحظة الصمت الدالة على الصدمة والذهول" كنت صامتا أسمع الحوار بينهما، مشدوها بما حدث، ذهبت إلى فراشي، ولم أنطق حرفا واحدا" (الرواية :244) لها وقعها في بنية الصورة ، يقول مارتن إسلن مؤكداً ذلك "ليست الكلمات هي المهمة، بل الموقف الذي تقال فيه (إسلن : 49).

إن موقفا كهذا حين يختفي الأمير فجأة ! يقتضي الصمت فكان" أبلغ في الدلالة من الحديث الاعتيادي (عبدالوهاب:2007: 114).

قد نشعر في التشكيلة السردية للصمت إيحاء بتلاشي المعرفة وفق توقعات متحققة، غير أن نظرات الأمير التي توزعت على أكثر من اتجاه تبوح بحالة استغراق تكتظ بتساؤلات مفعمة بالحيرة والالتباس ، مما يتراءى للمتلقي أن الأسئلة المقلقة التي كانت تشغل ذهنه في مشاهد سابقة للبحث عن إجابات مقنعة قد وجِدت مفاتيحها عبر صيغ الصمت المتنامية التي أكدتها الصورة ، وهو ما يدل على إسدال الستار عن التعبير اللفظي في المواقف التي يعجز فيها عن

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الكلام (أبو الرضا: 1981: 39) فجاءت حالة الإعياء لتجسد حالات الصمت الملتبسة والمفتوحة ، مما يشي بأن معرفة حقيقة الصورة ما يزال بعيد المنال .

3-3-2-تقنية الصورة المسترجعة:

يوظف النص تقنية استرجاع الصورة (Flash Baok) (وهبة : 1979 :172) عبر نمطين، الأول: حين تجلت صور مسترجعة مجتزأة من مسار الرحلة ، فيما جاء النمط الثاني غير مجتزأ أي إنه ورد في سياق ذهني يلبي مواقف معينة للصورة ، مما أبعد النص عن الترهل والتكرار، وهو ما يمكن ان يطلق عليها صور الإحالات الرحلية التي تأتي من داخل النص وخارجه.

فمن تأمل النمط الأول ؛ نلحظ أنه تشكل من عدة صور وكلها جاءت عبر قرائن مرئية منها: ما يقترن بحدث مرئي كالصورة التي استحضرتها الشخصية المحورية (مالك) في الفصل الثاني بدلالة صورة الذكرى المستحضرة كقوله: "أتذكر جيوش النمل وهي تمر على ثيابي في البئر.."(الرواية :116) وكذلك الصورة المستوحاة من ذاكرة البيت المهجور كقوله: " ...في ذلك اليوم الأسود الذي لقيتك فيه .."(الرواية :134) تلك الصور المستلة من صور سردية سابقة لم تقتصر وظيفتها على خلق روابط سردية وفق ما يمكن تسميته بتداعي الصور فحسب ، بل جاءت في سياق يخدم بناء الصورة الرحلية لتجسيد توترات مفعمة بالقلق جاء بعضها بفعل ظروف عارضة للرحلة ، فكانت تلك الصورة نافذة للذاكرة المشتركة التي تجمع بين هواجس اللحظة الرحلية الآنية ، باللحظة الماضية سرديا.

الملاحظ في بعض مواضع السرد ، أن بعض الصور الرحلية المسترجعة لم تكن ماثلة سرديا كحال الصور المسترجعة في الشواهد السابقة ، فهناك صور مسترجعة ذهنيا تجلت وفق متخيل أفقي يقوم على الذكرى العالقة في الذهن ، فحدث موت الأب في الصورة الرحلية التي وردت في الفصل الأول (الرواية :15) أسست للصورة المسترجعة للطفولة كما في الآتي: " حلقات الدين التي عودني أبي –رحمه الله- على حضورها عادت إلى ذاكرتي .."(الرواية : 104) كما أن تلك الصورة لامست لحظات زمنية مرتقبة وهوما يسمى بالاستباق في السرد " تذكرت أبي رحمه الله ،وتزاحمت ذكراه في قلبي ، أغمضت عينيّ عليها تصورت وصولي إلى إشبيلية ، أدخل البيت وحيدا ..."(الرواية :96) وهو ما تجلى بوضوح في صورة الوصول " حين وصلت إلى داري في إشبيلية ، وقفت أمام الباب كالغريب . فحس أبي قد خلا من البيت ...كيف أدخل وأبي ليس

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

هنا ..."(الرواية :172). وهو استرجاع جاء بإملاءات مكان الرحلة وزمانها ، فالشعور باقتراب محطة الوصول (إشبيلية) أذكى أحاسيس ووجعا كان متواريا ، مما يفضي إلى توقعات بمحطة الرحلة الأخيرة الرحلة حين تنتهي بالعودة ، غير أن ثمة وعيا بخيوط السرد ، فثيمة الأمل التي طالعتنا في بدء النص " سأفتح دكانا ..."(الرواية ص71) أسهم بخلق حلقة رحلية أخرى ، فكان قرار الرحيل إلى قرطبة (الرواية :174) يمثل نتيجة طبيعية لصور سابقة ، فضلا عن أنه مثل صورة متجددة تسهم في مقاومة الأوجاع التي اتسمت بها الرحلة .

3-3-4-غرابة الصورة:

اتسمت بعض الصور بالغرابة، كالصورة التي تجلت بها الشخصية المجهولة في البيت المهجور (الرواية :53) إذ تظهر الملامح المرئية لشبح الصورة الموصوفة كما في فقرة " رأيت في قسماته ملامح من المزني الذي أتى إلينا بالأرغفة والتمر، فجر اليوم. تدلت منه خصلات رقيقة على جبهته، زادت من شكوكي... " (الرواية :56) حيرة طاغية دل عليها المنطوق الوصفي للصورة الوارد عبر الحوار الداخلي المفعم بشكوك شخصية الرحلة (مالك) لتتجسد عبر الغياب الذي وصل إلى درجة اليقين " وبعد جهد لم أجده" (الرواية : 66) لتنتهي الصورة بانشطارات متعددة تخلَّقت منها مواجهة مباشرة طرفاها شخصية الرحلة(مالك) دل عليه خطاب الذات : "وأنت ابن غدير الإشبيلي سليل الفاتحين ونسل طلاب العلم والدين؟" ..."(الرواية :130) فشخصية الرحلة المفعمة باليأس تصغي لصوت العقل والضمير، لينتهي الصراع بمقاومة اليأس؛ ليعود من جديد.

لقد ألقت نوازع الشر المستوحاة من أحداث الرحلة بظلالها على بنية الصورة الرحلية فلم تتجلَّ الصورة التي كان يتوقعها المتلقي ، كأن تظهر شخصية الرحلة بمظهر الهدوء النفسي والشعور بالأمان ، وهي إشارة مقصودة تضفي على الصورة طابع الغرابة ، فقد تُركت شخصية الرحلة (مالك) تتعذب بصمت دون أن تجد تفسيرا لما يحدث بدلالة أفعال الشخصية الضبابية المنشطرة (شبح البيت المهجور) فكانت الأقوال والأفعال المصاحبة للصورة على المستوى الخارجي توحي بأحاسيس ذات مغزى نفسي تمنح شخصية الرحلة ملامح تنفرد بها عن شخوص الرحلة ، فيما تظهر العبارة الواردة في سياق المشاعر الداخلية (المونولوج) " ..لم أمد يدي على إنسان أبدا، لا أملك سوى أخلاقي التي تجرني إلى المهالك، لو رميتك بالخنجر في

ذلك اليوم، كنت ستعرف خصمك جيدا، حتى وإن لم يصب الهدف "(الرواية: 134) لإبراز آلام الروح ، فكانت الصورة الرحلية في توظيفها لتكنيك المونولوج تعبيرا واضحا عن صرخات وتأوهات تعكس أحاسيس داخلية مفعمة بالتحسر والندم .

وثمة غرابة ملحوظة تجلت في أكثر من موضع، فالشخصية الوهمية (شبح البيت المهجور) من حيث ملامحها والدور الذي أسند إليها.لم تعد تلك الشخصية التي عرفت بأنماطها المعتادة التي ظهرت بها في البدء ، بل تجلّت بملامح مختلفة ،إذ يمنحها النص طابعا خرافيا حين تظهر بأقنعة متعددة (الظهور بملامح شخوص الرحلة) لتؤسس ملمحاً جديداً يختلف عما تواضع عليه مؤلفو النصوص الرحلية في بناء الشخصية المتخيلة المتعددة الأدوار.

إن الظهور المتعدد لتلك الشخصية (شخصية البيت المهجور) خصوصا حين تتعالق مع شخصية الأمير ؛ ألقى بظلال التوجس على شخوص الرحلة ، مما جعل المتلقي في مواجهة ضبابية تدفعه لتساؤلات عدة تجاه تلك الشخصية (شخصية الأمير) لم يجد لها إجابة .

وثمة ملمح آخر مفعم بالغرابة تمثل بتجليّات شخصية "الأمير" يكمن في غيابها المفاجئ والسريع؛ فهذا الغياب يبوح بأكثر من معنى منها: أنها أسهمت باستشراء الشر وبقائه طيلة الرحلة بدلالة تعدد مشاهد المعاناة التي استأثرت بمساحة واسعة من خارطة الرحلة.

ما يمكن قوله: إن الغرابة المتجلية في الصورة الرحلية لم تأت كنوع من إضفاء الطابع التشويقي فحسب، بل جاءت لتحقق وظيفة فنية تقوم على مصادرة التوقعات القرائية، ففي كل موضع رحلي ، تتجلى جملة من التساؤلات لدفع ذاكرة القارئ للتفكير بالمسارات الرحلية والتفاعل البناء في التفكير والتفسير برؤية استشرافية تحاول تلمس أبعاد ما يراه ، كما تمده بأدوات وفهم جديدين للتعاطي مع مادة الرحلة.

خاتمة :

من استقراء الصورة الرحلية في رواية "شاهد من إشبيلية.." توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- لم تأت الصورة الرحلية وفق الرؤية النمطية المتوقعة التي اعتاد عليها المتلقي في الكثير من النصوص الرحلية حين يبدأ السرد من نقطة الصفر (لحظة الانطلاق الرحلي) بل تجلت نقطة السرد في تشكيل الصورة الرحلية بدءًا بلحظة الوصول، حين حطت القافلة ركابها في مكة، لتنتهي بمحطة العودة، أي إن الصورة أخذت

مسارا سرديا أفقيا مرتجعا شبيها بما يُعرف في المصطلحات الرياضية العد التنازلي (الوصول –العودة) .

- جاءت الصورة الرحلية على مستوى التشكيل السردي (في الغالب) مرتبة ومتسلسلة وفق مقتضيات الرحلة وبتخطيط مسبق، غير أن هناك صورا مفاجئة كالصورة المستوحاة من حدث الموت التي فُجعت به شخصية الرحلة (موت الأب) فقد شكل منحى آخر لزمن الرحلة المتوقع ، مما جعل السرد يتسم بإيقاعية متسارعة وهو ما حد من تفاصيل الصورة الرحلية ، فيما البعض الآخر منها (الصور) تشكلت بدافع الفضول الرحلي وحب الاستطلاع كصورة البيت المهجور وإفرازاته الرحلية.
- أسهمت الصورة الرحلية المتخيلة (شخصية البيت المهجور) بتجليات نفسية طاغية وممتدة، فكانت شخصية الرحلة تخوض صراعا صامتا تتقلب على جمره طيلة الرحلة.
- أظهر التحليل أن التوقعات المتسربة من العنوان؛ أن تشكلات الصورة الرحلية ستتنازعها الشخصيتان الماثلتان في العنوان (مالك /نجم الدين) غير أن الملاحظ أن شخصية (نجم الدين) لم تختلف من حيث الدور المنوط بها والحضور الرحلي عن الشخصيات الأخرى المرافقة كشخصية ابن عامر، فقد كانت شخصية (مالك بن غدير الإشبيلي) تمثل الشخصية المحورية فهي من قامت بفعل الارتحال وتولت مهمة السرد، وثمة شخصيات عابرة جاءت عن طريق المصادفة في مسار الرحلة كشخصية عشتار.
- بالرغم من غلبة الطابع المأساوي للصورة الرحلية، فإنها لم تخل من روح المرح في بعض المواقف كتبادل أطراف الحديث بين شخوص الرحلة حول بعض الأطعمة في نجد (كأكل الجراد)، فضلا عن استحضار بعض الصور التي جمعته بلميس النجدية.
- أخذت الصورة الرحلية في تشكلها مسارين، الأول: كان بإملاءات الحركة الرحلية والتنقلات المكانية وفق خط أفقي بدءا بلحظة الوصول والثاني عبر تقنية

الاستحضار المتخيل (الفلاش باك) فتجلت صور متعددة تلبي درامية الرحلة بأحداثها.

- اعتمدت الصورة الرحلية في مستوى السرد على تسلسل عناصر القص (الحدث ، الزمان ، المكان ...) ومنطقيتها المتعارف عليها ونموها الطبيعي بحيث تبدأ من نقطة معينة ... مما طبع الصورة الرحلية بطابع الوضوح وهوما يلحظه القارئ في خارطة الرحلة ، إلا أنها لم تخل من الضبابية في بعض الأحيان كالصور المستوحاة من البيت المهجور وبعض الصور المتسمة بالعنف في الرحلة البحرية ، فضلا عن الضبابية التي تجلت في خاتمة الرحلة.
- تجلت جماليات الصورة الرحلية من خلال انفتاح النص الرحلي على بعض الأنواع الأدبية ، كالتوظيفات الشعرية الواردة في بعض مشاهد الصورة الرحلية ، كونها جاءت لتكشف حالة التوتر المضطرم بداخل الشخصية الرحلية ، فضلا عن البوح بحالة انغلاق الواقع الاجتماعي وعدم اكتراثه بمشاعر الناس وأحاسيسها ، زد على ذلك أن توظيف الإشارات الحكائية والتراثية المتجلية في سياقات معينة جاءت وفق تقنية فنية تخدم فكرة الصورة وبنائها رحليا بما في ذلك توظيفه لعدد من التقنيات كالصمت والاسترجاع ، وهو ما أسهم بتجليات جمالية.
- أظهرت الصورة الرحلية طبيعة الشعوب في أكثر من مستوى دينيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا من خلال النماذج(الشخصيات) التي وردت في خارطة الرحلة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- التميمي، منى، شاهد من إشبيلية حكاية مالك بن غدير الإشبيلي وصاحبه نجم الدين، رواية ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط 1، بيروت،2020م.
- إبراهيم، محمد، المسرح والصورة ودكتاتورية المخرج، جريدة الفنون، الكويت ، العدد77، مايو،2007م.

- أبو الرضا، سعد، الكلمة.. والبناء الدرامي. رؤية نقدية تحليلية مقارنة. دار الفكر العربي، ، ط1، القاهرة ، 1981م.
- إسلن، مارتن: تشريح الدراما، تر: أسامة منزلجي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،1987م.
- الإمام ، غادة ، جاستون باشلار: جماليات الصورة ، التنوير للطباعة والنشر ، د.ط ، بيروت، 2010م.
- ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محيى الدين عبدالحميد ج2، دار الجيل ، ط5 ، 1981م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414/ 492/2.
- البردوني، عبد الله، فنون الأدب الشعبي، دار الفكر، ط3 ، دمشق ، 1995م.
- البشتاوي، يحيى، بناء الشخصية في العرض المسرحي المعاصر ، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1 ، الأردن ، 2004م.
- برادة ، محمد ، وآخرون ، الرواية العربية واقع وآفاق، ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، ط1، بيروت , 1981م .
- التهامي، محمد، سيميائيات المسرح نشأتها وموضوعها ووضعها الإبستمولوجي، عالم الفكر(مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت) المجلد 33، العدد الثاني. أكتوبر-ديسمبر 2004م.
- ثاني ، قدور عبدالله ، سيميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.
- جبور، عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1984م.
- الجبرين، أمينة بنت عبدالرحمن، الصورة السردية في رواية "جرما الترجمان"، دراسات في السارد وتجليات قلق الوجود، ، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية ، جامعة ذمار ، العدد 10 ، اليمن ، 2021م.
- حداد .علي ، ديوان الطفل في الأدب الشعبي اليمني (دراسة ونصوص) مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ، د.ط ، تعز ، 2009.
- حمداوي ، جميل ، محمد أنقار رائد مشروع الصورة الروائية في الوطن العربي (https://www.alukah.net/literature_language/0/63948).

- حمداوي ، جميل ، بلاغة الصورة السردية الموسعة أو المشروع النقدي العربي الجديد (https://www.alukah.net/literature_language/0/74679)
- الحضري ، رشيد، وآخرون، الرحلة مغامرة أم مشروع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنسك، الدار البيضاء ، المغرب، 2013.
- روز، غريب ، تمهيد في النقد الحديث ، دار المكشوف لبنان ، 1991م.
- ريجيس دوبرى ، حياة الصورة وموتها ، تر: فريد الزاهي ، إفريقيا الشرق (د.ط. ت) .
- السرجاني ، راغب ، الأندلس ، قضية الأندلس من الفتح حتى السقوط ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ط1، القاهرة ، 2011.
- شرايطية، إبراهيم ، سلطان الأنا وسلطة الآخر في رحلة ابن جبير، مجلة الأثر، جامعة القيروان ، تونس ، العدد:30،جوان،2018.
- صالح ، بشرى موسى ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث المركز الثقافي العربي، (د.ط) المغرب، 1994م.
- عوض ، ريتا ، بنية القصيدة الجاهلية : الصورة الشعرية لدى امرئ القيس ،ط1، دار الآداب ،1992م.
- علي، عواد، غواية المتخيل. مقاربات لشعرية النص والعرض والنقد، المركز الثقافي العربي، ط 1 ، الدار البيضاء، 1997م.
- العبد، محمد، العبارة والإشارة. دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2007م.
- عبد الوهاب، شكري، دراسة تحليلية لأصول النص المسرحي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، د. ط ، الإسكندرية 2007م.
- العميدي، حيدر جواد كاظم، جماليات السنوغرافيافي الفضاءات المفتوحة . شواطئ الجنوح أنموذجا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، ع1، جامعة بابل ، العراق، 30يونيو/حزيران 2014م.
- علي، فاضل عبد الواحد ، عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، دمشق ، 1999م.
- مقنين ، سفيان ، صورة الأنا والآخر في رحلة "جزائري في الأندلس رحلة إلى الفردوس الموجود ، ط2 ، الجزائر ، 2019م .

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- ماجارشاك، دافيد، فن المسرح .بحث تمهيدي عن منهج ستانسلافسكي، تر: لويس يقطر، ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. د.ط ، القاهرة ، 1998م.
- المظفر، الشيخ محمد رضا، المنطق، دار التعارف للمطبوعات، د.ط ، بغداد ، 1982.
- المقالح، عبدالعزيز الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، دار العودة ، ط1 ، بيروت ، 1974م.
- نندا، سوامي براما، الصمت كرياضة روحية، ترجمة: عبدالوهاب المقالح ، الهيئة العامة للكتاب ، د. ط ، صنعاء، 2001.
- ناصف، مصطفى، نظرية التأويل، النادي الأدبي، ط1، جدة ،2000م .
- ونوس، سعد الله، الفيل يا ملك الزمان ومغامرة رأس الملوك جابر،الدار اللبنانية، د.ط ، بيروت ، 1978

الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية

دراسة وصفية تحليلية لفيلم "مصطفى بن بولعيد"

The communication speech of the revolutionary figure in Algerian cinema

Descriptive and analytical study of the movie "Mustafa bin Boulaid" English

منير طبي، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة- الجزائر

mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

تاريخ الارسال:08-02-2024 تاريخ القبول:26-08-2024 تاريخ النشر:26-09-2024

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية من حيث الشكل والمحتوى، والمتمثلة في الشخصية الثورية "مصطفى بن بولعيد" من خلال الفيلم السينمائي الذي يحمل نفس الاسم للمخرج "أحمد راشدي"، وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عدة أهمها: أن الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية "مصطفى بن بولعيد"، قد قدم عدة حقائق ومعلومات مهمة عن الحرب التحريرية، حيث استخدمت شخصية "بن بولعيد" خطابا اتصاليا قويا صريحا ومتناسب مع السياقات المختلفة (اجتماع مجموعة 22 التاريخي، وعشية إعلان تفجير الثورة التحريرية).

الكلمات المفتاحية:

الخطاب الاتصالي، الشخصية الثورية، السينما الجزائرية، مصطفى بن بولعيد.

Abstract

This study aims to try to identify the communicative discourse of the revolutionary figure in Algerian cinema in terms of form and content, represented by the revolutionary character "Mustafa Ben Boulaid" through the film of the same name by director "Ahmed Rachdi", the most important results are: The communication speech of Mustafa bin Boulaid, provided several facts and important information about the liberation war. Where "Ben Boulaid" used a strong, frank, and appropriate communication speech in different contexts (the historical meeting of the Group of 22, and the eve of the announcement of the bombing of the liberation revolution).

Keywords:

Communication speech, The revolutionary figure, Algerian cinema, Mustafa bin Boulaid.

المؤلف المرسل: منير طبي

مقدمة:

تعمل السينما على غرار وسائل الإعلام الأخرى على تكوين الاتجاهات وزرع القيم وصناعة المواقف، تجاه مختلف القضايا المجتمعية في الوقت الحاضر، كما لديها القدرة على التأثير في تلك الاتجاهات والقيم والمواقف المتعلقة بتاريخ الشعوب والأمم، خاصة عندما نتحدث عن كفاح هذه الأخيرة ضد مستعمرها، فتظهر الشخصيات التاريخية ودورها في نضال وكفاح الشعوب والأمم، وتعمل السينما في هذا المجال بالتعريف بهذه الشخصيات الثورية التحررية، وإظهار جمال سيرها الذاتية في هدفها لدحر المستعمر ونيل شعبها للاستقلال، وبالتالي تظهر هنا المسؤولية الإعلامية للسينما كوسيلة توعوية تنويرية تعريفية بسير الأشخاص الذين ساهموا في كفاح الشعوب والأمم، والذين قدموا وقتهم وجهدهم وكثيرا من دمائهم وأرواحهم في سبيل شعوبهم لدحر الاستعمار الأجنبي.

1.إشكالية الدراسة:

تأتي أهمية الخطاب الاتصالي بشكل عام انطلاقا من اعتباره شكلا من أشكال التفاعل الاتصال والتواصلي بين صاحب الخطاب وجمهوره، ويتنوع ذلك الخطاب بتنوع مستوياته وأنواعه، خاصة عندما نتحدث عن هذا الخطاب الاتصالي في وسائل الإعلام المختلفة وخاصة في التلفزيون والسينما، لتميزهما بخصائص سمعية وبصرية ووجدانية وتقمصية، تجعل للخطاب الاتصالي أهمية اتصالية وتواصلية كبيرة، وعندما نأتي إلى تحليل هذا الخطاب في السينما (وهو موضوع دراستنا)، تظهر عدة مستويات لهذا الخطاب وجب تفكيكها وتفسيرها من خلال عملية تحليل ذلك الخطاب، فنجد المستوى الدلالي والمستوى اللفظي وغير اللفظي، إلى جانب المستوى الصرفي والنحوي والتركيبي واللغوي والصوتي وغيرها من المستويات، التي تساهم عملية قياسها في تحليل الخطاب الاتصالي في موضوع الدراسة، ومن هنا جاءت إشكالية الدراسة في محاولة تحليل الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية، من خلال فيلم "مصطفى بن بولعيد"، بالتركيز على شخصية الشهيد "بن بولعيد" بالتحديد،

لتوضيح أساليب وطرائق ومستويات هذا الخطاب وكيف أثر ذلك في زملائه ومساره الثوري بشكل عام، ومن هنا يمكن صياغة إشكالية الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: كيف كان الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية من خلال فيلم "مصطفى بولعيد"؟ وللإجابة عن التساؤل الرئيسي للدراسة قدم الباحث تساؤلات فرعية وهي:

- ما هي أهم الموضوعات التي ميزت الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة؟

- ما هي طبيعة أساليب الاقناع المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة؟

- كيف ظهر المستوى الدلالي للخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة؟

- كيف ظهرت المستويات اللغوية والصرفية والنحوية والتركيبية في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة؟

2.أهمية الدراسة:

تنطلق أهمية هذه الدراسة من أنها من بين الدراسات القليلة جدا التي حللت الخطاب في الأفلام السينمائية، كما تنطلق أهمية الدراسة أيضا من أهمية الأفراد وصورتهم داخل المجتمعات وأدوارهم التاريخية فيها، فوسائل الإعلام المختلفة وخاصة منها المرئية، وبالتحديد الأفلام السينمائية كثيرا ما تسوق لصورة ذهنية للشخصيات الثورية التاريخية، والتي كان لها بصمة في التاريخ القومي من خلال إنجازاتها وإخفاقاتها، فالسينما العربية مثلا ساهمت في رسم صورة ذهنية ثم صورة نمطية لبعض الشخصيات القومية التاريخية عبر مختلف إنتاجاتها، على غرار فيلم "أيام السادات" الذي تناول جانبا من السيرة الذاتية للرئيس المصري الراحل "محمد أنور السادات"، وفيلم "ناصر 56" الذي تناول كذلك جانبا من السيرة الذاتية للرئيس المصري الراحل "جمال عبد الناصر"، فالكثير من الدراسات العربية التي تناولت صور هذه

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

الشخصيات خاصة في السينما، أظهرت في كثير من الأحيان صورة مضيئة ومشرفة وإيجابية، وجاء هذا البحث لدراسة أحد صور الشخصيات الثورية في المنطقة العربية والجزائرية بالتحديد، ألا وهي شخصية الشهيد "مصطفى بن بولعيد"، من خلال تحليل الخطاب الاتصالي لها من خلال الفيلم عينة الدراسة، لما يعرف عن هذه الشخصية أنها شخصية قوية ومؤثرة في محيطها الثوري في سيرورة الثورة التحريرية بشكل عام.

3.أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة فيم يلي :

- التعرف على أهم الموضوعات التي ميزت الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة.

- الكشف عن طبيعة أساليب الاقناع المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة.

- محاولة التعرف عن المستوى الدلالي للخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة.

- الكشف عن طبيعة المستويات اللغوية والصرفية والنحوية والتركيبية في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة.

4.مفاهيم الدراسة:

4-1-الخطاب الاتصالي: يشكل مفهوم الخطاب تحديا للباحثين بسبب تنوع مجالاته، وتعدد الأطر التي يمثلها أو يقترب منها في مجالات المعرفة المختلفة، مثل الفلسفة والمنطق واللغة والاتصال، وقد عــرف "دي سوسير" الخطاب بأنه رسالة لغوية يبثها المتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها ويفك رموزها، فيما يراه "بنفنست" بأنه كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض نية التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بنظر الاعتبار مجمل الظروف والملابسات، فهو عنده الملفوظ منظورا إليه من زاوية عمليات اشتغاله وآلياتها في

التواصل، ولعل "بنفنست" أول من رسم ملامح التعامل مع الخطاب كعملية اتصالية متكاملة، تتوفر فيها الأركان الرئيسة من مرسل ورسالة ومستقبل، فضلا عن السياق بوصفه أساسا في نجاح الخطاب وتأثيره في المتلقي (البنداوي و محمد، 2019)، وفي دراستنا هذه يقصد بالخطاب الاتصالي للشخصية الثورية، هو كل اتصال لفظي وغير لفظي لهذه الشخصية، وجهته هذه الشخصية نحو جمع من الأفراد في شكل خطاب، والذي يحتوي على دلالات وأهداف معينة ضمن سياق محدد، وقد تحدد هذا الأمر في خطابين، الأول خطاب شخصية "بن بولعيد" عند ترأسه لاجتماع مجموعة 22 التاريخية (جوان 1954)، والثاني خطاب شخصية "بن بولعيد" عشية تفجير الثورة التحريرية (نوفمبر 1954).

4-2-الشخصية الثورية: هي تلك الشخصية التي ثارت ضد الاستعمار الأجنبي، وقدمت كل ما لديها من نفس ونفيس من أجل دحر ذلك الاستعمار ونيل استقلال شعبها، سواء قتلت أثناء ذلك الكفاح والنضال أو عاشت حتى بعد استقلال شعبها، وفي دراستنا هذه تظهر الشخصية الثورية في شخصية "مصطفى بن بولعيد"، كشخصية كافحت وناضلت واستشهدت في سبيل نيل الشعب الجزائري استقلاله من المستعمر الفرنسي.

4-3-السينما: هي الفن السابع من حيث تاريخ ظهورها بعد الفنون الستة الكبرى (العمارة والنحت والرسم والأدب والموسيقى والأداء)، ولكنها قد تكون الفن الأول من حيث استحواذها على اهتمام العالم، فمنذ ظهور الصورة المتحركة في أواخر القرن التاسع عشر، وقبل أن يصبح الفيلم ناطقا ثم ملونا، لم يتطلب هذا الاختراع الجديد سوى سنوات أو حتى أشهر معدودة لينتشر انطلاقا من مهده في أوروبا عبر مدن العالم، وصولا الغرب الأمريكي وإلى بومباي وبكين شرقا، مرورا بالقاهرة وغيرها، وطوال القرن العشرين كانت دور السينما من معالم المدن ومن أقوى نقاط الجذب فيها، نافست بنجاح المتاحف والمكتبات العامة عند مريدي الأنشطة الثقافية، فبات التوجه إلى صالة السينما فعلا ترفيهيا وثقافيا، يُدرج ضمن البرامج الأسبوعية عند الملايين، حتى ليقال عن وجه حق إن السينما عرّفت الناس في أقاصي

العالم على ما في أقاصيه الأخرى (العريس، 2019)، وبذلك حققت السينما شهرة وانتشارا كبيرين مقارنة بباقي الفنون الأخرى، مثل العمارة والنحت والرسم والأدب والموسيقى والأداء.

5.الدراسات السابقة والمشابهة وحدود الاستفادة منها:

5-1- دراسة مازن أحمد صدقي العقيلي وسوزان جمعة يعقوب بعنوان "تحليل الخطاب السياسي للملك عبد الله الثاني ابن الحسين وأثره في التنمية البشرية في الأردن 1999-2015" (يعقوب و العقيلي، 2019): هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر الخطاب السياسي للملك عبد الله الثاني في التنمية البشرية، ممثلة بثلاثة أبعاد هي: الفقر، والبطالة، والتعليم، واعتمدت الدراسة في ذلك على منهج تحليل المحتوى، ونظرية النظم، والنظرية البنائية الوظيفية في تحليل الخطابات السياسية. وتمثلت الخطابات السياسية محل التحليل بأشكال الخطاب السياسي للملك عبد الله الثاني في الفترة 1999-2015، واستخدمت الدراسة نتائج منهجيات التحليل السابقة في تحديد المتغيرات المستقلة للدراسة وهي مصطلحات الخطاب السياسي، وتم اختيار 35 مصطلحا سياسيا، ومن أجل اختبار فرضيات الدراسة استخدمت الباحثان المدخل الكمي لتحويل متغيرات الدراسة إلى متغيرات كمية، بناء على علاقتها بأبعاد التنمية البشرية، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية للخطاب السياسي للملك عبد الله الثاني في أبعاد التنمية البشرية.

5-2- دراسة عاصم شحادة علي بعنوان "الخطاب السياسي لمهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا سابقا) في ضوء الاتساق اللغوي وعملية الاتصال (دراسة تحليلية)" (علي، 2011): بحثت هذه الدراسة في الخطاب السياسي لمهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا سابقا)، في ضوء علم اللغة النصّي ونظرية الاتصال، وحاولت الدراسة تحليل الخطاب السياسي في ضوء اللسانيات المعاصرة، واعتمدت هذه الدراسة على نظرية تحليل الخطاب ونظرية الاتصال، وتتكون تلك التحليلات عبر بعدين وهما النّص والسياق، وتحدد هدف الدراسة في معرفة الأساليب الخطابية المتنوعة التي استخدمها مهاتير محمد في إقناع المتلقي، وقد خرجت هذه

الدراسة بنتائج أهمها وجود مظاهر الاتساق في خطاب مهاتير محمد، وقد كان بروز لهذه العناصر أثر في فهم الخطاب والتأثر به، وحب الناس بماليزيا للاستماع إليه والإنصات له، وذلك لاستخدامه عبارات وكلمات تحمل دلالات واسعة واستخدامات مؤثرة في ضوء طبيعة اللغة الملايوية، التي لها قواعد معينة يلتزم بها كي يكون الكلم مؤثرا، ولذلك كان الاتساق له تأثير في فهم النص، وأما عملية الاتصال فقد برز في عنوان الخطاب والمكان الذي عقد فيه، وطبيعة المتلقي الذي له خط تواصل مع المتكلم.

5-3- دراسة نور الحنيلة بنت محمد عصمت وزاليكا آدم وسوى يان مي بعنوان "تحليل الخطاب السياسي للدكتوريوسف القرضاوي" (مي و عصمت، 2012): سعت هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي للدكتور يوسف القرضاوي في ضوء نظرية الاتساق، وتحقيقا لهذا الهدف الذي ترمي الدراسة إليه، استخدم الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، من خلال نقل آراء علماء اللغة حول الاتساق وتحليل النص السياسي للدكتور يوسف القرضاوي لتتبّع مظاهر الاتساق فيه، وخرجت هذه الدراسة بنتائج عدة أهمها أن خطاب الدكتور يوسف القرضاوي له تأثير في نفس المتلقي دينيا وسياسيا، ومن ثم فإن الاتصال بالخطاب هو حامل للعملية الاجتماعية، وهو وسيلة لإيصال المعلومات في أحسن وجه.

5-4- دراسة محمد سليم العويسي بعنوان "تحليل الخطاب السياسي لهوجو شافيز (العويسي، 2018): هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب السياسي للرئيس الفنزويلي "هوجو شافيز"، لخطابه "انهضوا في وجه الإمبراطورية" الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك بتاريخ 20 سبتمبر 2006، وقد خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها: استخدام "هوجو شافيز" للمؤكدات الكلامية والحرفية واللغة التصويرية، إلى جانب استخدامه للتراكيب الدينية لإثارة العاطفة وبعض الأحداث التاريخية.

وفيم يتعلق بحدود الاستفادة من الدراسات السابقة والمشابهة، فقد استفاد الباحث من الخلفية العلمية والمعرفية لها، كما ساعدته على ضبط مشكلة بحثه وتوجيهها في زاوية بحثية

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

غير معالجة في هذه الدراسات، وعلى هذا الأساس تم صياغة تساؤلات الدراسة، ضف إلى ذلك تحديد المنهج العلمي المناسب في مثل هذه الدراسات، وأداة البحث المناسبة (أداة تحليل المحتوى)، إلى جانب تحديد وحدات وفئات التحليل المناسبة لتحقيق أهداف الزاوية البحثية من جهة، وأهداف الدراسة ككل.

6.الإجراءات الميدانية للدراسة:

6-1- نوع الدراسة والمنهج المستخدم:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تعتمد على منهج تحليل الخطاب. وفي الدراسات الإعلامية تستخدم الدراسات الوصفية لأغراض الوصف المجرد والمقارن للأفراد والجماعات، ووصف الاتجاهات والدوافع والحاجات، واستخدامات وسائل الإعلام والتفضيل والاهتمام، وكذلك وصف النظم والمؤسسات الإعلامية والوقائع والأحداث، ثم وصف وتفسير العلاقات المتبادلة بين هذه العناصر وبعضها في إطار علاقات فرضية يمكن اختبارها (عبدالحميد، 2004، صفحة 13)، وفي هذه الدراسة حاول الباحث وصف وتفسير الخطاب الاتصالي لشخصية "مصطفى بن بولعيد" من حيث الشكل والمحتوى.

6-2-مجتمع وعينة الدراسة:

يعرف مجتمع البحث على أنه مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق النتائج، ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر المجتمع المستهدف، الذي يهدف الباحث دراسته ويتم تعميم نتائج الدراسة على مفرداته (عبدالحميد، 2004، صفحة 130)، وفي هذه الدراسة يتحدد مجتمع الدراسة في الأفلام السينمائية الجزائرية. وتعرف العينة على أنها عبارة عن عدد محدود من المفردات التي سوف يتعامل الباحث معها منهجيا، ويسجل من خلال هذا التعامل البيانات الأولية المطلوبة، ويشترط في هذا العدد أن يكون ممثلا لمجتمع البحث في الخصائص والسمات التي يوصف من خلالها هذا المجتمع (عبدالحميد، 2004، صفحة 133)، وفي دراستنا هذه تم اختيار عينة قصدية متمثلة في فيلم "مصطفى بن بولعيد"،

لتقديمه للسيرة الذاتية لإحدى الشخصيات الثورية التاريخية الجزائرية، ولوجود كوكبة من نجوم السينما الجزائرية في هذا الفيلم من جهة ثانية، ولحضور الشخصية الثورية التاريخية والمتمثلة في شخصية الشهيد "مصطفى بن بولعيد" بشكل قوي في هذا الفيلم من جهة ثالثة.

3-6- أدوات جمع البيانات:

تم اختيار أداة تحليل المحتوى في هذه الدراسة لأنها تناسب أهداف الدراسة، والتي تسعى لمعرفة طبيعة وخصائص الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في السينما الجزائرية، من خلال فيلم "مصطفى بن بولعيد"، ويعرف تحليل المحتوى على أنه مجموعة من الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي والموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى (عبدالحميد، 2004، صفحة 220)، وقد مرت استمارة تحليل المحتوى بمرحلتين أساسيتين:

1-تحديد وحدات وفئات التحليل:

أ-الوحدات: وحدة الموضوع، وحدة الفكرة، وحدة الكلمة ووحدة المشهد.

ب-الفئات: بالنسبة لفئات القياس فكانت كالتالي:

- فئة الموضوع: ويقصد بها نوعية الموضوعات التي تناولها الخطاب الاتصالي للشخصية التاريخية محل الدراسة (المفاوضات مع الاستعمار الفرنسي، الكفاح والنضال والثورة، التحضير للثورة التحريرية....).

- فئة السياق: والمقصود بها طبيعة السياق الذي رافق الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (اجتماعي، سياسي، اقتصادي...).

- فئة أساليب الاقناع: والمقصود بها أساليب الاقناع المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (عقلية فقط، عاطفية فقط، الجمع بينهما...).

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

- فئة مستوى الدلالة: ويقصد بها ما هي أكثر المصطلحات الأكثر استخداما الخطاب الاتصالي من قبل الشخصية الثورية محل الدراسة وما هي دلالاتها (الاستقلال، الثورة، الحرية....).

- فئة الأهداف: والمقصود هنا ما هي أهداف الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (توعوي، تحريضي، تفسيري...).

- فئة الاتصال غير اللفظي: ويقصد بهذه الفئة أشكال الاتصال غير اللفظي المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (نوعية ولون اللباس، إيماءات الوجه، لغة الجسد...).

- فئة الاتساق: وتعني هذه الفئة مظاهر الاتساق في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل والفصل، التكرار...).

- فئة المستوى اللغوي: ويقصد بهذه الفئة مستوى لغة الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (لهجة محلية، لغة عربية فصحى، لغة أجنبية).

- فئة المستوى الصرفي: وتعني هذه الفئة أدوات الصرف المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (أسماء الوصل، أسماء الإشارة، أسماء الزمان، أسماء المكان، الضمائر....).

- فئة المستوى التركيبي: يقصد بهذه الفئة أنواع التراكيب المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (تراكيب بسيطة، تراكيب مركبة)

- فئة المستوى النحوي: يقصد بهذه الفئة الأشكال النحوية المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (السخرية، الاستفهام، النداء، الطلب والرجاء...).

- المستوى الصوتي ونوعه: يقصد بهذه الفئة المستوى الصوتي المستخدم في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة (عالي، متوسط، منخفض) ونوعه (سريع، متوسط، بطيء).

2-صدق الأداة وثباتها:

في هذه الدراسة استخدم الباحث الصدق الظاهري الذي يعبر عن اتفاق المحكمين على أن المقياس أو الأداة صالحة فعلا لتحقيق الهدف الذي أعدت من أجله، ويمكن تقدير صدق المقياس أو الأداة بتقدير حدود الاتفاق بين هؤلاء المحكمين، فإذا ما اتفق المحكمون كان المقياس صداقا بنسبة هذا الاتفاق، مع مراعاة إعادة النظر في الملاحظات التي يبديها المحكمون حول بعض التعديلات في بناء المقياس أو الأداة ومحتواه (عبدالحميد، 2004، صفحة 430)، وقد قام الباحث بتحكيم استمارة تحليل المحتوى من قبل مجموعة من المتخصصين، من هيئة التدريس (محكمين اثنين) من رتبة أستاذ محاضر أ، وكانت نسبة الاتفاق بينهم أكثر من 93%، أي أن المحكمين وافقوا على أكثر من 93% من وحدات وفئات التحليل وهي نسبة اتفاق عالية، مع الأخذ بملاحظاتهم وتعديلاتهم على استمارة تحليل المحتوى.

ويتفق خبراء تحليل محتوى الإعلام على أن أنسب اختبارات ثبات التحليل هي التي تتم بطريقة إعادة الاختبار أو تعدد المحكمين أو القائمين بالاختبار، ويفضل في هذه الحالة تعدد الاختبارات بواسطة محكمين اثنين على الأقل، على نفس مادة التحليل بنفس تعليمات الترميز وقواعده، ويتم تقدير ثبات الترميز في البداية أو نتائج التحليل في النهاية، بواسطة تقدير حدود الاتفاق بين المحكمين على دقة الترميز وموضوعية (ثبات الترميز)، من خلال تطبيق عدة معادلات (عبدالحميد، 2004، الصفحات 424-425)، منها معادلة Azuroff و Mayer والتي تنص على أن نسبة الاتفاق= عدد الاجابات المتفق عليها/ (عدد الإجابات المتفق عليها+ عدد الاجابات المختلف عليها) * 100% (الناصر و علاونة، 2016، صفحة 820)، وتوصل الباحث من خلال هذه المعادلة إلى نسبة اتفاق قاربت 94% (93.75% بالتحديد) وهي نسبة اتفاق عالية تعكس الثبات الكبير لأداة الدراسة.

3- مجالات الدراسة:

-المجال الزمني: تم إجراء هذه الدراسة خلال شهر مارس 2021.

-المجال التوثيقي (مادة التحليل): تم إجراء هذه الدراسة على السينما الجزائرية من خلال فيلم "مصطفى بن بولعيد" للمخرج "أحمد راشدي."

-بطاقة فنية عن الفيلم: تدور أحداث الفيلم حول حياة الشهيد "مصطفى بن بولعيد" (1917 - 1956) الذي كان أحد الشخصيات الثورية ومناضلي الحركة الوطنية الجزائرية، والذي عمل مع رفاقه على إيضاح فكرة الثورة التحريرية التي قاد فيها منطقة الأوراس عام 1954، يصور الفيلم كيف سافر "بن بولعيد" إلى عدد من البلدان العربية متنكرا لجلب السلاح إلى الجزائر من أجل الثورة التحريرية، وكيف ألقت عليه قوات الاستعمار الفرنسي القبض على الحدود التونسية الليبية ليتم اقتياده إلى تونس العاصمة، ومنها إلى الجزائر ليحكم عليه بالإعدام، غير أنه تمكن من حفر خندق رفقة بعض من رفقائه، تحت حيطان أشد معتقلات الاحتلال تحصينا وفر منه، ليعود إلى قيادة الثورة التحريرية من جديد وتتوالى الأحداث. (ويكيبيديا، بلا تاريخ)

7.النظرية الموجهة للبحث:

اعتمدت هذه الدراسة على نظرية التوقعات الاجتماعية، وتتركز هذه الأخيرة في أن نماذج التنظيم الاجتماعي الشاملة لجميع العناصر تتعلق بجماعات معينة، ويتم غالبا تصويرها في المضمون الإعلامي، وقد يكون التصوير الإعلامي لنماذج التنظيم الاجتماعي حقيقيا أو مشوها، وتصبح هذه الصور عند الجماهير مجموعة التوقعات الاجتماعية التي تعلموها كنماذج للسلوك، وتعتبر هذه التوقعات جزءا مهما من فهم الناس المسبق للسلوك، وتعتبر هذه النماذج الإعلامية جزءا مهما من معلومات الجماهير عن النظام الاجتماعي السائد، كما تفيد التوقعات الاجتماعية الأفراد في كيفية التعامل مع الآخرين والعكس، وتعتمد نظرية التوقعات الاجتماعية على أن وسائل الإعلام؛ تقوم بنقل المعلومات المتعلقة بقواعد السلوك

الاجتماعي، وتؤثر هذه العملية بشكل واضح في السلوك العلني لأفراد الجماعة (وافي، 2018)، وعلى هذا الأساس تم استخدام هذه النظرية في هذه الدراسة لقياس كيف صورت السينما الجزائرية الشخصية الثورية التاريخية في الفيلم عينة الدراسة، من خلال تحليل خطابها الاتصالي بمختلف المستويات، لأن هذا التصوير سيولد توقعات اجتماعية معينة، تحدد للأفراد المواقف والاتجاهات نحو تلك الشخصية.

8-تحليل الخطاب:

بدأ هذا مصطلح الخطاب يرتسم في مناخه الدلالي بعد ظهور كتاب "فرديناند دي سوسير" (محاضرات في اللسانيات العامة)، لما فيه من مبادئ أساسية ساهمت في وضوح مفهوم الخطاب، ومن بين التعاريف التي قدمت للإحاطة بالمصطلح والتي تبدو في عمومها تعاريف جزئية تضيء جوانب مفردة من هذا المفهوم، إلا أن تقديمها معا لا ينم عن الاختلاف الموجود بينها، بقدر ما ينم عن تكامل متدرج يصبو إلى الإفصاح عن ماهية الخطاب ككل لساني أدبي، وقد اختلفت هذه التعاريف باختلاف المنطلقات الأدبية واللسانية المقاربة للمفهوم، ومن بينها نذكر: أن الخطاب مرادف للكلام أي الانجاز الفعلي للغة، بمعنى اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة، كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية، كما أن الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل أي رسالة أو مقول، وبهذا المعنى يلحق الخطاب بالمجال اللساني، لأن المعتبر في هذه الحالة هو مجموع قواعد تسلسل وتتابع الجمل المكونة للمقول، وأول من اقترح دراسة هذا التسلسل هو اللغوي الأمريكي "سابوتي زليق هاريس" (بوداود، بلا تاريخ)، كما أن التباينات والفروق التي شملت مفاهيم الخطاب في مختلف الحقول المعرفية، إنما عنيت بالشكل الذي يتولد ويتمظهر فيه من حيث بنيته الكلية، وعنيت أيضا بالمنهج أو السبيل المؤدي إلى قراءته وتفسيره، وهو ما عرف عند علماء اللغة بتحليل الخطاب، والذي كان من اختصاص علماء اللسانيات وكذلك علماء التاريخ وبعض علماء النفس، والذي أدى إلى الرجوع إلى المسائل الفلسفية التي تكون قاعدة

عريضة ومشتركة للعمليات الأيديولوجية، أي أن كل هذه التوجهات ركزت على نسق وسياق الخطاب، بداء من كونه مجموعة أفكار إلى أن يتحول إلى كلام ذي دلالة. (شابي، 2018-2019، صفحة 59)

ومن جهة أخرى فإن تحليل الخطاب هو مجال واسع موضوعه الخطاب ومنهجه الإجرائي التحليل، وهو حديث النشأة في البحوث والدراسات العربية، فقد استخدم هذا المصطلح بتوسع في تحليل النصوص الأدبية وغير أدبية، ويرتكز في ذلك على التواجد الطبيعي للغة المقروءة كما نجد في الخطاب مثل: المحادثات، المقابلات، التعليمات والخطاب، وهو مصطلح جامع ذو استعمالات عديدة يشتمل على مجالات واسعة مثلا: تداولية، سيميائية، اجتماعية، نفسية، أسلوبية، ويسعى إلى تحليل وفك شفرة الخطاب من أجل فهمه على اختلاف أنواعه أدبي، شعري، نثري (جلال، 2016-2017، صفحة 7)، ومن جهة أخرى، يعد منهج تحليل الخطاب من أهم المناهج التي وجدت لها صدى كبيرا في الدراسات الإعلامية، وعلى وجه الخصوص في مجال تحليل النصوص الإعلامية؛ وذلك للأسباب الآتية:

- يقدم منهج تحليل الخطاب دعما تفسيريا واستدلاليا في دراسة النصوص الإعلامية، وهو بذلك يعتمد التحليل الكمي للمحتوى ويركز على الوصف الكمي للمحتوى الظاهر؛

- يدعم منهج تحليل الخطاب الإعلامي الاتجاه الأيديولوجي في مواجهة المدرسة الأمريكية في البحث العلمي، وهيمنة هذا النموذج في الدراسات الإعلامية، التي تتضح بشكل كبير في التحليل الكمي لمحتوى الإعلام؛

- يركز تحميل الخطاب بخاصة على المراحل الخاصة بتحليل مسار البرهنة، وتحليل القوى الفاعلة والأطر المرجعية، والأبعاد اللغوية في بناء النص في علاقتها بإدراك المعنى لدى كل من: الكاتب أو القائل أو المتلقي في المستويات الثقافية والمرجعية المختلفة؛ مما يتطلب دراسة السياق الخاص بإنتاج النص لدى الكاتب أو القائل أو السياق الخاص بإدراك المتلقي في ظروف معينة؛

ومما سبق يتبين أن منهج تحليل الخطاب لا يقف عند حد البنية السطحية للنصوص، إنما يتجاوزها إلى محاولته القراءة التأويلية للنص، نحو استنطاق مختلف الرموز والإشارات التي يحيل إليها، أو ما يعبر عنده بما لد يقله النص أو ما سكت عنه. (أبومزيد، 2012، صفحة 8)

9.قراءة وتحليل النتائج:

بالنسبة للموضوعات التي تناولها الخطاب الاتصالي للشخصية التاريخية محل الدراسة فقد ظهرت عدة مواضيع، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22 التاريخي، تضمن الخطاب الاتصالي موضوع المنظمة الخاصة وطبيعة عملها السري، والذي جعل معظم الحاضرين في الاجتماع لا يعرفون بعضهم البعض، كما جعل معظمهم مطاردين من المستعمر الفرنسي، إلى جانب موضوع العمل المسلح وبداية التفكير في تفجير الثورة، من خلال التنويه للتضحيات اللازمة لذلك (الأموال، الأنفس، العائلات)، كما تناول الخطاب الاتصالي لشخصية "بن بولعيد" العلاقة مع فرنسا (مفاوضات، انتخابات، وسائل قانونية)، وفشل الحركة الوطنية في جمع الناس حول فكرة العمل المسلح، وأن تلك الفكرة هي الحل الوحيد لدحر المحتل، كما تحدثت شخصية "بن بولعيد" عن ضرورة الابتعاد عن التحزب والدعوة للتجمع، قبول فكرة الثورة والاستعداد لتفجيرها، والتأكيد ركائز الثورة (ليست ضد المعتقدات والأعراف أي ليست ضد الشعب الفرنسي)، كما تناول الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة إلى موضوع اختيار المنسق الوطني للثورة، من خلال عملية انتخابية شفافة من قبل الحاضرين في الاجتماع، أما في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، فقد تناول عدة مواضيع أهمها موضوع الحرية والاستقلال وإعلان ثورة شاملة في كل ربوع الجزائر، بعد استنفاذ كامل طرق العمل السلمي ومشاورات مع المناضلين، ودراسة عميقة للأوضاع في الداخل والخارج، كما تناول خطاب "بن بولعيد" تدويل القضية الجزائرية، من خلال التعريف بكفاح الجزائريين بهدف الحرية والكرامة والسيادة، كما حاول الخطاب الاتصالي لهذه الشخصية التنويه

لمسؤولية تفجير الثورة وصعوبة وطول المعركة ضد المستعمر، وختم ذلك بالتنويه للثقة في النصر القريب "...حنا صحاب حق شرعي وهوما صحاب باطل...".

بالنسبة للسياق الذي رافق الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22، كان السياق سياسي وطني، من خلال الحديث عن فشل الحركة الوطنية في تحقيق مطالب الشعب الجزائري، وضرورة العمل على التحضير للثورة التحريرية وشرح أهدافها وركائزها. أما السياق الذي رافق الخطاب الاتصالي لشخصية "بن بولعيد" في عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، فكان السياق ثوري تحرري مسلح، من خلال إعلان تفجير الثورة المسلحة، وشرح مختلف ظروفها وأسبابها.

بالنسبة لأساليب الاقناع المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فنجد في خطاب اجتماع 22 أن عمدت شخصية "بن بولعيد" لأسلوب عرض تسلسل الأحداث (أسلوب عقلي)؛ من أن أغلبية الحاضرين هم مطاردين من قبل المستعمر الفرنسي، إلى فشل الحركة الوطنية في تحقيق مطالب الشعب الجزائري، إلى ظلم المستعمر وتعنيفه، وأخيرا ضرورة تفجير الثورة المسلحة، فيم غاب الأسلوب العاطفي إلا في ناحية التذكير بالتضحيات اللازمة لتفجير الثورة التحريرية. أما في خطاب عشية تفجير الثورة التحريرية فكانت الغلبة كذلك للأساليب العقلية، حيث أكدت شخصية "بن بولعيد" على أن قرار تفجير الثورة التحريرية قرار مسؤول وواعي، واستدل بذلك في سبيل اقناع الحاضرين وتشجيعهم على ذلك، من خلال الحديث عن أن ذلك القرار جاء بعد استنفاذ كامل أشكال العمل السلمي، ومشاورات مع المناضلين، ودراسة عميقة للأوضاع في الداخل والخارج، وختم أساليب إقناعه بالأسلوب العاطفي من خلال ذكر الآية القرآنية الكريمة "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، وترديد شعارات تحيا الجزائر والله أكبر.

بالنسبة لأكثر المصطلحات استخداما في الخطاب الاتصالي من قبل الشخصية الثورية محل الدراسة ودلالاتها، فنجد في خطاب اجتماع مجموعة 22، مصطلحات ذات دلالة قوية

مثل "الإنجاز" و"التحدي"، من خلال دلالة حضور وتمثيل أغلب المناطق في الاجتماع رغم المطاردة، ومصطلح "الحسم" ودلالة الاعتماد على النفس وتفجير الثورة في أقرب وقت، ومصطلح "التضحيات" ودلالة صعوبة العمل الثوري المسلح، ومصلحات "الحديد" و"النار" ودلالة وحشية أساليب معاملة المستعمر الفرنسي للمناضلين وعموم الشعب على حد سواء، وكل هذه المصطلحات استخدمت لإقناع الحاضرين إلى ضرورة التوجه نحو العمل المسلح لتحقيق استقلال الشعب الجزائري، أما في خطاب عشية تفجير الثورة التحريرية، فقد استخدمت شخصية "بن بولعيد" مصطلحات أكثر قوة وتأثيرا، مثل مصطلح "إخواني" ودلالة وحدة المصير، ومصطلحي "الحرية" و"الاستقلال" ودلالة تحقيق حلم الشعب والأجيال في طرد المستعمر الفرنسي، كما نجد مصطلحي "المسؤولية" و"الوعي" ودلالة دراسة الأسباب والأوضاع والظروف والإمكانيات وخصائص العدو قبل اتخاذ قرار تفجير الثورة التحريرية، إضافة إلى مصطلحات "الحرية" و"الكرامة" و"السيادة" ودلالة أهداف قرار تفجير الثورة التحريرية، كما استخدمت شخصية "بن بولعيد" في خطابها الاتصالي مصطلح "حق شرعي" ودلالة شرعية العمل الثوري لتحقيق أهداف الثورة التحريرية، من خلال دعمها بمصطلحات ذات دلالة دينية مثل "الله أكبر"، ومصطلحات ذات دلالة وطنية مثل "تحيا الجزائر".

-بالنسبة لأهداف الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فقد كانت متقاربة إن لم نقل متطابقة في كلا الخطابين، فقد كانت أهدافا توعوية وتفسيرية وتحريضية، من خلال استهداف ضرورة التمهيد للثورة التحريرية وفشل الحركة الوطنية في عملها السلمي في خطاب اجتماع مجموعة 22، واستهداف تفجير الثورة وإعلانها بشكل مباشر في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة.

بالنسبة لأشكال الاتصال غير اللفظي المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فنجد تنوعا كبيرا في الأشكال ذات دلالا مقصودة، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22، ظهرت شخصية "بن بولعيد" بلباس عادي مشابه لكثير من الحاضرين رغم

إمكانياتها المادية الكبيرة، لدلالة تواضعه من جهة ومن جهة أخرى أن جميع المناضلين سواء في سبيل تحقيق الاستقلال عن المستعمر الفرنسي، وفي شكل إيماءات الوجه فظهرت صرامة وقوة في تقاسيم وجه شخصية "بن بولعيد"، لدلالة جدية الأمر ولا مجال للتخاذل في سبيل تحقيق الاستقلال، كما لاحظنا توزيع "بن بولعيد" لمجال الرؤية على كل الحاضرين، لدلالة أن الكلام موجه للجميع ويعني الجميع دون استثناء، أما من ناحية لغة الجسد فقد استخدام اليدين وبشكل أكبر اليد اليمنى لدعم تفاصيل الخطاب، أما في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية فقد كانت أشكال الاتصال غير اللفظي قوية جدا، تمثلت أولا في نوعية لباس شخصية "بن بولعيد"، والتي كان عبارة عن لباس عسكري مشابه للباس كثير من الحاضرين، لدلالة أن الجميع معني بالعمل العسكري سواء كان قائدا أو جنديا في سبيل تحقيق الاستقلال عن المستعمر الفرنسي، كما نجد إيماءات الوجه والتي كانت مشابهة للخطاب الأول، من حيث صرامة وقوة في تقاسيم الوجه، ومجال الرؤية الموزع على كل الحاضرين لنفس دلالات الخطاب الأول، أما لغة الجسد فقد استخدمت شخصية "بن بولعيد" خطابها الاتصالي اليدين، وبشكل أكبر اليد اليسرى في مظهرين أساسيين: عندما قال: "إخواني" وضع كفه على صدره، ودلالة المحبة والاحترام التي يكنها للحاضرين مما يزيد من عملية الاقناع والمصداقية، وعندما قال: "إرقاز لوراس" أمسك قبضته عاليا، لدلالة شجاعة وقوة أبناء الأوراس وأنه يعول عليهم كثيرا في تفجير الثورة التحريرية، كما استخدم "بن بولعيد" اليد المقبوضة والمفتوحة بشكل كبير في قول الآية "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، و"الله أكبر"، و"تحيا الجزائر"، في سبيل دعم فحوى الخطاب.

بالنسبة لمظاهر الاتساق في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فقد استخدمت شخصية "بن بولعيد" في خطابها في اجتماع مجموعة 22، الوصل بين الجمل لمزيد من التفسير والتوعوية، مثل: "تفجير الثورة في أقرب وقت /و/ لازم نعرفو هذي يلزمها تضحيات"، والوصل بين الجمل لمزيد من التحريض، مثل: "فرنسا الاستعمارية ديما ردها

الحديد والنار /و/ حركتنا الوطنية ثبتت فشلها"، كما استخدمت الشخصية الثورية محل الدراسة الإحالة في المثال التالي: "وباش نحققو هذا الهدف لازمنا نتجنبو التحزب، ونجمعو كل القوى الوطنية حول هذي الفكرة وهذا الهدف"، والهدف هنا هو طرد الاستعمار الفرنسي واسترجاع الهوية الوطنية، كما استخدمت شخصية "بن بولعيد" في خطابها الاتصالي التكرار كمظهر من مظاهر اتساق الخطاب، في تكرار الكلمات التالية: الهدف، الاستعمار، الحركة الوطنية، الثورة، فيم لم يكن هناك حذف أو استبدال وضعف استعمال التضاد إلا في حالة واحدة (التحزب والتجمع)، أما في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، وجدت نفس مظاهر الاتساق في الخطاب الأول، مثل الوصل بين الجمل لمزيد من التفسير والتوعوية، مثل" "قرار تفجير الثورة قرار مسؤول /و/ واعي"، والوصل بين الجمل لمزيد من التحريض، مثل: "استنفاذ كامل العمل السلمي/و/مشاورات مع المناضلين/و/دراسة عميقة للأوضاع في الداخل والخارج"، و"كاين شعب يكافح لاسترجاع حريتو/ و/كرامتو /و/سيادتو"، كما ظهر الاتساق في هذا الخطاب من خلال الإحالة في الجملتين التاليتين: "لكن النصر راح يكون حليفنا بإذن الله"، و"إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، والهدف هنا التأكيد على شرعية العمل من الناحية الوطنية والدينية، كما تم استخدام التكرار مثل: إخواني، النصر، الثورة، الشعب، فيم لم يكن هناك حذف أو استبدال وضعف استعمال التضاد إلا في حالة واحدة (الحق والباطل).

بالنسبة لمستوى لغة الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، كان مستوى واحد وطاغي في كلا الخطابين وهو استخدام اللغة العربية المبسطة، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22، نجد استخدام هذا المستوى إلى جانب استخدام اللهجة العامية لاختلاف مستوى الحاضرين الذين قدموا من مناطق مختلفة من الوطن. وهو الحال في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، والذي لم تختلف فيه المستويات اللغوية إلا في حالات قليلة،

حيث كان الغالب هو استخدام اللغة العربية المبسطة، وفي بعض الأحيان اللهجة العامية، واللهجة الشاوية (يخاطب رجال منطقة الأوراس).

بالنسبة للمستوى الصرفي وأدوات الصرف المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، نجد تنوعا في أسماء الوصل وأسماء الإشارة، وأسماء الزمان والمكان والضمائر، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22 نجد استخدام أسماء الإشارة: مثل "هذي أول مرة نتلاقو فيها" في بداية الخطاب، "باش نحقو هذا الهدف لازمنا نتجنبو التحزب"، و"باش نجمعو الحركة الوطنية حول هذي الفكرة وهذا الهدف" في منتصف ونهاية الخطاب، كما نجد في خذا الخطاب استخدام أسماء الزمان: مثل "لكن اليوم قادرين"، و"حان وقت الحسم"، و"تفجير الثورة في أقرب وقت"، و"لي ما عندوش استعداد نفضل ينسحب فورا"، فيم كان استخدام أسماء المكان وأسماء الوصل ضعيفا على العموم إلا في حالة واحدة لكل منهما، "نظن بلي معظم مناطق البلاد راهي ممثلة في هذا الاجتماع"، و"ولي ما عندوش استعداد"، على التوالي، أما بالنسبة للضمائر فكانت معظمها ضمائر جمع أكثر من المفرد، وهذا يعطي دلالة المصير المشترك لصاحب الخطاب والمتلقي على حد سواء، مثل: "لأسباب أمنية رانا غير 22"، و"نتمنى نخرجو بنتيجة"، و"هويتنا"، و"مصيرنا"، و"حاولنا"، و"أموالنا، أرواحنا، عائلاتنا"، و"لازم نعرفو..."، فيم كانت هناك حالات نادرة للفردانية في هذا الخطاب مثل: "راني فاهم..."، و"علبالي بيكم"، و"فرنسا وميولها الاستعمارية"، كما نجد في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية نفس المستوى الصرفي تقريبا مع التركيز على أسماء الإشارة وأسماء المكان وأسماء الزمان لأهمية هذه اللحظة التاريخية بالنسبة للمناضلين والشعب الجزائري ككل، وهي لحظة الإعلان عن تفجير الثورة التحريرية، ووفق ذلك نجد استخدام الخطاب لأسماء الإشارة والزمان مثل: "هذي الليلة رايحين نعلنوها ثورة شاملة في كل ربوع الجزائر"، و"هذه الليلة سنولد التاريخ"، إلى جانب أسماء المكان مثل: "الأوضاع في الداخل والخارج"، "العالم كلو راح يعرف"، مع ملاحظة ضعف استخدام أسماء الوصل إلا في حالات قليلة جدا، مثل: "جا اليوم

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

لي كنا نستنو فيه"، أما بالنسبة لاستخدام الضمائر فنجدها جمعية أكثر منها فردية لنفس أهداف هذا الاستخدام في الخطاب الأول، مثل: "وتخذناه"، و"رايحين نعلنوها"، و"حنا صحاب حق"، و"هوما صحاب باطل"، و"نقولهالكم"، أما الفردانية فظهرت قليلة جدا مثل: "اسمحولي..."، و"حريته وكرامته وسيادته".

بالنسبة للمستوى التركيبي وأنواع التراكيب المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فنجد التراكيب البسيطة غير المركبة مع تنوع في استخدام الجمل القصيرة والطويلة، والتركيز على الجمل الاسمية التي تفيد الثبات أكثر من الجمل الفعلية التي تفيد الاستمرارية، ففي خطاب اجتماع مجموعة 22 كانت الغلبة للجمل الاسمية مثل: "حان وقت الحسم"، "الحسم هو..."، "لازم نعرفو..."، "هدفنا واضح هو طرد المحتل..."، والجمل الفعلية مثل: "حاولنا بكل الطرق السلمية"، واستخدام الجمل الاسمية القصيرة كثيرا يفيد نقل الخبر (خبر الاستعداد لتفجير الثورة التحريرية)، وقلة استخدام الجمل الاسمية الطويلة والتي تفيد الوصف (وصف حال الحركة الوطنية)، كما هو الحال في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، فكانت الغلبة للجمل الاسمية على غرار: "هاو جا اليوم لي..."، و"قرار تفجير الثورة..."، و"المعركة راح تكون..."، أما الجمل الفعلية فكانت قليلة جدا مثل: "وتخذناه بعدما استنفذنا كل..."، كما نجد استخدام الجمل الاسمية القصيرة بشكل كبير والتي تفيد نقل الخبر (خبر إعلان تفجير الثورة)، وقلة استخدام الجمل الاسمية الطويلة والتي تفيد الوصف (وصف أسباب وظروف تفجير الثورة).

بالنسبة للمستوى النحوي والأشكال النحوية المستخدمة في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فنجد التركيز على استخدام شكلين أساسيين هما النداء والطلب أو الرجاء، فنجد في خطاب اجتماع مجموعة 22 النداء في دعوة الحاضرين للاجتماع في ضرورة الإسراع في تفجير الثورة التحريرية، كسبيل وحيد وأوحد في مواجهة الاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال للشعب الجزائري، إلى جانب استخدام الطلب أو الرجاء في دعوة

الحاضرين للاجتماع في التوحد وعدم التحزب في سبيل تحقيق الاستقلال والكرامة والسيادة للشعب الجزائري. وكذلك الحال في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، فنجد النداء في ضرورة الالتحاق بركب مفجري الثورة التحريرية، والطلب أو الرجاء في دعوة الحاضرين لتحمل المسؤولية والتحلي بالصبر في سبيل الثورة التحريرية، فيم انعدمت السخرية والاستفهام تماما من الخطابين.

بالنسبة للمستوى الصوتي ونوعه المستخدم في الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية محل الدراسة، فقد كان في خطاب اجتماع مجموعة 22، بمعدل متوسط (ليس بالسريع وليس بالبطيء) والوقوف عند نهاية الجمل، مع صوت متوسط (ليس بالعالي وليس بالمنخفض)، لمناسبة ذلك لطبيعة محتوى الخطاب وأهدافه. أما في خطاب عشية إعلان تفجير الثورة التحريرية، فنجد نفس المعدل في الخطاب الأول لكن مع صوت مرتفع نوعا ما، لمناسبة ذلك وسياق الخطاب ومضمونه وأهدافه (قرار تفجير الثورة التحريرية يحتاج لصوت قوي واضح وصريح).

خاتمة:

أخيرا وليس آخرا، يمكن القول أن الفيلم عينة الدراسة ومن خلال الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية "مصطفى بن بولعيد"، قد قدم عدة حقائق ومعلومات مهمة عن الحرب التحريرية، حيث استخدمت شخصية "بن بولعيد" خطابا اتصاليا قويا صريحا ومتناسبا مع السياقات المختلفة (اجتماع مجموعة 22 وعشية إعلان تفجير الثورة التحريرية).

تعرض الخطاب الاتصالي لـ"بن بولعيد" لعدة مواضيع لها علاقة بالعمل الثوري التحريري في تلك الحقبة، واستخدم عدة أساليب إقناعية متنوعة بين العقلية والعاطفية، إلى جانب استخدامه لعدة مصطلحات وطنية وتحررية ذات أبعاد ودلالات وطنية، مع تدعيم ذلك باتصال غير لفظي تمثل في لغة الجسد ونوعية اللباس وإيماءات وتقاسيم الوجه.

تميز الخطاب الاتصالي للشخصية الثورية في الفيلم عينة الدراسة بالاتساق العام مع وضوح الأهداف، وتنوع في المستويات اللغوية والصرفية والتركيبية والنحوية وحتى الصوتية وتناسبها مع شكل الخطاب ومضمونه، وبالتالي يمكن القول أن الفيلم قد وفق إلى حد بعيد في تقديم صورة مشرفة للشخصيات الثورية بشكل عام والكشف عن بعض جوانب الحرب التحريرية، وقام بوظيفة تفسيرية تنويرية لواقع هذه الأخيرة للمشاهد الجزائري، وهو الأصل في الوظائف الأساسية للسينما ووسائل الإعلام بشكل عام، حيث تعتبر هذه الأخيرة مؤسسة مهمة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات، وعليها دور كبير في بناء شخصية الأفراد وتكوين معارفهم نحو مختلف القضايا والموضوعات المتعلقة بتاريخ الشعوب والأمم.

قائمة المصادروالمراجع:

Références

ابراهيم العريس. (2019). *السينما*. تم الاسترداد من مجلة الثقافة: https://qafilah.com/السينما/

إكرام شابي. (2018-2019). *تمثلات الذات في الخطاب السياسي في البيئة الرقمية: دراسة تحليلية على صفحة الفيسبوك لعمار غول" حزب تجمع الجزائر"*. بسكرة: جامعة محمد خيضر.

دور الخطاب الإعلامي بالقنوات الفضائية في تشكيل صورة العراق لدى .(2019) .محمد & ,.ط .ع ,البنداوي *الجمهور العربي*. Récupéré sur مجلة علوم الإعلام والاتصال: https://diraset.com/node/129

الموسوعة الحرة ويكيبيديا. (بلا تاريخ). *فيلم مصطفى بن بولعيد*. تم الاسترداد من الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki

أمين منصور وافي. (04 11, 2018). *نظريات الاتصال*. تم الاسترداد من جامعة غزة الإسلامية: http://site.iugaza.edu.ps/awafi/courses/نظريات-الإتصال-شعبة-البكالوريوس/

خيرة جلال. (2016-2017) .*مستويات تحليل الخطاب الإعلامي* .مستغانم :جامعة عبد الحميد بن باديس.

ISSN: 2830-8034 EISSN: 2830-9510

حاتم سليم علاونة، طارق زياد الناصر، و علاونة. (2016). الصحافة الإلكترونية المتخصصة ودورها في تشكيل معارف الشباب الجامعي الأردني. *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية*، 840-815.

رجاء يونس أبومزيد. (2012). *تحليل الخطاب الإعلامي*. غزة: الجامعة الإسلامية.

عاصم شحادة علي. (2011). الخطاب السياسي لمهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا سابقا) في ضوء الاتساق اللغوي وعملية الاتصال (دراسة تحليلية). *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 25-1.

لامية بوداود. (بلا تاريخ). *تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر: رواية (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا*. جامعة قسنطينة: قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات.

مازن أحمد صدقي العقيلي، سوزان جمعة يعقوب. (2019). تحليل الخطاب السياسي للملك عبد الله الثاني ابن الحسين وأثره في التنمية البشرية في الأردن 1999-2015. *مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 150-173.

محمد سليم العويسي. (11, 2018). *تحليل الخطاب السياسي لهوجو شافيز*. تم الاسترداد من أكاديميا: https://www.researchgate.net/publication/329311591_thlyl_alkhtab_alsyasy_lhwjw_shafyz

محمد عبدالحميد. (2004). *البحث العلمي في الدراسات الإعلامية*. القاهرة: عالم الكتب.

نور الحنيلة بنت محمد عصمت، زاليكا آدم مي. (21-22 11, 2012). *تحليل الخطاب السياسي للدكتور يوسف القرضاوي في ضوء نظرية الاتساق*. تم الاسترداد من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: http://irep.iium.edu.my/27091/1/تحليل_الخطاب_السياسي_للدكتور_يوسف_القرضاوي.pdf